

Wild at Heart

رجولة قلب

اكتشاف سر قلب الرجل

www.christianlib.com

جون إلدريدج

ترجمة ماجد زاخر

حقق أعلى مبيعات بحسب نيويورك تايمز

Wild at Heart

رجولة قلب

اكتشاف سرِّ قلب الرجل

٨٠٢٠٤/ هدية
١/ ١٧٢٠
٢٠١٨/ ٢٠١٧

جون إلدريدج

ترجمة ماجد زاخر



اسم الكتاب: رجولة قلب
الناشر بمصر: شركة بليدج كوميونكشنز
الطبعة الأولى ٢٠١٧
حقوق الطبع المحفوظة
تأليف: جون الدريدج
ترجمة: ماجد زاخر
مراجعة: صبري بطرس
المطبعة: متروبول
١١ عطفة الهدارة - متفرع من شارع عبد العزيز عابدين - القاهرة
رقم الإيداع: ٤٨٢٨ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي: ISBN 978-977-85345-0-4
يحظر طباعة أي جزء من هذا الكتاب لاستخدامه في أية أغراض تجارية
Published by arrangement with Thomas Nelson, a division of
HarperCollins Christian Publishing, Inc.

© 2001, 2010 by John Eldredge

All rights reserved. Written permission must be secured from the publisher to use or reproduce any part of this book, except for brief quotations in critical reviews or articles.

Published in Nashville, Tennessee, by Thomas Nelson. Thomas Nelson is a registered trademark of Thomas Nelson, Inc.

Published in association with Yates & Yates, www.yates2.com

Unless otherwise noted, Scripture quotations are from the HOLY BIBLE: NEW INTERNATIONAL VERSION®. © 1973, 1978, 1984 by International Bible Society. Used by permission of Zondervan Publishing House. All rights reserved.

Scripture quotations noted NKJV are from THE NEW KING JAMES VERSION. © 1979, 1980, 1982, 1990, 1994 by Thomas Nelson, Inc.

Scripture quotations noted The Message are from The Message: The New Testament in Contemporary English. © 1993 by Eugene H. Peterson.

Scripture quotations noted NLT are from the Holy Bible, New Living Translation, ©1996. Used by permission of Tyndale House Publishers, Inc., Wheaton, Illinois 60189. All rights reserved.

Scripture taken from the NEW AMERICAN STANDARD BIBLE®, © The Lockman Foundation 1960, 1962, 1963, 1968, 1971, 1972, 1973, 1975, 1977. Used by permission.



THOMAS NELSON
Since 1798

المحتويات

شكر

مقدمة

الفصل الأول – رجولة قلب ٩

الفصل الثاني – الجامح الذي نحمل صورته ٢٧

الفصل الثالث – سؤال يطارد كل رجل ٤٣

الفصل الرابع – الجرح ٦١

الفصل الخامس – معركةٌ من أجل قلب الرجل ٧٥

الفصل السادس – صوت الأب ٩٣

الفصل السابع – شفاء الجرح ١١١

الفصل الثامن – معركة تخوضها: العدو ١٢٩

الفصل التاسع – معركة لنخوضها: الإستراتيجية ١٤٣

الفصل العاشر – أميرةٌ تنقذ ١٦٣

الفصل الحادي عشر – مغامرة تعاش ١٧٩

الفصل الثاني عشر – كتابة الفصل التالي ١٩٧

خاتمة – ماذا بعد؟ ١٩٩

مُلحق – الصلاة اليومية ٢٠١

صلاة من أجل التعافي الجنسي ٢٠٥

مقتطفات من أن يكون اللّه أبانا ٢١١

عن المؤلف ٢٣١



شكر

عميق شكري لمن ساعدوني على تسلُّق هذا الجبل:

«سام» و«بلين» و«لوك» و«جيني» و«آرون» و«مورغان» و«تشيري» و«جولي» و«غاري» و«لي» و«ترافيس» و«سيلي» و«ستاسي». «براين» و«كايل» من (Thomas Nelson)، ولأمسيات الخميس، وكل أولئك الذين كانوا يصلون من أجلي، القريب منهم والبعيد.

«برينت»، أشكرك لأنك علَّمتني أكثر من أي شخص آخر معنى أن أكون رجلًا، و«كريج» أشكرك لأنك تقلدت السيف.



مقدمة

أعلم ذلك تمامًا، بل تقريبًا أريد أن أعتذر. يا إلهي – هل حقًّا نحتاج إلى كتاب آخر للرجال؟

لا، بل نحتاج إلى شيء آخر، نحتاج إلى **إذنٍ**.

إذْنٍ لنكون ما نحن – رجالًا مخلوقين على صورة الله، إذْنٍ لنحيا من القلب لا من قائمة ما «يجب» و«المفترض»، قائمة قد تركتِ الكثير جدًا منا مُتعَبين ومُضجرين.

تُخفق معظم الرسائل الخاصة بالرجال في النهاية، والسبب بسيط: تتجاهل هذه الرسائل ما هو عميقٌ وحقيقي **لقلب** الرجل، شغفه الحقيقي، وتحاول ببساطة تشكيله عبْر أشكال متنوعة من الضغط. «هذا هو الرجل الذي **يجب** أن تكونه. ذلك ما يجب أن يفعله الزوج/الأب/المسيحي/عضو الكنيسة الجيد.» ولتملأ الفراغات من هذا المنطلق، فهو متحمل للمسؤولية، حساس، منضبط، أمين، مجتهد، مطيع، إلخ. الكثير من هذه صفاتٌ جيدة، ولا أشك في أن تلك الرسائل حسنة النية، لكن الطريق إلى الجحيم كما نذكر ممهَّدٌ بالنوايا الحسنة. ويجب أن يكون من الواضح الآن أن تلك الرسائل تقرب من الفشل الذريع.

لا، يحتاج الرجال إلى شيء آخر. يحتاجون إلى فهم أعمق لسبب توقهم إلى المغامرات والمعارك وإلى الأميرة – وسبب أن الله خلقهم **بهذه الطريقة**. ويحتاجون إلى فهم أعمق لسبب توق النساء لأن يحارَب من أجلهن، أن يُسحَبن نحو المغامرة، وأن تكون كلٌّ منهن **هي** الأميرة، إذ هذه هي الطريقة التي خلقهن الله بها أيضًا.

لذا أقدم هذا الكتاب، لا باعتباره الخطوات السبع لتكون مسيحيًا أفضل، لكن باعتباره رحلة سفاري للقلب ليسترد حياة من الحرية والشغف والمغامرة. أومن أنه سيساعد الرجال على استرداد قلوبهم – والنساء أيضًا. الأكثر من ذلك،

سيساعد النساء ليفهمن رجالهن وليساعدنهم ليحيوا الحياة التي يريدها كلاهما، وهذه هي صلاتي من أجلكم.

بعد عشر سنوات

في الأسبوع الماضي ولسبب ما زرتُ أنا وأولادي - هم شباب الآن - حيَّنا القديم والبيت الذي نشأوا وقضوا كل سنين صباهم فيه، وكانت خبرة مؤثرة. «لا أستطيع تصديق أننا كنا نلعب الاستغماية في ذلك الفناء» قالها «لوك» واستطرد: «فالمكان بالغُ الصغر». كان الفناء الأمامي يومًا ما مملكة للألعاب والمعارك، أما الآن فيمكن عبوره في بضع خطوات بأرجلهم الطويلة. «لا يمكن» قالها «بلين» وهي يخطو إلى الداخل، «فدرجات هذا السلم كانت شاهقة»، تلك الدرجات الشهيرة التي كانوا يستخدمونها للقفز من أعلى هابطين بين ذراعيَّ في الأسفل. «لا أستطيع تصديق كيف تبدو كل الأشياء صغيرة». كانت لديك خبرات شبيهة - أماكن وأناس كانوا يبدون يومًا ما بمثابة الأسطورة لكنهم يفقدون فخامتهم حين نرجع إليهم في وقت مختلف وبحالة ذهنية مختلفة.

كنتُ أخشى أن مثل هذا الأمر يحدث حين أعيد فتْح صفحات هذا الكتاب.

مرَّت عشر سنوات منذ كتبتُ (Wild at Heart)، فيا له من وقت طويلٍ، فها أولادي قد بدأوا في دراساتهم الجامعية، وقد تعمَّقتِ الخطوط المحفورة على وجهي. وخلال هذا الوقت ذهبتُ هنا وهناك مع الكثير من الرجال، ولديَّ أكثر من بضع ندبات، فهل سأبقى مصدقًا ما كتبتُه؟ هل ستثبت صحتُه في السنين العشر القاسية منذ دونتُ هذه الأفكار؟

الإجابة هي - أكثر من ذلك.

الأمر في الحقيقة **أكثر صدقًا**، إن كان من الممكن أن يحدث هذا، وأكثر صحةً بمراحل مما كنتُ أعرفه كشابٍ، إذ يبدو الأمر أبديًا، وعالميًا، فقد كان الله موجودًا فيه وقتها، وهو لا يزال موجودًا فيه.

أعطانا يسوع اختبارًا جميلًا وبسيطًا لقياس أي شيء حين قال: «من ثمارهم تعرفونهم» (متى ٧: ١٦)، إنه اختبارٌ في الصميم، فيمكنك استخدامه لتكتشف كنيسة أو حركة أو رجلًا أو أمةً. ما الثمر؟ ماذا يترك في أثره؟ لقد وجدتُ فيه

اختبـارًا فوريًـا وكاشـفًا.

وأقـول باتضــاع كان ثمـر هـذا الكتـاب مختلفًـا عـن أي شــيء آخـر رأيتُـه مـن قبـل، اسـتثنائيًا تمامًـا، فقـد شـفى حيـاة مسـاجين فـي كولومبيـا وحـرَّر قلـوب قساوسـة كاثوليكييـن فـي سـلوفاكيا. لقـد وصـل إلـى قاعـات الكونجـرس والغـرف الخلفيـة لملاجـئ المشـردين، واسـترد عائـلات رجـال فـي أسـتراليا، ودشَّـن حركـة مـن الحريـة والافتـداء فـي رجـال حـول العالـم. **الأمـر يعمـل بنجـاح**، لكنـك لسـتَ مضطـرًا إلـى أن تصـدق كلمتـي، تعـالَ وانظـر بنفسـك.

حاولـتُ أن أجلـب لهـذه النسـخة للسـنة العاشـرة الـدروسَ التـي قـد تعلمناهـا منـذ إصـدار الكتـاب، وقـد حاولـتُ إيضـاح أمـورٍ كانـت تسـبب التباسًـا، والأهـم مـن ذلـك أضفـتُ الإرشـاد العملـي الـذي يحتـاج إليـه الرجـال لإدارك وعـد هـذا الكتـاب. ستـريد أن تعـرف أنـي كتبـتُ أيضًـا دليـلًا ميدانيًـا ليصاحـب هـذا الكتـاب، وهـو كراسـة تماريـن موجَّهـة سـتعمِّق وتضمـن اختبـارك مـع اللـه هنـا، وقـد وجـده الكثيـرُ مـن الرجـال مفيـدًا. أنتجنـا أيضًـا سلاسـل (DVD) اسـتخدمها الرجـال فـي مجموعـات صغيـرة مـن فـرق الإخـوة (bands of brothers) بنتائـج هائلـة.

أصلي أن يجدك اللهُ عبّر هذه الصفحات، وأن يستردك رجلًا له.

«جون إلدريدج»
كولورادو، ٢٠١٠

ليس الناقد هو المهم، ولا الرجل الذي يشير إلى كيف يتعثر الرجل القوي، أو أين كان من الممكن أن يحسِّن صانع الأعمال من أعماله. بل يذهب الرصيدُ إلى الرجل الذي هو بالفعل في الساحة، بوجهِه ملطخ بالتراب والعرق والدم، الذي يكافح ببسالة... الذي يعرف الحماسة العظيمة، التفاني العظيم، الذي يبذل نفسه في قضية تستحق، الذي في أحسن الأحوال يعرف في النهاية نصْر الإنجاز العالي، الذي في أسوأ الأحوال إن فشل، فهو على الأقل يفشل بينما يجسر بشدة، لكيلا يكون مكانه أبدًا مع تلك النفوس الباردة الجبانة التي لا تعرف لا النصر ولا حتى الهزيمة.

–تيدي روزفلت

ملكوت السماوات يُغصَب، والغاصبون يختطفونه.

–متى ١١: ١٢

الفصل الأول

رجولة قلب

قلب الرجل كالمياه العميقة ..

–أمثال ٢٠ : ٥ (بتصرُّف)

لا يمكن للحياة الروحية أن تعاش في صخب المدينة، فهي دائمًا برية على الحدود النائية وعلينا نحن من نعيشها قبول حقيقة أنَّها ستظل حياة جامحة، وهذا يدعونا للابتهاج.

–هوارد ميسي

أريد أنا أسافر إلى بعيد حيث يبدأ الغربُ
لا يمكنني النظر إلى الحبل الذي يربط به الحصان ولا تحمُّل شكل الأسوار
فلا تبن أسوارًا حولي.

–كول بورتر
«لا تبن أسوارًا حولي»

أخيرًا تحيط بي الصحراء من كل ناحية، وها صوت الريح الضارب في قمة شجر الصنوبر يأتي من خلفي كصوت المحيط، إذ تندفع الأمواج من السماء العظيمة متدفقةً من على قمة الجبل الذي تسلَّقتُه، والذي يقع ضمن مجموعة جبال «ساواتش» الصخرية في وسط كولورادو، ومن تحتي يمتد بحرٌ من شجيرات الميرمية لمسافة أميال، تلك التي خلَّدها «زين جراي» واصفًا إيَّاها بالميرمية الأرجوانية، بينما هي أقرب للون الرمادي الفضي في أغلب السنة. فها أنا في إحدى البلدان التي يمكنك السفر عبرها لأيَّام كثيرة ممتطيًا جوادك دون أن تقابل إنسانًا. واليوم أسير على الأقدام، وبالرغم من سطوع الشمس الآن، بعد الظهيرة، إلا أن درجة الحرارة لا تزيد عن درجة مئوية واحدة هنا بالقرب من الفجوة القارية، والعرق على وجهي يجعلني أرتعش. نحن في أواخر أكتوبر والشتاء آتٍ، وها هي جبال سان خوان في الأفق على بعد مئة ميل تقريبًا، ما بين الجنوب والجنوب الغربي وقد تغطت بالثلج.

ولا يزال عبير الميرمية الشديد ملتصقًا بسروالي الجينز، باعثًا صفاءً إلى رأسي وأنا ألهث للحصول على الهواء الذي يتسم بالنقص الشديد على هذا الارتفاع البالغ عشرة آلاف قدم. مُضطرٌ للاستراحة مرة أخرى، بالرغم من إدراكي أن كل توقُّف يوسع من المسافة ما بيني وبين الذي أحاول اللحاق به، فحتى الآن لا يزال التقدُّم من حظه هو، وبالرغم من أن العلامات التي وجدتها هذا الصباح علامات حديثة – عمرها بضع ساعات فقط – لا يزال الأمل ضعيفًا، فبإمكان الظبي الذكر تغطية أميال من المساحات الوعرة في هذا القدر من الوقت، خاصةً إذا كان جريحًا أو هاربًا.

الغزال الأحمر، كما يسميه الهنود، واحد من أكثر المخلوقات مراوغة التي تركناها في الولايات الأمريكية الثماني والأربعين المتجاورة، فهي ملوك هضبة كولورادو، وهي أكثر حرصًا وحذرًا من الغزال، وأصعب في التتبُّع، إذ تعيش على مرتفعات أعلى وتتحرك لمسافات أكبر في اليوم الواحد مقارنة بأي حيوان

آخر تتبعه، ويبدو أن للذكور منها، بصفة خاصة، حاسة سادسة من نحو وجود الإنسان، ففي بعض المرات حين اقتربت من أحدها، اختفى في لحظة بهدوء داخل بساتين الحور الرجراج الكثيفة، التي لا تجعلك تصدق أن بإمكان أرنب حتى أن يمر منها.

لم يكن الأمر هكذا دائمًا، فلقرون طويلة عاشت الظباء خارجًا في البراري راعيةً معًا على الحشائش الغنية في أعداد مهولة، وفي ربيع ١٨٠٥ وصف «ميريويذر لويس» المرور بقطعان تسير بالألوف حين كان يقطع طريقه بحثًا عن الممر الشمالي الغرب. في بعض الأحيان تجول الفضولي من تلك القطعان بمقربة منه لدرجة أنَّه كان باستطاعته أن يلقي بالعصي عليهم مثلما الحال مع البقر الريفي الذي يسد الطريق، ولكن بحلول نهاية القرن دفع التوسُّع ناحية الغرب الظباء لأعلى الجبال الصخرية. والآن ها هي تراوغ وتختبئ في أعلى النقاط على الخط الشجري، كالخارجين عن القانون، إلى أن تجبرهم الثلوج الكثيفة إلى النزول في الشتاء. فإذا كنت تحاول الوصول إليهم الآن، يكون ذلك بشروطهم في مطاردات واعرة بعيدة عن متناول يد المدنية.

ولهذا جئتُ.

ولهذا أظل هنا، تاركًا الظبي العجوز يهرب، فليس لصيدي علاقة كبيرة بالظبي، فقد عرفت ذلك من قبل أن آتي، فهناك شيء آخر أسعى إليه، هنا في البرية، بل أبحث عن صيد أكثر مراوغة... أمر من الممكن العثور عليه فقط بمساعدة الصحراء.

أبحث عن قلبي.

رجولة قلب

هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات. كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسًا

حية. وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا، ووضع هناك آدم الذي جبله.
(تكوين ٢: ٤-٨)

خُلقت حواء في الجمال الخصب لجنة عدن، لكن إذا لاحظتَ ستجد أنَّ آدم خُلق من الأرض نفسها، من الطمي، وفي قصة بداياتنا يصف الفصل الثاني من التكوين بشكل واضح: وُلد الإنسان من منطقة نائية، من الجزء البري من الخليقة، ثم أُحضر إلى عدن. ومنذ ذلك الحين لم يشعر الأولاد أبدًا بالراحة داخل المباني، ويشعر الرجال بشوق لا يشبع للاستكشاف، إذ نتوق للعودة، فحينها ينتعش معظم الرجال. كما قال «جون موير» حين يأتي رجل إلى الجبال فهو يعود إلى بيته، فلبُّ قلب الرجل بري وهذا **أمرٌ جيد**. فكما يقول أحد إعلانات «نورثفيس»، «لا أشعر بالحياة داخل مكتب، ولا أشعر بالحياة داخل تاكسي، ولستُ حيًّا على الرصيف»، وأقول آمين لذلك، فما هي خلاصة هذا الإعلان؟ إنها: «لا تتوقَّف عن الاستكشاف أبدًا».

يبدو أن مثلي لا يحتاج إلى الكثير من التشجيع في هذا الصدد، إذ يأتي الأمر طبيعيًّا كعشقنا الفطري للخرائط، ففي عام ١٢٦٠ قام «ماركو بولو» برحلة ليجد الصين، وفي عام ١٩٦٧ حين كنتُ في السابعة من عمري حاولتُ صنع حفرة في حديقة بيتنا مع صديقي «داني ويلسن»، وتوقَّفنا حين وصلنا إلى ثمانية أقدام، وكانت النتيجة حصنًا عظيمًا. بعد عبور «هانيبال» جبال الألب الشهيرة يأتي يوم في حياة ولد حين يعبر الطريق للمرة الأولى، وينضم إلى صحبة المستكشفين العظماء، إذ يتسابق «سكوت» و«أمندسن» للوصول إلى القطب الجنوبي، ويتنافس «بيري» و«كوك» للوصول إلى القطب الشمالي. وحين أعطيتُ أولادي الصيف الماضي بعض النقود القليلة وسمحتُ لهم أن يركبوا دراجاتهم إلى المتجر لشراء المياه الغازية وكان الأمر كأني أعطيتهم ميثاقًا ليذهبوا ليكتشفوا خط الاستواء! فها هو «ماجيلان» يبحر غربًا حول رأس أمريكا الجنوبية – بالرغم من التحذيرات بأنَّه هو وطاقمه سيسقطون من نهاية الأرض – ويتجه «هاك فين» في نهر المسيسيبي متجاهلًا تهديدات شبيهة، ويتبع «باول» نهر كولورادو نحو الأخدود العظيم، على الرغم أن ما من أحد قد فعل ذلك من قبل والجميع يقولون إنه من المستحيل عمل ذلك، ليس لأن أحدًا لم يعمل ذلك، لكن على الرغم من أن أحدًا لم يعمل ذلك.

وقفتُ أنا وأولادي على ضفة نهر «سنيك» أو «الأفعى» في ربيع ١٩٩٨ شاعرين بهذا الدافع القديم للانطلاق، إذ كان الثلج الذائب عاليًا هذا العام أعلى من المعتاد، والنهر فاض عن ضفتيه عاصفًا عبر الأشجار على الناحيتين، وفي منتصف النهر، الذي كان فائق النقاء في نهاية الصيف لكنه في ذلك اليوم بدا عكرًا كلون مشروب الكاكاو، كانت تطفو قطع أشجار وكميات كبيرة متشابكة من الأغصان الضخمة التي تفوق في حجمها حجم سيارة، وأشياء أخرى كثيرة. وبدا النهر العالي الموحل السريع مانعًا المرور فيه، فلم يكن من الممكن رؤية أي مبحرين آخرين. هل ذكرتُ أيضًا أن الجو كان ممطرًا؟ لكن كان معنا قارب جديد وفي أيدينا المجاديف، وبالطبع لم أكن قد أبحرت في نهر الأفعي أبدًا، ولا في أي نهر آخر في قارب، لكن هذا غير مهم. قفزنا واتجهنا نحو المجهول، تمامًا مثل «ليفينجستون» الذي غاص إلى مجاهل أفريقيا السوداء.

المغامرة، بكل ما فيها من خطورة وتوحش لا مفر منهما، هي اشتياقٌ روحي عميق محفور في نفس الرجل، فقلب الرجل يحتاج إلى مكان لا شيء فيه سابق التجهيز، مكان ذي وحدات، خال من الدهون، مغلَّف، قياسي، متصل دائمًا، وقابل للطهي في فرن الميكروويف! مكان حيث لا يوجد ميعاد تسليم، ولا هواتف محمولة، ولا اجتماعات لجان! مكان فيه مساحة للتنفس، تماثل الجغرافيا فيه الجغرافيا التي في قلوبنا. انظر إلى أبطال النص الكتابي: لا يلتقي موسى الله في مركز التسوُّق، بل يجده (أو يجده الله) في مكان ما في صحراء سيناء، بعيدًا عن رفاهية مصر. ونفس الأمر بالنسبة إلى يعقوب، الذي يدخل في مصارعة مع الله، لا على الأريكة في غرفة المعيشة، بل في وادٍ في مكان ما شرق يبوق في بلاد ما بين النهرين. وأين ذهب إيليا العظيم ليستعيد قوته؟ إلى البرية، كما فعل يوحنا المعمدان الذي تربطه بيسوع صلة قرابة والذي كان **يقتاد بالروح** إلى الصحراء.

أيًّا كان الأمر الذي سعى وراءه هؤلاء المستكشفون، كانوا يبحثون أيضًا عن أنفسهم، ففي عمق قلب الرجل توجد أسئلة أساسية لا يمكن الإجابة عنها ببساطة على منضدة المطبخ. من أنا؟ مِم صنعتُ؟ ما مصيري؟ فالخوف هو ما يبقي الرجل في البيت، حيث كل شيء أنيق ومرتب **وتحت سيطرته**، لكن إجابات أعمق الأسئلة لديه لا توجد على التليفزيون ولا في الثلاجة. ففي مكان خارجي، على رمال الصحراء الحارقة، تائهًا في ضياع غير مطروق، تلقى موسى إرسالية

حياته وهدفها. ها هو يُنادَى عليه ويُدعى إلى أمر أكبر كثيرًا مما كان يتخيل، أمرٍ أهم كثيرًا من مدير تنفيذي أو «أمير مصر». تحت نجوم غريبة وفي جوف الليل تلقَّى يعقوب اسمًا جديدًا، اسمه الحقيقي، فلم يعد بعد مفاوضًا حاذقًا في مجال الأعمال، فهو الآن مصارعٌ مع الله. وتجربة المسيح في البرية في جوهرها هي اختبار **لهويته**، «فإن كنتَ من تظن أنَّه أنت ...». فإذا كان رجلٌ بصدد اكتشاف من هو، ولماذا هو حيث يوجد، فعليه أن يقوم بهذه الرحلة بنفسه.

عليه أن يسترد قلبه.

التوسُّع ناحية الغرب ضدَّ النفس

تميل الطريقة التي بها تسير حياة الرجل في هذه الأيام إلى توجيه قلبه نحو مناطق بعيدة عن النفس. ساعات لا تنتهي أمام شاشة الكومبيوتر، يبيع أحذية في أحد المحال التجارية، اجتماعات، مذكرات، مكالمات تليفونية. يتطلب عالم الأعمال – حيث يعيش ويموت أغلب الرجال – يتطلب رجلًا فعَّالًا دقيقًا، فسياسات الشركات ولوائحها مصممة لتحقيق هدف واحد: تسخير الرجل بربطه إلى المحراث وجعله ينتج، لكن النفس ترفض التسخير، فهي لا تعرف أجندات المواعيد ولا مواعيد التسليم، ولا كشوف حساب الربح والخسارة، بل تتوق إلى تحقيق ما تصبو إليه، إلى الحرية، إلى **الحياة**، فكما قال «د. ه. لورانس»: «لستُ آلة»، إذ يحتاج الرجل للشعور بإيقاعات الأرض. يحتاج لأن يكون في يده شيء حقيقي – ذراع مقود مركب، زمام خيل، خشونة حبل، أو ببساطة، فأس. هل يمكن لرجل أن يعيش كل أيامه ليحافظ على أظافره نظيفة ومقلمة؟ هل هذا ما يحلم به أي ولدٍ؟

لا يستطيع المجتمع بشكل عام أن يقرر أمرًا بشأن الرجال، فبعدما قضى المجتمع السنوات الثلاثين الأخيرة في إعادة تعريف الذكورة على أنها شيء أكثر حساسية وأمانًا وقابلية للإدارة، بل لنقل «شيء أكثر أنوثة». المجتمع يعنف الرجال الآن لكونهم ليسوا رجالًا، ويتنهد الجميع قائلين إنَّ الأولاد سيظلون دائمًا أولادًا، كما لو أن الرجل إن نضج حقًّا سيهجر البرية وشهوة حب الترحال ويستقر في المنزل إلى الأبد جالسًا في التراس. وها هو سؤال «أين الرجال **الحقيقيون**؟» يتكرر في البرامج الحوارية والكتب الجديدة. أريد أن أقول **لقد طلبتم منهم أن**

يكونوا نساءً، والنتيجة هي التباس نوعي لم يُختبر من قبل على هذا المستوى الواسع في تاريخ العالم، فكيف لرجل أن يعرف أنَّه رجل حين يكون أعلى أهدافه أن يراعي أسلوبه وتصرفاته؟

ثم ها هي الكنيسة! لقد ألحَقَتِ المسيحيةُ في صورتها الآن الضررَ بالذكورة، فبوضع كل الأمور في الاعتبار، أظن أن أغلب الرجال في الكنيسة يعتقدون أن الله قد وضعهم على الأرض ليكونوا أولادًا طيبين، إذ يقال لنا إن مشكلة الرجال هي عدم معرفتهم بكيفية الوفاء بوعودهم، ولا يعرفون أن يكونوا قادة روحيين، ولا أن يتكلموا بطريقة مناسبة إلى زوجاتهم، ولا أن يربوا أطفالهم، لكن إن حاولوا محاولات جادة سيمكنهم الوصول إلى القمة الرفيعة ليكون كل منهم ... رجلًا لطيفًا، وهذا هو النموذج الذي نرفعه للنضج المسيحي: رجال يتميزون باللطف، فلا ندخن، ولا نشرب الخمر، ولا نسبُّ، وبهذا نكون **رجالًا**. الآن دعني أسأل قرائي من الرجال: في أثناء طفولتك ومع أحلامك لأن تكبر، هل حلمتَ بأن تصبح رجلًا لطيفًا قَطّ؟ (وأسأل السيدات، هل كان أمير أحلامك مفعمًا بالحياة ... أم مجرد رجل لطيف؟)

هل أبالغ الآن في عرض قضيتي؟ اذهب إلى أغلب الكنائس في أمريكا وانظر حولك واسأل نفسك هذا السؤال: من هو الرجل المسيحي؟ لا تستمع إلى ما يقال، لكن انظر إلى ما تجده هناك، فما من شك أنك ستسلِّم بأن الرجل المسيحي هو رجل ... مصاب بالضجر. كنت أتحدث مع رجل في الخمسينيات من عمره في مؤتمر كنسي عقد مؤخرًا، وكنت أستمع إليه منصتًا لحديثه عن رحلته الشخصية كرجل، إذ قال: «لقد حاولتُ كثيرًا في العشرين سنة الماضية أن أكون رجلًا جيدًا بحسب تعريف الكنيسة.»، فتحمستُ وسألته أن يخبرني بمعنى ذلك بالنسبة له، فتوقف للحظة طويلة وقال، «مطيع ومنقسم عن قلبه»، وكان إحساسي: **يا له من وصف مثالي، لكن للأسف بالغ الدقة.**

فكما يرثي «روبرت بلاي» في كتابه (Iron John) قائلًا: «تريد بعض النساء رجلًا سلبيًّا، إن أردن رجلًا في الأساس، وتريد الكنيسة رجلًا مروَّضًا – ويسمونه قسًّا، وتريد الجامعة رجلًا أليفًا – ويسمونه صاحب وظيفة دائمة، وتريد الشركات ... رجلًا نظيفًا غير مُشعِر ضحلًا.»، وتأتي كلها معًا كنوع من الابتعاد عن النفس الذكورية، وبذلك يُساق **قلب** الرجل إلى أماكن بعيدة، كحيوان جريح يبحث عن

ملجأ. تعرف النساءُ ذلك، وتحزن لعدم وصولهن إلى قلوب رجالهن، ويعرف الرجل ذلك أيضًا، لكنهم غالبًا غير قادرين على شرح سبب فقدان قلوبهم. يعرفون أن قلبهم رحال دائم، لكنهم لا يعرفون غالبًا من أين يُقتفى أثره. وتهز الكنيسة رأسها متعجبة لعدم اشتراك رجال أكثر في برامجها. الإجابة ببساطة: لأننا لم نَدَعْ الرجل ليعرف ويحيا من أعماق قلبه.

دعوة

لكن الله صنع القلب الذكوري، ووضعه داخل كل رجل، وبذلك يقدم له **دعوة**: «تعال، وعش تمامًا كما أردت لك أن تعيش.» اسمح لي بتخطِّي هذه المناقشة الدائرة حول الطبيعة مقابل التنشئة، التي تتساءل: «هل النوع (ذكر أو أنثى) حقًّا مدمجٌ في الداخل؟» بملاحظة بسيطة: الرجال والنساء مصنوعون على صورة الله **كرجال** أو **كنساء**. «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم.» (تكوين ١ : ٢٧). ونحن نعلم أن الله ليس له جسد، لذا فمن غير الممكن أن يكون التميز ماديًّا، فلا بد للنوع أن يتحدد على مستوى النفس، في أعماقنا، والأبدية في قلوبنا، فالله لا يصنع أناسًا عامة، بل يصنع أمرًا متميزًا تمامًا – رجلًا أو امرأة. بكلمات أخرى هناك قلب ذكوري وقلب أنثوي. ويعكس القلبان أو يرسمان للعالم، كلٌّ بطريقته الخاصة، قلبَ الله.

قصد الله شيئًا ما حين تكلم عن الرجل، وإذا كنا بصدد أن نجد أنفسنا فعلينا أن نجد ما قصده الله، فما الذي وضعه في القلب الذكوري؟ بدلًا من أن أسألك ماذا تظن أن عليك عمله لتصبح رجلًا أفضل (أو امرأة أفضل، للقارئات) أريد أن أسأل **ما الذي يعيد إليك الحياة**؟ ما الذي يحرك قلبك؟ فالرحلة التي نواجهها الآن هي رحلة نحو أرض غريبة على أغلبنا، فالبلد التي نقصدها ليس له طريق واضح، فامتياز الاستكشاف هذا يأخذنا إلى قلوبنا نحن، إلى أعمق رغباتنا، وكما يقول الكاتب «كريستوفر فراي»:

> الحياة خادعة إذا لم أستطع العيش
> بالطريقة التي تحركني بها!

أجد ثلاث رغبات مكتوبة في قلبي، وأعلم الآن أني لا أستطيع تجاهلها دون أن أخسر نفسي، فهي أساسية لهويتي ولِما أشتاق أن أكون عليه. وكلما تفرَّستُ في زمن الصبا، وبحثتُ في صفحات الكلمة المقدسة والأدبيات واستمعتُ منصتًا إلى الكثير والكثير من الرجال، أقتنع أن هذه الرغبات هي رغبات عالمية، وهي دليل إلى الذكورة نفسها. ربما أزيحت هذه الرغبات إلى غير مكانها، أو طواها النسيان أو وجهت توجيهًا خاطئًا، إلا أن في قلب كل رجل رغبة شديدة نحو معركة يحارب فيها، ومغامرة يعيشها، وأميرة ينقذها. فكر في الأفلام التي يحبها الرجال وما يعملونه في أوقات فراغهم، خاصة تطلعات الأولاد الصغار، ولتحكم إذا كنتُ محقًّا في هذا الشأن أم لا.

معركة تخوضها

توجد صورة على حائطي لولد صغير في الخامسة من عمره تقريبًا، ذي شعر قصير، وخدين كبيرين، وابتسامة مشاغبة. ورغم أن الصورة قديمة باهتة اللون، إلا أن محتواها خالدٌ. إنه صباح احتفالات عيد الميلاد المجيد عام ١٩٦٤، وكنتُ قد فتحتُ للتو ما قد يكون أفضل هدية قد حصل عليها أي ولد في أي احتفالات لعيد الميلاد إطلاقًا – مسدسان من ذوي الستة الطلقات، مع حافظتين من الجلد الأسود، وقميص أحمر لرعاة البقر مطرَّز على صدره فَرَسان بريان، وحذاء أسود لامع، ورباط رأس أحمر، وقبعة من القش. ارتديتُ الملابس ولم أكن أرغب في خلعها البتة لأسابيع، إذ كما ترى لم يكن هذا «زِيًّا» على الإطلاق، بل **هوية**. وبالطبع كانت إحدي رجلي السروال (البنطلون) داخل الحذاء والأخرى خارجه، لكن كان هذا بمثابة إضافة لشخصيتي «العائدة للتو من الطريق». كان إبهاماي داخل حزام المسدس وصدري مرفوعًا لأني مسلَّح وخطر، فليحذر الرجال الأشرار: هذه البلدة تكفي لواحد منا فقط!

إن الأقنعة والسيوف، والتمويه وأربطة الرأس والمسدسات هي **الزي الرسمي** للصغار، إذ يتوق الأولاد الصغار ليعرفوا أنهم أقوياء، وخطرون، وأنهم ممن يُحسب لهم حساب. كم عدد الآباء الذين حاولوا دون جدوى منع أبنائهم الصغار من اللعب بالمسدسات؟ لا تحاولوا! فإن لم تزودوا الولد بالأسلحة فسيصنعها من أي مواد متاحة لديه. أولادي يمضغون البسكويت ليحولوه إلى شكل المسدسات

على مائدة الإفطار، وتتحول كل عصا أو كل غصن ساقط إلى حربة أو إلى مدفع بازوكا، وبرغم ما يقوله الكثير من المربين المعاصرين، فليس هذا باضطراب نفسي يسببه عنف التليفزيون أو خلل كيميائي، فالعدوانية هي جزء من **التصميم** الذكوري، وهذا موجود في تكويننا. وإذا كنا نؤمن أن الرجل مخلوق على صورة الله يكون حسنًا إن تذكرنا أن «الرب رجل الحرب. الرب اسمه» (خروج ١٥ : ٣)، الله محارب، والرجل محاربٌ.

لا تخترع البنات الصغيرات ألعابًا تميت بها أعدادًا كبيرة من الناس، حيث تكون إراقة الدماء شرطًا أساسيًّا للاستمتاع، فعلى سبيل المثال لم تكن لعبة الهوكي ابتكارًا أنثويًّا، ولا الملاكمة، إذ يرغب الولد وكذلك الرجل في مهاجمة شيء ما حتى إذا كان هذا الشيء كرة بيضاء صغيرة على نقطة انطلاق، فيريد أن يضربها بعنف نحو العالم الآخر، وفي المقابل لا يجلس أولادي في حفلات الشاي، ولا يتصلون بأصدقائهم على التليفون للتحدث بشأن العلاقات، ويتململون من الألعاب التي ليس فيها عنصر الخطر أو التنافس أو إراقة الدماء. الألعاب القائمة على «الترابط العلاقاتي» لا تعني شيئًا بالنسبة لهم، إذ يسألون في شك: «ألا يموت أحد في هذه اللعبة؟»، «ألا يفوز أحد؟ ما الفائدة إذن؟». انظر إلى الشعبية العالمية لألعاب «إكس – بوكس» التي يلعبها الأولاد والرجال فستجد أنها بشكل ساحق ألعاب معارك. كان على هذه الطبيعة العالمية أن تقنعنا بالفعل بأن: الولد رجل الحرب، الولد اسمه، وأن هذه ليست سلوكيات صبيانية، فحين يلعب الأولاد في حرب يتدربون على أداء الجزء الخاص بهم في دراما أكبر كثيرًا، ويومًا ما قد تحتاج ذلك الولد ليدافع عنك أنت.

جنود الاتحاد أولئك الذين انقضُّوا على الأسوار الحجرية في «بلودي آنجل Bloody Angle»، وقوات التحالف التي ضربت الشواطئ في نورماندي أو رمال «أيو جيما Iwo Jima» – كيف كانوا يفعلون دون ذلك الجزء العميق في قلوبهم؟ **تحتاج** الحياة لأن يكون الرجل عنيفًا – وأن يكون مخلصًا بعنف، فالجراح التي سيأخذها عبر حياته ستتسبب في يأسه إذا كان كل ما قد تدرب عليه هو أن يكون ناعمًا، وهذا يحدث بشكل خاص في خضم العلاقات، حيث يشعر الرجل أنه في أقل درجات استعداده للتقدم، فكما يقول «بلاي»، «يوجد في كل علاقة احتياج لأمر **عنيف** من حين إلى آخر.»

قد يكون هذا الاشتياق قد غُمر الآن بفعل سنين من الإهمال، وقد لا يشعر الرجل باستعداده للمعارك التي يعرف أنها تنتظره، أو قد يكون هذا الاشتياق قد اتخذ منعطفًا مظلمًا، كما يحدث مع عصابات الأماكن المزدحمة من المدن، لكن الرغبة حاضرة، إذ يريد كل رجل لعب دور البطل، **ويحتاج** أن يعرف أنَّه قوي. لم تجعل النساء فيلم (Braveheart) واحدًا من أفضل الأفلام شهرة. وأفلام مثل
(Flying Tigers)
(The Bridge on the River Kwai)
(The Magnificent Seven)
(Shane)
(High Noon)
(Saving Private Ryan)
(Top Gun)
وأفلام (Die Hard)، و(Gladiator) – فالأفلام التي يحبها الرجل تكشف ما يتوق إليه قلبه، وما في داخله منذ يوم ولادته.

سواء أردتَ أم لم ترد فهناك شيء عنيف في قلب كل رجل. كل رجل.

مغامرة نعيشها

«تحب أمي أن تذهب إلى أوروبا في إجازاتها.» كنتُ أتحدث مع صديق لي بشأن حبنا للغرب وسبب انتقال صديقي هذا من الساحل الشرقي إلى هنا. «أعتقد أن هذا جيد بالنسبة لها، فهناك الكثير من الثقافة، لكني أحتاج للبرية.» كانت محادثتنا قد أثيرت بفيلم (Legends of the Fall)، وقصته عن ثلاثة من الشباب يبلغون سن الرشد في بدايات القرن العشرين في مزرعة أبيهم في مونتانا. ألفريد الابن الأكبر شخصٌ عملي واقعي وحذر، يتجه إلى المدينة الكبيرة ليصبح رجل أعمال ثم في النهاية سياسيًّا، لكن شيئًا ما بداخله يموت، ويصبح رجلًا ضحلاً. أما صموئيل الأصغر فلا يزال ولدًا في نواح كثيرة، طفلًا رقيقًا – متعلمًا حساسًا خجولًا، ويُقتل في وقت مبكر من الفيلم ونعلم أنه لم يكن جاهزًا للمعركة.

ثم هناك أيضًا «تريستان» الابن الأوسط، ويمتاز برجولة القلب، وهو من يجسد

الغرب – إذ يمسك بالخيل الجامح ويمتطيه، ويحارب الدب بسكين، ويفوز بالمرأة الجميلة. وحتى الآن لم ألتقِ برجل يرغب في أن يكون ألفريد أو صموئيل، ولم ألتقِ بامرأة ترغب في الزواج من رجل مثلهما. هناك سبب يجعل راعي البقر الأمريكي يتخذ أبعادًا أسطورية، إذ يجسد اشتياقًا يعرفه كل رجل جيدًا منذ الصغر – أن «يتجه غربًا» ليجد مكانًا يمكنه فيه أن يكون الشخص الذي يجب أن يكونه بالكامل، ولأستعير الوصف الذي قدمه «والتر برووبجيمان» عن الله: «جامح، خطر، حر، وطليق.»

لأتوقف هنا للحظة لأوضح أمرًا، لستُ بالصياد الأبيض العظيم، وليست لدي حيوانات محنطة تزين جدران منزلي، ولم ألعب كرة القدم الأمريكية في الجامعة، بل كان وزني في الجامعة ٦٠ كيلوجرامًا، ولم أكن لأوصف بالرياضي، وبرغم أحلام طفولتي لم أقد سيارة سباق ولم أكن طيارًا مقاتلًا قَط، وليست لي اهتمامات بمشاهدة المباريات الرياضية (ما عدا مباريات كرة السلة في مارس)، ولا أحب البيرة الرخيصة. وبرغم قيادتي سيارة جيب قديمة إلا أن إطاراتها ليست بالضخامة المبالغ فيها. أقول هذا لأني أتوقع أن الكثير من القراء من النساء والرجال الأفاضل سيقعون في إغراء صرف النظر عن هذا باعتباره نوعًا من حماسة رجال مفتولي العضلات، ليس الأمر هكذا على الإطلاق، فلا تتعلق **رجولة القلب** بأن نصبح حطابين، فأنا ببساطة أبحث، كما يبحث الكثير من الرجال (وأتمنى أيضًا النساء)، عن ذكورة حقيقية.

عندما لا يوفر الشتاء قاعدة كافية من الثلوج يحضر أولادي زلاجاتهم ويمارسون ركوبها على سلالم المنزل. ذات يوم وجدتْهم زوجتي ومعهم حبل يخرج من شرفة غرفة نومهم في الدور الثاني وهم يستعدون للهبوط بالحبل من على جانب المنزل، فوصفة الاستمتاع في تربية الأولاد سهلة للغاية: أضف إلى أي نشاط عنصرًا من المخاطرة، ثم حرِّك المزيج ببعض الاستكشاف، وأضف القليل من التدمير، تكون قد حصلت على الوصفة الفائزة! مثال ممتاز على ذلك كيفية قيامهم بالتزلج: اذهب إلى أعلى نقطة في المنحدر، ووجِّه المزلج إلى الأسفل وانطلق، وكلما كنتَ أسرع كان ذلك أفضل، ولا ينتهي ذلك مع التقدم في العمر، بل فقط تصبح حينها التكلفة عالية.

أثناء مؤتمر ما، جذبني جانبًا قاضٍ في الستينيات من العمر، رجل جنوبي نبيل

بحق يرتدي حُلة مخططة وله طريقة أنيقة في الكلام، وبهدوء كما الاعتذار تحدث عن عشقه للإبحار، وعشقه للبحر الواسع، وكيف بنى هو وصديق له مركبهما الخاص، ثم تلألأت عيناه: «كنا مبحرين من ساحل بيرميودا منذ عدة سنوات حين ضربتنا عاصفة شمالية شرقية شديدة، ولا نعلم حقًّا من أين أتت، عشرون قدمًا من المياه في مركب صنعناه بأيدينا يتسع لثلاثين قدمًا، وظننتُ أننا سنموت جميعًا»، ثم توقَّف تاركًا تأثيرًا دراميًا، ثم اعترف: «كان أفضل أوقات حياتي.»

قارن تجربتك في مشاهدة آخر أفلام «جيمس بوند» أو «إنديانا جونز» مقابل الذهاب إلى حلقة دراسة الكتاب المقدس مثلًا، فالنجاح المضمون لكل إصدار جديد يجعل هذا الأمر يزداد وضوحًا – المغامرة مكتوبة في قلب كل رجل، ولا يتعلق الأمر فقط «بالاستمتاع»، إذ تتطلب المغامرة منا شيئًا ما، وتضعنا في الامتحان، وبالرغم من أننا قد نخشى الامتحان، إلا أننا نشتاق في ذات الوقت إلى أن نُمتحن، لنكتشف أن لدينا ما يتطلبه الأمر، ولهذا أبحرنا في نهر الأفعى Snake River ضد كل الآراء السديدة، ولهذا سارعنا أنا وصديق لي عبر مناطق صعبة لنجد صيدًا جيدًا، ولهذا ذهبتُ إلى واشنطن دي سي كشاب صغير لأرى إن كنتُ أستطيع الصمود في تلك المياه المليئة بسمك القرش. إذا فقد رجلٌ هذه الرغبة، وقال إنه لا يريدها، يكون هذا فقط لأنه لا يعلم أن لديه ما يتطلبه الأمر، ويؤمن أنه سيفشل في الامتحان، لذا يقرر أنه من الأفضل ألا يحاول. ولأسباب آمل أن أوضِّحها لاحقًا يكرَهُ معظمُ الرجال المجهولَ ويريدون، مثل قايين، الاستقرار وبناء مدنهم الخاصة والتحكم في حياتهم.

لكن لا مفر – فهناك شيء جامحٌ في قلب كل رجل.

أميرة ننقذها

روميو لديه جولييت، والملك آرثر يحارب من أجل غوينيفير، وروبين ينقذ ماريان، ولن أنسى أبدًا أول مرة أمسكت فيها يد حبيبتي في المدرسة. كان ذلك في خريف الصف الأول الإعدادي، والتقيتُ «ديبي» في حصة التمثيل، ووقعتُ في حبها تمامًا. كان ذلك حب المراهقة بشكله التقليدي: أنتظرها إلى أن تنتهي التدريبات، وأحمل كتبها لأعيدها إلى خزانتها، وكنا نتبادل التعليقات في الفصل

ونتكلم في التليفون بالليل. لم أكن أُولي البنات أي اهتمام أبدًا حتى ذلك الحين. تصحو هذه الرغبة لاحقًا قليلًا في رحلة الولد نحو الرجولة، لكنها حين تصحو ينقلب عالمه رأسًا على عقب. على أي حال، كنت أتوق لعلاقة أكثر حميمية لكني لم أستطع استجماع الشجاعة – حتى آخر ليلة في مسرحية المدرسة، وكان اليوم التالي هو عطلة الصيف، وهي سترحل وأدركت أنه لو لم يحدث ذلك الآن فلن يحدث أبدًا، فأعطيتها قبلة سريعة في الكواليس في الظلام وردَّتها هي بقبلة طويلة. هل تتذكرون المشهد من فيلم (E.T.) حيث يطير الولد عبر القمر على دراجته؟ برغم أني ركبتُ دراجتي الصغيرة إلى البيت تلك الليلة، إلا أنني كنت على يقين أني لم ألمس الأرض قَط.

لا يوجد ما يمكن أن يلهم رجلًا مثل امرأة جميلة، إذ تجعلك تريد الانقضاض على القلعة وذبح العملاق قافزًا عبر الحواجز، أو ربما ستحقق هدفًا صعب المنال. ذات يوم، أثناء إحدى مباريات الدوري الصغير التهب حماس ابني صموئيل، إذ يحب البيسبول لكن معظم الأولاد المبتدئين يكونون غير متأكدين أن لديهم ما يجعلهم لاعبين عظماء. صموئيل هو أول أطفالنا وهو ككثير من الأطفال الأوائل حذِرٌ إلى حد ما، حيث يدع بضع رميات تمضي أولًا قبل أن يسدد ضربته، وحين يفعل ذلك لا يسدد تسديدة كاملة، فكانت كل تسديدة من تسديداته حتى هذه النقطة تظل داخل الملعب. على أي حال، حين تحرَّك صموئيل ليسدد ضربةً ذلك اليوم، ظهرت صديقته التي تسكن في آخر الشارع. بنت شقراء صغيرة لطيفة، تظهر على خط الأساس، وبينما تقف على أطراف أصابعها تصيح منادية باسمه مشيرة إليه. وبينما يتظاهر هو بأنه لم يلحظها يوسع من وقفته ويُمسك بالمضرب مسكة أخف قليلًا، وينظر إلى الرامي بشيء ما من العنف في عينيه، ضاربًا أول رمية ضربة عنيفة نحو وسط الملعب.

يريد الرجل أن يكون بطل الأميرة، فها هم الشباب الذاهبون إلى الحرب يحملون في المحفظة صورة الحبيبة. والرجال الذين يطيرون في مهمات قتالية يرسمون أميرةً على جانب طائراتهم، وقد أطلق أطقم قاذفة القنابل (B-17) في الحرب العالمية الثانية على تلك القلاع الطائرة أسماء مثل «أنا وشابَّتي» أو «جميلة ممفيس». ماذا كان كل من روبين هود أو الملك آرثر ليصبح دون امرأة أحبها؟ رجل وحيد يحارب معارك وحيدة. ولَما كان إنديانا جونز وجيمس بوند من دون أميرة بجانب كل منهما، ولا محالة كانا لا بد أن يحاربا من أجلها، فكما ترون

ليس فقط أن الرجل يحتاج معركة يحاربها بل يحتاج أيضًا شخصًا يحارب من أجله. تذكَّر كلمات نحميا للنفوس القليلة الشجاعة المدافعة عن أورشليم التي كانت بلا سور: «لا تخافوهم ... حاربوا من أجل إخوتكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم.»» فالمعركة وحدها ليست بكافية إذ يشتاق الرجل إلى العاطفة، فلا يكفي أن يكون بطلًا، بل أن يكون بطلًا **لشخص ما** على وجه الخصوص، بطلًا للمرأة التي يحبها. أُعطي آدم الريح والبحر، الفرس والصقر، لكن كما قال الله نفسه، لم تكن الأمور صحيحة تمامًا إلى أن كانت هناك حواء.

نعم، هناك أمر عاطفي في قلب كل رجل.

القلب الأنثوي

وجدتُ أيضًا ثلاث رغبات أساسية لقلب المرأة، ولا تختلف كلية عن رغبات الرجل، ومع ذلك تظل هذه الرغبات أنثوية مستقلة، فلا تريد كل امرأة معركة تحاربها، بل تشتاق كل امرأة إلى أن يُحارَب من أجلها، فلتستمع إلى شوق قلب المرأة: هي تريد أن تكون أكثر من مجرد ملحوظة – تريد أن تكون **مطلوبة**، تريد أن يُسعى إليها. «أريد فقط أن أكون أولوية عند شخص ما» قالتها لي صديقة في الثلاثينيات من عمرها، ولا تُعتبر أحلام طفولتها بفارس ذي درع لامع يأتي لينقذها خيالات من خيالات البنات، بل هي لبُّ القلب الأنثوي والحياة التي تعلم أنها صنعت لأجلها، لذا يعود «زاك» من أجل «بولا» في (An Officer and a Gentleman)، ويعود «فريدريك» من أجل «جو» في (Little Women)، ويرجع «إدوارد» ليفي بعهد حبه الخالد نحو «إلينور» في (Sense and Sensibility).

كما تريد كل امرأة أيضًا مغامرة **لتشارك فيها**. واحد من الأفلام المفضلة لدى زوجتي فيلم (The Man from Snowy River)، حيث تحب مشهدًا تُنقَذ فيه «جيسيكا» البطلة الصغيرة الجميلة على يد «جيم» بطلها، ويمتطيان معًا فرسًا وسط غِلظة البرية الأسترالية. «أريد أن أكون «آيزابو» في (Ladyhawke)» قالتها صديقة أخرى، واستطردتْ: «لأُدلَّل، ويُسعى إليّ، ويُحارَب من أجلي – نعم، لكني أريد أيضًا أن أكون قوية وأن أكون **جزءًا** من المغامرة.»» لكن الكثير من الرجال يظنون أن المرأة **هي** المغامَرة، لكن عند تلك النقطة تتهاوى العلاقة فورًا، إذ لا تريد المرأة أن تكون هي المغامَرة، بل تريد أن تؤخذ نحو أمر أعظم منها.

أكملتْ صديقتنا لتقول: «أعرف نفسي، وأعرف أني لستُ أنا المغامَرة، لذا حين يجعلني رجلٌ ما نقطةَ التركيز أشعر بالملل فورًا، إذ يكون لسان حالي أني أعرف هذه القصة، خذني نحو قصة لا أعرفها.»

وفي النهاية، تريد كل امرأة أن يكون عندها جمالٌ تكشف عنه، لا تستحضره بل تكشف عنه. تشعر معظم السيدات بضغوط ليكنَّ جميلات منذ الصغر جدًا، لكن ليس هذا ما أتحدث عنه. فهناك أيضًا رغبة عميقة لأن **تكون** هي، ببساطة وبحق، الجمال نفسه، وأن يُتلذذ بها. تذكر معظم البنات الصغيرات لعبة ارتداء الملابس أو يوم الزفاف أو «التنورات الدوارة»، تلك الفساتين الفضفاضة المثالية للدوران بها، إذ ترتدي البنت فستانها الجميل وتأتي إلى حجرة المعيشة وتبدأ في الدوران بفستانها، وما تشتاق إليه هو أن تسبي إعجاب والدها. وتذكر زوجتي وقوفها على المائدة الصغيرة كبنت ذات الخمسة أو الستة الأعوام، صارخة بكل ما أوتيت من قوة، **هل تراني؟** هو سؤال قلب كل بنت. **هل أنت مفتون بما ترى؟**

يقتل العالم قلب المرأة حين يخبرها بأن تكون قوية وفعالة ومستقلة، وللأسف فقد فقدت المسيحية قلب المرأة أيضًا، ادخل إلى أغلب الكنائس في أمريكا وألقِ نظرة حولك واسأل نفسك هذا السؤال: ما هي المرأة المسيحية؟ لا تستمع إلى ما يقال، لكن انظر إلى ما تجده هناك، فما من شك أنك ستسلِّم بأن المرأة المسيحية هي امرأة ... متعَبة، فكل ما قد قدمناه للنفس الأنثوية هو الضغط «لتكون خادمةً جيدة»، فما من أحد يحارب من أجل قلبها، وما من مغامرة كبيرة تُخطف إليها، وتشك كل امرأة شكًا كبيرًا إذا ما كان لديها أي جمال لتكشف عنه.

عن طريق القلب

أيهما تفضل أن يقال عنك: «هاري؟ أعرفه بالتأكيد، يا له من رجل لطيف حقًا» أم «نعم، أعرف عن هاري، إنه رجل خطر ... خطير بالمعنى الجيد.». ماذا عنكن يا سيدات؟ أي الرجلين تفضلن ليكون الرفيق؟ (بعض النساء بسبب جرحهن من ذكورة سيئة قد يخترن الرجل «الآمن» ... ثم يتعجبن بعد سنوات لاحقة عن سبب عدم وجود عاطفة في زواجهن، ولماذا يصبح الرجل بعيدًا وباردًا). وفيما يخص أنوثتكِ أيهما تفضلين أن يقال عنكِ – أنكِ «تعملين دون كلل» أم أنك «امرأة آسرة؟» أعتقد أني وضَّحتُ نقطتي.

ماذا لو؟ ماذا لو أخبرتنا تلك الرغبات العميقة في قلوبنا بالحقيقة، وكشفت لنا الحياةَ التي **قُصد** لنا أن نحياها؟ أعطانا الله عيونًا لنرى، وأعطانا آذانًا لنسمع، وأعطانا إرادة لنختار، وأعطانا قلوبًا **لنحيا**، وطريقة تعاملنا مع القلب هي كل شيء، فينبغي للرجل أن **يعرف** أنه قوي، ينبغي له أن **يعرف** أن لديه ما يتطلبه الأمر، وينبغي للمرأة أن **تعرف** أنَّها جميلة، ينبغي لها أن **تعرف** أنها تستحق أن يُحارَب من أجلها. «لكنك لا تفهم» قالتها لي سيدة، «فأنا أعيش مع رجل ضحل»، لا، إنه موجود، قلبه موجود، قد يكون قد هرب منكِ مثل حيوان جريح، دائمًا بعيد المنال، أبعد بخطوة عن قدرتك على الإمساك به، لكنه هناك. قال رجل آخر: «لا أعلم متى تُوفيتُ أنا، لكني أشعر أن كل ما أفعله هو أني أستهلك الأوكسيجين.» أتفهم ذلك، قد يبدو قلبك وكأنه ميت ومفقود، لكنه موجود، وهناك شيء جامح وقوي وشجاع ينتظر فقط لينطلق.

لا يدور هذا الكتاب حول سبعة أشياء يجب أن يفعلها الرجل ليكون رجلًا أكثر لطفًا، فهو كتاب عن تعافي قلب الرجل وإطلاقه، وعواطفه وطبيعته الحقيقية التي وهبه الله إياها. هذا الكتاب دعوة للهرولة وللاتجاه نحو الغرب، للوثب والقيام من السقطات لإنقاذ الأميرة، لأنك إن كنتَ مزمعًا أن تعرف من أنت بحق **كرجل**، وإن كنتَ مزمعًا أن تجد حياة تستحق العيش، وإن كنت مزمعًا أن تحب امرأة بعمق وألا تمرر تشوشك إلى أطفالك، فعليك ببساطة أن تسترد قلبك. عليك أن تتوجَّه نحو الأماكن المزدحمة للنفس، نحو مناطق برية ومجهولة لتتتبَّع هذه الفريسة المراوغة.

الفصل الثاني

الجامح الذي نحمل صورته

كيف يمكن أن يؤدي أمر مثل حث الناس أن يكونوا لطفاء بعضهم نحو بعض، إلى أن يُصلب الرجل؟ أي حكومة تلك التي تنفذ الإعدام في «ميستر روجرز» أو «كابتن كانجارو»؟

—فيليب يانسي

آمن؟ من قال أي شيء بشأن أنه آمن؟ لأنه ليس بآمن، إنه جيد فقط.

—ك. س. لويس

هذا جذع
من تلك السلالة المنتصرة، فلنَهَبْه
عظمته الأصيلة وقدره.

—هنري الخامس

هـل تذكـر ذلـك الولـد الصغيـر الـذي أخبرتـك عنـه بحذائـه اللامـع والمسدسـين؟ أفضـل جـزء فـي القصـة أنهـا لـم تكـن تمثيـلًا، إذ كان لـديَّ مسـاحة لأعيـش تلـك الأحـلام، فقـد كان جـدي لأبـي راعـي بقـر، وكانـت لـه مزرعـة الماشـية الخاصـة بـه فـي شـرقي أوريجـون، مـا بيـن منطقـة الميرميـة ونهـر الأفعى، وعلـى الرغـم مـن أنـي تربيـتُ فـي الضواحـي، إلا أن افتـداء حياتـي وأساسـيات التدريـب الحقيقـي لرحلتـي الذكوريـة الخاصـة تمـت فـي هـذه المزرعـة حيـث كنـت أقضـي فتـرة الصيـف وقـت صبـاي. يا لـه مـن حـظ لـكل ولـد أن تمتلـئ أيامـك بالجـرارات والشـاحنات الصغيـرة والخيـل والثيـران الصغيـرة، وأن تجـري عبـر الحقـول، وتصيـد فـي البـرك. كنـتُ أعيـش مثـل «هـاك فيـن» لثلاثـة أشـهر رائعـة كل سـنة. كـم كنـتُ أسـعد حيـن ينظـر إلـيَّ جـدي – الـذي كنـت أدعـوه «بـوب» – بإبهاميـه فـي حزامـه ويبتسـم قائـلًا «امتـط صهـوة الحصـان».

أخذنـي «بـوب» بعـد ظهيـرة أحـد الأيـام إلـى متجـري المفضـل فـي البلـدة، وكان عبـارة عـن محـل بـه مزيـج مـن أعـلاف ومسـتلزمات الخيـل، والمعـدات ولـوازم المـزارع. كان هـو المتجـر التقليـدي للبضائـع الجافـة فـي الغـرب القديـم، أرض العجائـب مـن الأدوات والمعـدات، والسـرج واللجـام والبطانيـات وأدوات الصيـد، وسـكاكين الجيـب والمسدسـات. كانـت رائحتـه رائحـة القـش وزيـت بـذر الكتـان، رائحـة الجلـد والبـارود والكيروسـين – كل مـا يثيـر قلـب ولـد صغيـر. ذلـك الصيـف كان «بـوب» يواجـه مشـكلة مـع العـدد المتزايـد للحمـام فـي المزرعـة، وكان يكـره هـذه الطيـور القـذرة متخوفًـا أن تحمـل أمراضًـا إلـى الماشـية، فـكان يسـميها «الفئـران الطائـرة». سـار «بـوب» مباشـرة نحـو منضـدة الأسـلحة الناريـة، والتقـط بندقيـة هوائيـة وعلبـة بحجـم ربـع كرتونـة الحليـب بهـا حوالـي مليـون خـرزة للبندقيـة الهوائيـة، وأعطاهمـا لـي، فبـدا صاحـب المتجـر العجـوز مندهشًـا قليـلًا بينمـا أمعـن النظـر إلـيَّ، محدِّقًـا مـن فـوق نظارتـه وقـال: «ألا يـزال صغيـرًا علـى هـذا؟»، فوضـع «بـوب» يـده علـى كتفـي وابتسـم قائـلاً: «هـذا حفيـدي، يعمـل معـي ويقـف كتفًـا إلـى كتـف بجانبـي.»

من أين نأتي؟

ربما أكون قد دخلت إلى محل الأعلاف هذا كولد صغير متوترٍ، لكني خرجتُ مثل العمدة «وايات إيرب» أو «لون رينجر» أو «كيت كارسن»، إذ كانت لي هويةٌ ومكانٌ في القصة، حيث دُعيتُ إلى ما هو خطر. ليس هذا بالأمر الاختياري لكل ولد بصدد أن يصبح رجلًا ولكل رجل بصدد أن يعلم يقينًا أنه رجلٌ، ، إذ **ينبغي** للرجل أن يعرف من أين يأتي ومم يتكوَّن. واحدة من نقاط التحول في حياة صديقي العزيز «كريج»، وربما تكون نقطة التحول الأساسية، كانت في ذلك اليوم حين استرد اسم أبيه، فقد قُتل والد كريج، «آل ماكونيل»، في حرب كوريا حين كان عمر كريج أربعة أشهر فقط، وتزوجت أمه ثانية وتبنى كريج زوجُ أمه، وهو قبطان بحري عجوز كريه وكان يدعو كريج «النورس الساذج» حين كان يغضب منه. أي هوية هذه! أي مكان بالقصة هذا! إذ كان يقول: «يا كريج، لستَ سوى نورس – كل ما يمكنك فعله هو الجلوس، والجعجعة، و...» (أعتقد أن الصورة واضحة).

حين أصبح كريج رجلًا عرف حقيقة خلفيته – كيف كان أبوه محاربًا سقط في المعركة، وكيف كان يخطط إن عاش أن يذهب إلى حقل الخدمة مبشرًا بالإنجيل حيث لم يذهب أحد قط. اكتشف كريج أن جد أبيه الحقيقي هو ويليام ماكونيل أول مرسَل بروتستانتي إلى أمريكا الوسطى، رجلٌ خاطر بحياته مرات كثيرة ليبشر بالمسيح أناسًا ضالين. غيَّر كريج اسمه إلى ماكونيل ومعه استرد هوية أكثر نبلًا ومكانًا أخطر كثيرًا في القصة. كم أتمنى لو كنا جميعًا محظوظين مثله. يخجل الكثير من الرجال من آبائهم، وعبارة «أنت مثل أبيك تمامًا» سهم تطلقه الكثير من الأمهات الساخطة على أبنائهن، ويحاول معظم الرجال الذين أعرفهم **ألا** يصبحوا مثل آبائهم، لكن من يتبقى لهم من يتبعون أثره؟ ممن سيستمدون إحساسهم بالقوة؟

قد يكون من الأفضل أن نوجه بحثنا إلى المنابع، إلى ذلك الجذر العظيم الذي منه تنمو هذه الفروع. من الذي نزعم أننا منه نأتي؟ من الذي يحمل صورته كل رجل؟ ما صفاته؟ في بحث الرجل عن قوته، قد لا يبدو إخبارُه أنه مخلوق على صورة الله نوعًا من التشجيع أولًا. فبالنسبة لمعظم الرجال، الله إما بعيد أو ضعيف – الأمر ذاته الذي سيقولونه إن سألتَهم عن آبائهم الأرضيين. والآن

كن أمينًا – ما الصورة التي تتخيلها عن يسوع **كرجل**؟ «ألا يوصف بالوديع والمتواضع؟» قالها صديق واستطرد «أعني أن الصور التي لدي له تُظهِرُ رجلًا رقيقًا حوله أطفال من كل جانب، يشبه إلى حد ما الأم تيريزا.» نعم، تلك هي الصور التي رأيتُها بنفسي في كنائس عديدة، بل في الحقيقة تلك هي الصور الوحيدة التي رأيتُها ليسوع، وتترك هذه الصور فيَّ انطباعًا بأنه كان ألطف رجل في العالم، «ميستر روجرز» لكن بلِحيَة، وأن تخبرني أن أكون مثله يبدو وكأنك تخبرني أن أكون ضعيفًا وسلبيًّا، كُن لطيفًا، كن جميلًا، كن مثل الأم تيريزا.

أُفضِّل بالأحرى أن أُخبر أن أكون مثل ويليام والاس.

القلب الشجاع بحق

والاس، لو تذكروا جيدًا، هو بطل فيلم (Braveheart) وهو الشاعر المحارب الذي جاء كمحرر لإسكوتلاندا في أوائل القرن الرابع عشر. وفي الفيلم حين وصل والاس إلى المشهد كانت إسكوتلاندا تحت القبضة الحديدية للملوك الإنكليز لعدة قرون، وكان آخر ملك أسوأهم – إدوارد الملقب بذي الساقين الطويلتين. كان ذو الساقين الطويلتين ظالمًا لا يرحم وقد دمَّر إسكوتلاندا، قاتلًا أبناءها ومغتصبًا بناتها. والنبلاء الإسكوتلانديون، المفترض فيهم أن يكونوا حُماة رعيتهم، كانوا بدلًا من ذلك يكيلون أعباء ثقيلة على ظهور الشعب، بينما يملأون جيوبهم هم بعقد الصفقات مع ذي الساقين الطويلتين. كان والاس أول من تحدى الطغاة الإنكليز. فيرسل ذو الساقين الطويلتين في غضبه جيوشه إلى ساحة «ستيرلينج» لسحق التمرد، ويأتي قاطنو المرتفعات في مجموعات من مئات وآلاف، فقد حان وقت المواجهة الحاسمة، لكن النبلاء، الجبناء جميعًا، لا يريدون القتال، فهم يريدون معاهدة مع إنكلترا لتجلب لهم أراضي وقوة أكثر، فهم تمامًا كالفريسيين، البيروقراطيين ... السلطويين دينيًّا.

وبدون قائد ليتبعوه، يبدأ الإسكوتلانديون في فقدان الأمل، فيبدأ واحد تلو الآخر ثم مجموعات بأعداد كبيرة في الهرب. في هذه اللحظة يدخل والاس مع مجموعته من المحاربين بصبغة الحرب الزرقاء على وجوههم في استعداد للمعركة. في تجاهل للنبلاء – الذين ذهبوا للتفاوض مع القادة الإنكليز للحصول على صفقة أخرى – يذهب والاس مباشرة نحو قلوب الإسكوتلانديين الخائفين:

«يا أبناء إسكوتلاندا ... أتيتم لتحاربوا كرجال أحرار، وبالحقيقة أنتم رجالٌ أحرار.» يعطيهم والاس هنا هوية وسببًا ليحاربوا، ويذكِّرهم أن حياة تُعاش في خوف ليست حياة على الإطلاق، وأن كلَّ واحد منهم سيموت يومًا ما: «وبينما أنتم على فراش الموت، بعد سنين طويلة من الآن، هل ستودون لو استبدلتم بكل الأيام، منذ اليوم إلى ذلك اليوم، لترجعوا إلى هنا لتخبروا أعداءنا أنهم يمكن أن يأخذوا حياتنا لكنهم لن يأخذوا حريتنا أبدًا؟» يخبرهم أن لديهم ما يتطلبه الأمر، وبنهاية حديثه المثير يهتف الرجال، فهم جاهزون الآن، ثم يسأل صديقٌ لوالاس قائلًا:

«حديث رائع، فماذا نحن فاعلون الآن؟»
«فقط كونوا أنفسكم»
«إلى أين أنت ذاهب؟»
«أنا ذاهب للمعركة»

وأخيرًا، سيقف أحدهم في وجه الطغاة الإنكليز، وبينما يناور النبلاءُ من أجل المركز يخرج والاس ويعيق الصفقة، ويثير عراكًا مع الأسياد الإنكليز، ويترتب على ذلك معركة «ستيرلينج» – وهي المعركة التي تبدأ في عملية تحرير إسكوتلاندا.

السؤال الآن – هل يشبه يسوع الأم تيريزا أم ويليام والاس؟ الإجابة ... يعتمد الأمر على عدة أشياء، فإن كنتَ أبرص، منبوذًا، مستبعدًا من المجتمع، شخصًا لا يلمسه أحد أبدًا لأنك «نجس»، وإذا كان كل ما تتوق إليه هو كلمة رقيقة واحدة، فسيكون المسيح حينئذ تجسُّدًا للرحمة الحانية، وسيتواصل معك ويلمسك. وعلى الجانب الآخر، إن كنتَ فريسيًّا، من أولئك الذين عينوا أنفسهم حراسًا للعقيدة ... فاحترس، إذ في أكثر من مناسبة نرى يسوع «يثير عراكًا» مع أولئك المرائين سيئي السمعة. ها هي قصة المرأة المنحنية في لوقا ١٣، وها هي الخلفية: الفريسيون مثل النبلاء الإسكوتلانديين – هم أيضًا يضعون أحمالًا ثقيلة على ظهور شعب الله ولا يحركون إصبعًا ليساعدوهم. والأكثر من ذلك هم ملزمون بالناموس لدرجة إصرارهم أن شفاء شخص في يوم السبت خطية، لأنه يحتسب «عملًا»، فقد حرَّفوا مقاصد الله على أسوأ شكل لدرجة اعتقادهم بأن الإنسان صُنع لأجل السبت لا السبت لأجل الإنسان (مرقس ٢ : ٢٧). كان للمسيح عدد من المناوشات معهم، بعضها بشأن نفس الموضوع، الأمر الذي ترك أولئك

الخونة «ممتلئين حُمقًا» (لوقا ٦: ١١).

هل يتحسس يسوعُ خطواته بشأن الموضوع في المرة التالية لكيلا «يحرك المياه الراكدة» (الأمر المفضل لدى الكثير من القادة اليوم)؟ هل يتفادى الموضوع من أجل أن «يحافظ على وحدة الكنيسة»؟ لا، بل يدخل في الموضوع، ويرمي لهم الطُعم، ويثير عراكًا. فلنلتقط خيط القصة هناك:

> وكان يعلم في أحد المجامع في السبت، وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة، وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة. فلما رآها يسوع دعاها وقال لها: «يا امرأة، إنك محلولة من ضعفك!». ووضع عليها يديه، ففي الحال استقامت ومجدت الله. فأجاب رئيس المجمع، وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ في السبت، وقال للجمع: «هي ستة أيام ينبغي فيها العمل، ففي هذه ائتوا واستشفوا، وليس في يوم السبت!» (لوقا ١٣: ١٠-١٤)

هل تصدق هذا الرجل؟! يا له من مراوغ! مثالٌ نموذجي على عدم الفهم. يستشيط المسيحُ غضبًا:

> فأجابه الرب وقال: «يا مرائي! ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه؟ وهذه، وهي ابنة إبراهيم، قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة، أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت؟» وإذ قال هذا أخجل جميع الذين كانوا يعاندونه، وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه. (لوقا ١٣: ١٥-١٧)

معركة يحارب فيها

يسحب المسيحُ العدو خارجًا ويكشفه على حقيقته ويخجله أمام الجميع، هل الربُّ هنا **رجل رقيق**؟ بالتأكيد لا، إن كنتَ في خدمة عدوه، فلله معركة يحارب فيها، هذه المعركة من أجل حريتنا، يقول «تريمبر لونجمان»، «فعليًّا كل سفر في الكتاب المقدس – بعهديه القديم والجديد – وتقريبًا كل صفحة تخبرنا عن عمل الله في القتال.»، وأتساءل إن كان المصريون الذين أبقوا إسرائيل تحت ذلة السوط سيصفون يهوه باعتباره رجلًا لطيفًا حقًّا؟ ضربات، أوبئة، وموت الأبكار

– لا يبدو كل هذا لطيفًا، أليس كذلك؟ ماذا كانت «ميس مانرز» متخصصة الإتيكيت لتقول بشأن أخذ أرض الموعد؟ هل تُحتسب المذابح الجماعية ضمن «الترحاب بجيرانك الجدد»؟

هل تذكر ذلك الرجل القوي شمشون؟ تاريخ حياته ذكوري مبهر: فقد قتل أسدًا بيديه المجردتين، وضرب وجرد ثلاثين من الفلسطينيين، حين استخدموا زوجته ضده، وأخيرًا وبعد أن أحرقوها حتى الموت، قتل ألف رجل بلحي حمار، فليس هو بالرجل الذي من الممكن العبث معه، لكن هل لاحظتَ أن كل تلك الأحداث وقعت حين «حل عليه روح الرب» (قضاة ١٥: ١٤)؟ فلأوضح أمرًا: لا أنادي هنا بصورة «الرجل المفتول العضلات»، ولا أقترح أن نتجه جميعًا إلى صالات الجيمنازيوم ثم إلى الشاطئ حيث نقذف الرمال في أعين الفريسيين الجبناء، بل أحاول تخليصنا مما لدينا من صورة مغلوطة جدًا جدًا عن الله – وعن يسوع بشكل خاص – وبالتالي عن الرجال حاملي صورته. كتبت «دوروثي سايرز» أن الكنيسة قد «نجحت في تقليم مخالب أسد يهوذا» جاعلة إياه «كالحيوان الأليف المدلل المناسب للقسس الضعاف والسيدات المسنات الورعات.» هل هذا هو الله الذي تجده في الكتاب المقدس؟ هذا هو رده لأيوب الذي تساءل بشأن قوة الله:

> هل أنت تعطي الفرس قوته وتكسو عنقه عرفا؟ أتوثبه كجرادة؟ نفخ منخره مرعب. يبحث في الوادي وينفز ببأس. يخرج للقاء الأسلحة. يضحك على الخوف ولا يرتاع، ولا يرجع عن السيف. عليه تصل السهام وسنان الرمح والمزراق. في وثبه ورجزه يلتهم الأرض، ولا يؤمن أنه صوت البوق. عند نفخ البوق يقول: هه! ومن بعيد يستروح القتال صياح القواد والهتاف. (أيوب ٣٩: ١٩-٢٥)

يجسد حصان الحرب، الفحل من الخيل، القلب الضاري لصانعه، وكذلك نحن أيضًا، فكل رجل هو «نبتة من هذا الجذع المنتصر» أو على الأقل كنا كذلك. يمكنك معرفة إلى أي نوع من الرجال تنتمي ببساطة عن طريق ملاحظة تأثير هذا الجذع عليك، هل يصيبك بالملل؟ هل يخيفك بنازيته العقائدية؟ هل يجعلك تود لو تصرخ من فرط لطفه؟ في بستان جثسيماني، في جوف الليل، يأتي إلى المسيح جمهورٌ من البلطجية «بمشاعل ومصابيح وسلاح» ليأخذوه. لاحظ الجُبن

– لماذا لم يأخذوه في ضوء النهار في وسط المدينة؟ هل ينكمش يسوعُ خوفًا؟ لا، بل يذهب ويواجههم بجرأة.

فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: «من تطلبون؟» أجابوه: «يسوع الناصري». قال لهم: «أنا هو». وكان يهوذا مسلمه أيضًا واقفًا معهم. فلما قال لهم: «إني أنا هو»، **رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض**. فسألهم أيضا: «من تطلبون؟» فقالوا: «يسوع الناصري». أجاب يسوع: «قد قلت لكم: إني أنا هو. فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون». (يوحنا ١٨: ٤ - ٨)

إن كنا نتحدث عن القوة فها هي القوة، إذ توجِّه القوة المطلقة للحضور الجريء ليسوع ضربةً عنيفة لهذه القوات. منذ عدة سنوات أعطاني رجل صالح نسخة من قصيدة كتبها «عزرا باوند» عن المسيح، اسمها «أغنية الصاحب العظيم» (Ballad of the Goodly Fere) وقد أصبحت مفضلة عندي. والقصيدة مكتوبة من منظور أحد الرجال الذين تبعوا المسيح، ربما سمعان الغيور، وكلمة (Fere) هي كلمة إنكليزية قديمة بمعنى **صاحب** أو **رفيق**:

هل فقدنا أفضل صاحب بين الأصحاب
من أجل الكهنة وعلى خشبة الصليب؟
نعم، كان محبًا للأقوياء،
وللسفن وللبحر الرهيب.

حين جاء جمهور ليأخذوا رجلنا
كان من الجميل رؤية ابتسامته،
«أولًا دعوهم يذهبون!» قالها صاحبنا العظيم،
واستطرد «وإلا فسترون الويل».

نعم أرسلَنا عبر الرماح العالية المتقاطعة
وسخرية ضحكته ترن عالية حرة،
قائلًا «لماذا لم تأخذوني حين كنت أجول
وحدي في المدينة؟»

شربنا نخبه في الخمر الأحمر الجيد
حين التقينا أخيرًا،
ولم يكن صاحبنا العظيم كاهنًا واهنًا
بل رجلَ الرجالِ كان.

رأيتُه يطرد مئة رجل
ضاربًا بحزمة حبال،
إذ اتخذوا من البيت العالي المقدس
مكانًا للرهن والأموال ...

رأيتُه يروِّع ألف رجل
على تلال الجليل،
وكانوا يئنون إذ سار فيما بينهم هادئًا،
بعينين كالبحر العظيم،

كالبحر الذي لا يسمح بالسفر
مع الرياح الطليقة العنان، الحرة،
كالبحر الذي أمره في جنيسارت
بكلمات قالها فجأة.

رئيس الرجال هو الصاحب العظيم،
رفيق الريح والبحر،
إن ظنوا أنهم ذبحوا صاحبنا العظيم
فهم حمقى إلى الأبد.

ليس يسوعُ «كاهنًا واهنًا» ولا صبي المذبح الشاحب الوجه بشعره المفترق في المنتصف، الذي يتحدث بنعومة، متفاديًا المواجهة، ويودي بنفسه في النهاية إلى القتل إذ لم يكن له مخرَجٌ. بل يعمل بالأخشاب ويصدر أوامره ضامنًا ولاء عمال السفن، هو رب الجنود، قائد جيوش الملائكة. وحين يعود المسيح سيكون على رأس صحبة مهيبة، ممتطيًا فرسًا أبيض، ومعه سيف ذو حدين، وثوبه مغموس في دم (رؤيا ١٩)، يبدو لي هذا أقرب لويليام والاس عن الأم تيريزا.

ما من شك بشأن هذا الأمر – هناك أمر ما يتسم بالقوة في قلب الله.

ماذا عن المغامرة؟

إذا كان لديك أي شك عما إذا كان الله يحب البرية، فاقضِ ليلة في الغابة... وحدك. قُم بالتمشية أثناء عاصفة رعدية، اقضِ بعض الوقت في التجديف بين مجموعة من الحيتان القاتلة، اجعل ذَكَر غزال أمريكي يغتاظ بسببك. فكرة مَن كان كل ذلك على أي حال؟ الحاجز المرجاني العظيم بما فيه من أسماك القرش الأبيض العظيم، وأدغال الهند بما فيها من نمور، وصحارى الجنوب الغربي بما فيها من الأفاعي الجرسية – هل يمكنك وصفها بالأماكن «اللطيفة»؟ معظم الأرض ليس آمنًا لكنه جيد. اكتشفتُ هذا الاكتشاف متأخرًا بعض الشيء أثناء سفري لأجد نهر كيناي العلوي في ألاسكا. كنتُ أنا وكريج صديقي نسعى وراء سمك السلمون وسمك قوس قزح العملاق الذي يعيش في هذه المياه الجليدية. كنا قد تلقينا تحذيرات بشأن الدببة، لكننا لم نأخذ الأمر بجدية، إلى أن كنا في عمق الغابة، كانت علامات وجود الدببة في كل مكان – أسماك سلمون مقطوعة الرؤوس منثورة على الطريق، وأكوام من روث بحجم كلاب صغيرة، وعلامات مخالب ضخمة على الأشجار على مستوى الرأس! قلت في نفسي **نحن ميتان. ماذا نحن فاعلان هنا؟**

ثم انتبهتُ إلى فكرة أن الله بعدما صنع كل هذا أعلن أنه **حسن**. تلك كانت وسيلته لإعلامنا أنه يفضل المغامرة والخطر والمجازفة وعنصر المفاجأة، فهذه الخليقة كلها دون الحاجة لاعتذار هي **جامحة**، ويحبها الله على هذا الشكل.

يفعل معظمنا كل شيء من أجل **تقليل** عنصر المخاطرة في حياتنا، فنرتدي أحزمة الأمان، ونتابع الكوليسترول، ونهتم بتنظيم الأسرة. أعرف بعض الأزواج الذين قرروا عدم إنجاب الأطفال مطلقًا، إذ ليسوا مستعدين للمجازفة نحو الحزن الذي قد يجلبه الأطفال أحيانًا، فماذا لو ولدوا بإعاقة؟ ماذا لو أداروا ظهورهم لنا ولله؟ ماذا لو ...؟

ومع ذلك، هذا هو العالم الذي قد صنعه الله – عالم يتطلب منا أن نعيش المخاطرة، لأن الله يريدنا أن نعيش **بالإيمان**. «ثم تدخل الرب» هي ربما أشهر جملة عنه في الكلمة المقدسة، بصياغة أو بأخرى، فلتنظر إلى القصص التي يكتبها. ها هي قصة بني إسرائيل المحاصرين أمام البحر الأحمر، ولا مفر، وفرعون منطلق هو وجيشه نحوهم في غضب شديد مهلك، ثم يظهر الله.

وهناك شدرخ وميشخ وعبدنغو الذين يخلُصون **بعد** أن يُلقوا في آتون النار، ثم يظهر الله. يدع الجماهير يقتلون يسوع، ويدفنونه... ثم يظهر. هل تعرف لماذا يحب الله كتابة قصص رائعة كهذه؟ لأنه **يحب الانتصار والخروج سالمًا**، يحب أن يرينا أن لديه كل ما هو مطلوب.

أمام جليات، الجندي الماهر والقاتل المتدرب، يرسل... ولدًا صغيرًا راعي خراف ذا وجه مليء بالنمش ومعه مقلاع. ويريد معظم القادة وهم ذاهبون إلى المعركة أكبر عدد ممكن من المشاة، لكن الله يختصر جيش جدعون من اثنين وثلاثين ألفًا إلى ثلاثمئة، ثم يسلِّح الفرقة الصغيرة الباقية من هنا وهناك بمصابيح وجرار ماء. ليس الأمر معركة أو اثنتين يخاطر فيهما الله، فهل فكرتَ بشأن التعامل مع البشارة؟ يحتاج اللهُ أن يوصل رسالة إلى الجنس البشري، يهلكون دونها... إلى الأبد، فما الخطة؟ أولًا يبدأ بأكثر مجموعة بعيدة الاحتمال: زانيتين، بضعة صيادين لم يحصلوا على تعليم يزيد عن الصف الثاني الابتدائي، وجابي ضرائب، ثم بعد ذلك يمرِّر الكرة لنا. شيء لا يُصدَّق!

أدت محاولةُ التوفيق فيما بين سيادة الله والإرادة الحرة للإنسان إلى إرباك الكنيسة لزمن طويل، وينبغي لنا أن نعترف بكل تواضع أن الأمر ينطوي على قدر عظيم من الغموض، لكن لأولئك العالمين بالمناقشة أنا لا أدعو هنا إلى الإيمان المفتوح بالله، مع ذلك فبالتأكيد هناك أمر جامح في قلب الله.

أميرة يُحارب من أجلها

كل بريته، وكل جموحه، لا ينفصلان عن قلبه الرومانسي، وغياب هذه النقطة عن اللاهوتيين يخبرنا عنهم أكثر مما يخبرنا عن الله. فالموسيقى والمتعة والشِعر والغروب... كلها اختراعاته **هو** لا اختراعاتنا، فقد اكتشفنا ببساطة ما فكَّر هو فيه مسبقًا. يختار المحبون، ومن يقضون شهر العسل أماكن مثل هاواي وجزر الباهاما وتوسكانا كخلفية لحبهم، لكن فكرة من كانت هذه الأماكن؟ لنقرِّب الأمر قليلًا، فكرة من كانت أن يخلق الإنسان بهذا التكوين، حيث تكون القُبلة بهذه اللذة؟ ولا يتوقف عند ذلك كما يعرف العشَّاقُ، فها هو الملك سليمان مبتدءًا من عينيها يتمتع بمحبوبته عبر مسار ليلة زفافهما، إذ يعشق شعرها وابتسامتها وشفتيها اللتين «تقطران شهدًا» و«تحت لسانها عسل ولبن»، وستلاحظ اتجاهه

إلـى أسفل:

> عنقك كبرج داود المبني للأسلحة ... ثدياك كخشفتي ظبية ... إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال، أذهب إلى جبل المر وإلى تل اللبان. (نشيد الأنشاد ٤ : ٤-٦)

وترد زوجته قائلة، «ليأتِ حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس» (نشيد الأنشاد ٤ : ١٦). أي إله هذا الذي يضع سفر نشيد الأنشاد ضمن الأسفار القانونية للكلمة المقدسة؟ فعلًا، هل من الممكن تخيُّل أن سفرًا مثيرًا مثل هذا كان من الممكن أن يضعه المسيحيون الذين تعرفهم **أنت** في الكتاب المقدس؟ ويا لها من لمسة رقيقة شعرية «كخشفتي ظبية». ليست هذه إباحية لكن من غير الممكن محاولة شرح الأمر كله باعتباره «مجازًا لاهوتيًا»، فذلك ليس واقعي بالمرة. في الحقيقة، يتحدث الله بنفسه في سفر النشيد مرة واحدة في السفر كله، حيث كان سليمان قد أخذ محبوبته إلى غرفته حيث يفعل الاثنان كل ما يفعله المحبون هناك، ويبارك الله كل ذلك، هامسًا «كلوا أيها الأصحاب، اشربوا، واسكروا أيها الأحباء» (نشيد الأنشاد ٥ : ١)، مقدمًا تشجيعه الخاص، كأن هناك احتياجًا لذلك، ثم يغلق الستائر.

لله قلب رومانسي، وله عروسه الخاصة التي يحارب من أجلها، وهو محبٌ غيور، وغيرته هي لقلوب شعبه ولحريتهم.

> من أجل صهيون لا أسكت، ومن أجل أورشليم لا أهدأ، حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد... وكفرح العريس بالعروس يفرح بكِ إلهك. (إشعياء ٦٢: ١، ٥)

وبرغم من زناها مع غيره، وبرغم أنها سقطت أسيرة لعدوه، إلا أن الله مستعد لتحريك السماء والأرض ليفوز بها مجددًا، ولن يوقفه شيء ليحررها:

> من ذا الآتي من أدوم، بثياب حمر من بصرة؟ هذا البهي بملابسه، المتعظم بكثرة قوته. «أنا المتكلم بالبر، العظيم للخلاص». ما بال لباسك محمر، وثيابك كدائس المعصرة؟ «قد دست المعصرة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد. فدستهم بغضبي، ووطئتهم بغيظي. فرش عصيرهم على ثيابي،

فلطخت كل ملابسي. لأن يوم النقمة في قلبي، وسنة مفديي قد أتت.»
(إشعياء ٦٣: ١-٤)

يا له من قلب شجاع حقًّا! يا له من شخص رهيب، جامح، وعاطفي، فلم أسمع «ميستر روجرز» يتكلم مثل هذا، وإذا فكرت في الموضوع حقًّا، فلم أسمع أيضًا أي شخص في الكنيسة يتكلم مثل هذا، لكن هذا هو الله إله السماء والأرض، أسد يهوذا.

الأولاد الصغار والبنات الصغيرات

وهذا هو أبونا، الأصل الذي منه يُستَمَد قلب الإنسان، محبة قوية شجاعة، فقد كتب جورج ماكدونالد،

أنت هو حياتي – أنا الغدير، وأنت النبع.
ولأن عينيك مفتوحتان، أستطيع أنا أن أرى،
ولأنك أنت أنت، فلذلك أنا ما أنا.
(مذكرات الذات القديمة)

لاحظت أن الكلمة التي نستخدمها غالبًا مع الأولاد هي **لا**، لا تتسلق ذلك، ولا تكسر أي شيء، ولا تكن عدوانيًّا بهذا الشكل، لا تكن صاخبًا بهذا الشكل، لا تكن فوضويًّا، لا تخاطر هذه المخاطرات المجنونة، لكن تصميم الله – الذي وضعه في الأولاد كصورة نفسه – هو **نعم** مدوية، كُن شرسًا، كن جامحًا، كن عاطفيًّا. لا يعني أي من هذا التقليل من حقيقة أن المرأة أيضًا تحمل صورة الله، فالذكوري والأنثوي يسيران معًا عبر الخليقة كلها، ويقول لويس «النوع هو حقيقة، وحقيقة أكثر جوهرية من الجنس... قطبية جوهرية تقسم كل المخلوقات.» فهناك الشمس، وهناك أيضًا القمر والنجوم، وهناك الجبل الوعر، وهناك حقل الزهور البرية الذي ينمو فوقه، يا له من منظر مهيب إذ ترى أسدًا، لكن هل رأيتَ لبؤة من قبل؟ هناك أيضًا أمر جامح في قلب المرأة، لكنه أنثوي حتى النخاع.

حواء وكل بناتها هن أيضًا نبتة من ذلك «الجذع المنتصر» ولكن بطريقة مختلفة رائعة. كمشير وصديق، وخاصة كزوج تشرفتُ بأن يرحِّب بي إلى قلب حواء

العميق، وغالبًا حين أكون مع امرأة أجد نفسي متسائلًا بهدوء **ماذا تخبرني عن الله؟ أعرف أنه يريد أن يقول شيئًا للعالم من خلال حواء – ما هو؟** ثم بعد سنوات من سماع صرخات قلوب السيدات اقتنعتُ تمام الاقتناع من هذا: يريد اللهُ أن يُحَب، يريد أن يكون الأولوية في حياة شخص ما، كيف يمكن أن يفوتنا هذا؟ من أول الكتاب إلى آخره، من البداية إلى النهاية، صرخة قلب الله هي «لِمَ لا تختارني؟» إنه لأمر يدهشني، كيف يكون الله بهذا الاتضاع وبهذه **الحساسية** فيما يختص بهذه النقطة! «فتجدونني» يقول الرب، «إذ تطلبونني بكل قلبكم» (إرميا ٢٩ : ١٣)، وبكلمات أخرى «ابحث عني، اسعَ إليَّ – أريدك أن تسعى إليَّ»، مدهش! يقول «توزر Tozer»: «ينتظر اللهُ أن يكون مرغوبًا فيه».

ونرى بالتأكيد أن الله لا يريد مجرد مغامرة، إنما مغامرة **يشترك فيها**، فهو لم يكن مضطرًّا لصنعنا، إنما **أراد** ذلك، وبينما يعرف اسم كل نجم، ويغطي ملكُه المجرات، إلا إنه يبتهج بكونه جزءًا من حياتنا. هل تعرف لماذا لا يجيب الصلاة مباشرة في أحيان كثيرة؟ لأنه يريد أن يتكلم إلينا، ومرات تكون هذه هي الطريقة الوحيدة لجعلنا نبقى **ونتكلم** إليه، فقلبه يتوق إلى علاقة، إلى مغامرة مشتركة إلى أعمق ما يمكن.

ونعم، لله جمال يمكن أن يكشفه، وهذا هو سبب أن الرجل يؤسر بالمرأة. فحواء هي تاج الخليقة، وإذا تتبعتَ قصة التكوين بعناية، فستجد أن كل مرحلة جديدة من الخليقة أفضل من المرحلة التي تسبقها، ففي البداية كان كلُّ شيء خاليًا، مظلمًا، لا شكل له، ثم يبدأ اللهُ تصميم المواد الأولية مثل فنان يعمل برسم تقريبي أو كتلة من الطمي، ثم ها النور والظلمة، اليابسة والبحر، الأرض والسماء – تبدأ الخليقة في اتخاذ شكل. وبكلمة تزين المملكةُ الزهريةُ الأرضَ، وتملأ الشمس والقمر والنجوم السماء، وبالتأكيد وبكل يقين يعبِّر عملُه عن تفصيل وتحديد أعظم، ثم يأتي بعد ذلك السمك والطير، الدرافيل والصقر الأحمر الذيل، ثم بعدها الحيوانات البرية، كل هذه المخلوقات المدهشة. سمكة السلمون المرقط هي مخلوق رائع، لكن الحصان مهيبٌ حقًّا، فهل يمكنك سماع صوت الموسيقى يرتفع تدريجيًّا، مثل سيمفونية عظيمة تُبنى ويرتفع مستوى نغماتها أعلى وأعلى؟

ثم يأتي آدم، انتصار عمل يديَّ الله، فلم يقل الله لأي عضو في المملكة الحيوانية

«أنت صورتي ذاتها، أيقونة شبهي.» إذ يحمل آدم شبه الله في قلبه المهيب الجامح العاطفي، ولكن لا تزال هناك لمسة أخرى أخيرة، فها هي حواء. هنا تأتي الخليقة إلى ذروتها، فهي لمسة الله الأخيرة. ها هو بولس يكتب أن الرجل «صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل» (اكورنثوس ١١ : ٧) وكل ما يمكن لآدم أن يقوله هو «رائع!» إذ تجسِّد حواءُ جمالَ الله وغموضه وحساسيته الرقيقة، ويقول الشاعر «ويليام بليك» إن «جسد المرأة العاري هو جزء عظيم من الأبدية، يفوق في عظمته قدرة عين الرجل.»

سبب رغبة المرأة في جمال لتكشفه، وسبب سؤالها **هل تبتهج بي؟** هو ببساطة أن الله يريد الأمر ذاته. فالله جمالٌ آسر، فها هو داود يصلي قائلًا «واحدة سألتُ من الرب وإياها ألتمس: أن... أنظر إلى جمال الرب» (مزمور ٢٧ : ٤)، هل من الممكن أن يكون هناك شكٌّ في أن الله يريد أن **يُعبَد**؟ وأن يُرى؟ وأن نُسبى بما نراه؟ كتب سي. إس. لويس: «جمال الأنثى هو أصل الفرح للأنثى كما للذكر... وأن ترغب هي في الاستمتاع بجمالها، هو بمثابة طاعة حواء، ولكليهما يتعلق الأمر بالمحب حيث يذوق المحبوب من استمتاعها هي.»

أعترف أن هذا الخط العام بسيط للغاية، فيمكن قول الكثير من الأمور ولا توجد تصنيفات جامدة وثابتة، إذ يحتاج الرجل أن يكون رقيقًا في بعض الأحيان، وستحتاج المرأة أن تكون قوية، لكن إن كان الرجل رقيقًا فقط، نعرف أن هناك أمرًا خاطئًا بشكل عميق، وإن كانت المرأة قوية فقط، نشعر أنها ليست على ما يجب أن تكونه. إذا نظرتَ إلى جوهر الأولاد والبنات الصغار أظن أنك ستجد أني لست ببعيد عن نقطتي، القوة والجمال، فها هو كاتب المزمور يقول:

> مرة واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعتُ: أن العزة لله، ولك يا رب الرحمة. (مزمور ٦٢: ١١-١٢)

الفصل الثالث

سؤال يطارد كل رجل

مأساة الحياة هي ما يموت داخل الرجل، بينما يستمر هو حيًّا.

–ألبرت شفايتسر

يبدأ ذاك في الموت، حين يتخلى عن رغباته.

–جورج هيربرت

هل تسمعني؟
صلِّ من أجل من يدَّعي
من بدأ حياته صغيرًا قويًّا
فقط ليستسلم في النهاية.

–جاكسون براون
«المدعي»
"The Pretender"
(© 1976 by Swallow Turn Music)

كان في حديقة الحيوان في مدينتنا واحد من أكبر الأسود الأفريقية التي رأيتها في حياتي، ذكر ضخم يزن حوالي خمسمائة رطل، له شعر رائع وأقدام في منتهى الضخامة، الأسد، أو (Panthera leo) باللاتينية، ملك الوحوش. كان بالتأكيد داخل قفص، لكن أؤكد لكم أن القضبان لم تقدِّم طمأنًا عظيمًا إذا وقفتَ على مسافة ستة أقدام من هذا الذي يمكن أن يعتبرك غداءً سهلًا إن رآك في أي موقف آخر، وللأمانة، كنت أشعر أن عليَّ أن أحرس أولادي ونقف على مسافة آمنة منه كما لو كان بمقدرته أن يهجم علينا حقًّا إن أراد. ومع ذلك فضلت، حين كان الآخرون يتجولون نحو بيت القردة أو النمور، أن أعود ثانية لبضع دقائق في حضرة هذا القوي النبيل المميت. ربما كان الأمر عبارة عن خوف ممزوج بإعجاب، وربما كان الأمر أن قلبي ببساطة كان ينفطر لهذا القط الكبير العجوز.

كان من المفترض لهذا المخلوق الرهيب الرائع أن يكون في الخارج يطوف وسط السافانا مسيطرًا ممارسًا عزته، ضاربًا بالخوف في قلب كل الحيوانات البرية، مسقطًا الحمير الوحشية والغزلان إذا أراد. وبدلًا من ذلك كان يقضي كل ساعة من كل نهار وكل ليل من كل سنة وحيدًا، في قفص أصغر من غرفة نومك، يقدَّم له طعامه عبر باب معدني صغير. في بعض المرات كنت أسمع زئيره قادمًا من التلال في وقت متأخر من الليل بعدما تذهب المدينة إلى النوم، ولم يكن صوت زئيره بهذه الشراسة بل بالأحرى كان صوتًا حزينًا. وخلال كل زياراتي لم ينظر إلى عينيَّ قَط، مع إني كنت في احتياج ماس إلى أن ينظر إليَّ. كنت أريد أن يحدِّق فيَّ، وأود لو حاول مهاجمتي، لكنه كان يرقد هناك فقط، مثقلًا بهذا الثقل العميق الناتج عن الملل، آخذًا أنفاسًا ضحلة، متمايلًا من جنب إلى جنب بين الحين والآخر.

إذ بعد سنوات من العيش داخل قفص، لا يؤمن الأسد بعد أنه أسد... ولا يؤمن الرجل بعد أنه رجلٌ.

أسد يهوذا؟

يتسم الرجل بالشراسة... بالعاطفة... بجموح القلب؟ لن يمكنك معرفة ذلك ممن يسير بشكل طبيعي مرتديًا بدلته. وإن كان الرجل هو صورة أسد يهوذا، فبم نفسر وجود الكثير من النساء الوحيدات، والكثير من الأطفال دون أب، والقليل من **الرجال** حولنا؟ لماذا يبدو وكأن العالم مليء «بكاريكاتير» الذكورة؟ فها هو جارنا الذي يسكن وراءنا، يقضي كل عطلة نهاية الأسبوع أمام التليفزيون يشاهد الرياضة بينما يلعب أبناؤه في الخارج – من دونه. لقد صار لنا تسعة أعوام نسكن هنا وأظن أني رأيته يلعب مع أولاده ربما مرتين، فما الأمر؟ لماذا **لا يشترك**؟ وذلك الجار الآخر القاطن في الشارع المجاور، فهو يشترك في سباقات الدراجات النارية ويقود شاحنة ضخمة ويرتدي سترة من الجلد، ويبدو وكأنه يختال نوعًا ما في مشيته، كنت أظن أن «جيمس دين» قد توفي منذ عدة أعوام! ما الأمر؟ يبدو الأمر رجوليًّا، لكنه أيضًا يبدو كرتونيًّا، مبالغًا فيه.

بم نفسر أنه حينما ينظر الرجال في قلوبهم لا يكتشفون أمرًا شجاعًا خطرًا، بل يجدون غضبًا وشهوة وخوفًا؟ أشعر معظم الوقت أني خائف أكثر مما أشعر أني شرس، لماذا؟ كتب «ثورو» منذ مئة وخمسين سنة «تعيش النسبة الكبيرة من الرجال حياة اليأس الصامت» ولا يبدو أن أي شيء قد تغير. وها هي جملة من فيلم (Braveheart) تقول: «يموت كل الرجال، وقلَّة قليلة فقط تحيا حقًّا»، ولذلك تعيش معظم النساء حياة الاعتزال الصامت، إذ يئسن من وجود أمل في رجل حقيقي.

تبدو الحياة الحقيقية للرجل المتوسط أبعد ما يكون عن رغبات قلبه، فما من معركة ليحارب فيها، اللهم إلا من زحام المرور ومقابلات العمل والمشاحنات والفواتير. أولئك الذين يلتقون لاحتساء القهوة صباح كل خميس في المقهى المحلي ولمشاركة بضع آيات من الكتاب المقدس مع بعضهم البعض – أين معركتهم العظيمة؟ وأولئك من يقضون الوقت في صالات البولينج ويدخنون ويحتسون الكثير من الخمر – هم أيضًا في نفس المكان، فلقد استُبدل بسيوف الطفولة وقلاعها أقلامُ الرصاص ومكاتب العمل، ونُحِّيتِ المسدسات وقبعات رعاة البقر جانبًا، واستبدل بها السيارات والرهن العقاري. صور الشاعر «إدوين روبنسون» اليأس الصامت كالآتي:

«مينيفر تشيفي»، طفل السخرية،
نما ضعيفًا بينما كان يصارع المواسم،
بكى أنه وُلد من الأساس،
وكانت له أسبابه.

أحبَّ «مينيفر» أيام القدم
حين كانت السيوف لامعة والجواد يقفز منطلقًا
رؤية المحارب الشجاع
تجعل قلبه يرقص فرحًا.

«مينيفر تشيفي»، الذي ولد متأخرًا جدًا،
حكَّ رأسه آخذًا في التفكير،
وسعل، ودعا الأمر قدَرًا،
وواصل الشُرب الكثير. («مينيفر تشيفي»)

دون وجود معركة عظيمة يمكن للرجل أن يعيش فيها ويموت، يخبو الجزء الشرس من طبيعته تحت الأرض ويضطرب نوعًا ما في غضب متجهم يبدو وكأنه بدون سبب. كنت على طائرة إلى الساحل الغربي منذ عدة أسابيع، وفي وقت العشاء وفي وسط الوجبة قام الشخص الجالس أمامي بإرجاع مقعده إلى أقصى ما يمكن، دافعًا بجسمه عدة مرات ليتأكد من رجوع المقعد. وددتُ لو وجهتُ إليه ضربة تذهب به إلى مقاعد الدرجة الأولى. يواجه أحد أصدقائي بعض المشاكل في متجر ألعاب الأطفال الذي يملكه، لأن الأطفال الذين يأتون إلى المتجر «يجعلونه يستشيط غضبًا» فيغضب ويستفز، الأمر الذي لا يُعتبر جيدًا للمتجر. ويعترف الكثير جدًا من الرجال، الرجال الصالحين، بفقدان أعصابهم مع أطفالهم بشكل مستمر. وها هو شخص آخر أمامي في الإشارة أمس، تحولت الإشارة إلى اللون الأخضر لكنه لم يتحرك، وأظن أنه لم يكن منتبهًا، فأطلقتُ بوق سيارتي قليلًا للفت انتباهه إلى حقيقة أن هناك الآن أكثر من عشرين سيارة وراءنا، فخرج الرجل من سيارته في لمح البصر، صارخًا بتهديدات ومستعدًا لعراك، وللحقيقة كنت أريد بشكل ماس أن ألتقيه هناك. الرجال غاضبون، ولا نعلم السبب الحقيقي.

ولماذا هناك الكثير من «أرامل الرياضة» من خسرن أزواجهن كل عطلة نهاية

الأسبوع لصالح ملعب الكرة أو التيليفزيون؟ لماذا يدمن الكثير جدًا من الرجال الرياضة؟ هي أكبر مغامرة قد يتذوقها الكثير منهم في حياته. لماذا يخسر الكثير جدًا من الآخرين نفوسهم في مسارهم الوظيفي؟ نفس السبب. لاحظت يومًا ما أن «وول ستريت جورنال» تعلن عن نفسها للرجال باعتبارها «مغامرات في الرأسمالية»، وأعلم أشخاصًا يقضون ساعات على الإنترنت في التجارة الإليكترونية للأوراق المالية، فهناك نكهة من الإثارة والمخاطرة في الأمر، ما من شك في ذلك. ومن يلومهم على ذلك؟ فباقي حياتهم عبارة عن أعمال روتينية مضجرة. وليست مصادفة أن الكثير من الرجال يقعون في علاقة لا من أجل الحب، ولا حتى من أجل الجنس، لكن، باعترافاتهم الخاصة، من أجل المغامرة. لقد قيل للكثير من الرجال أن يضعوا تلك الروح المغامرة وراءهم وأن يكونوا «مسؤولين»، بمعنى أن يعيشوا فقط من أجل الواجب. كل ما تبقى هو صور على الحائط لأيام ولت، وربما بعض المعدات المكومة في الجاراج. يكتب «إد سيمبسون»:

الرجال بعد سن الأربعين
يصحون ليلًا،
ينظرون إلى أضواء المدينة
ويتساءلون
أين اتخذوا المنعطف الخطأ
ولِم تطول الحياة بهذا الشكل.

أتمنى أنك ترى الصورة الآن، فإذا لم يجد الرجل تلك الأشياء التي صُنع قلبه من أجلها، وإذا لم يُدع حتى ليعيشها على الإطلاق من قلبه العميق، فسيبحث عنها بطريقة أخرى. لماذا تعتبر المواد الإباحية هي الفخ رقم واحد للرجال؟ فهو يتوق إلى الأميرة، لكن دون قلبه الشرس العاطفي لا يمكنه أن يجدها أو يفوز بها أو يحتفظ بها. وبرغم انجذابه بقوة إلى المرأة، لا يعرف كيف يحارب من أجلها أو حتى أن **عليه** أن يحارب من أجلها، وبدلًا من ذلك، يجدها في الأغلب لغزًا يعرف أن ليس بإمكانه حله. لذلك، فعلى مستوى النفس يظل بعيدًا، وبشكل خاص في الخفاء يتحول إلى الزائف، فالذي يجعل المواد الإباحية إدمانية هو أن المواد الإباحية أكثر من أي شيء آخر في حياة رجل ضال، تجعله **يشعر** كأنه

رجل دون أن يتطلب منه الأمر شيئًا، فكلما قلَّ شعور الرجل بأنه رجل حقيقي في محضر امرأة حقيقية، كان أكثر عرضة للإباحية.

لذا فقلب الرجل، المنساق نحو المناطق الأكثر إظلامًا في النفس، والمحروم من الأشياء ذاتها التي يرغبها في أعماقه، يخرج هذا القلب إلى الأماكن الأكثر إظلامًا. تنطوي صراعات الرجل، وجراحه وإدماناته على أكثر من ذلك، لكن تلك هي الأسباب الجوهرية، وقد حذر الشاعر «جورج هيربرت» قائلًا «يبدأ ذاك في الموت، حين يتخلى عن رغباته.» وبالمناسبة، كلنا يعرف ذلك، يعرف كل رجل أن أمرًا ما حدث، أن أمرًا ما ليس على ما يرام... لكننا لا نعلم ما هو.

خوفنا

قضيتُ عشرة أعوام من حياتي في المسرح، كممثل ومخرج، وكانت في أغلب الأحيان سنوات سعيدة، كنتُ صغيرًا ومفعمًا بالحيوية وأجيد عمل ما كنت أعمله، وكانت زوجتي جزءًا من شركة المسرح التي أديرها. كان لدينا الكثير من الأصدقاء المقربين هناك. أقول لكم هذا لتتفهموا ما أنا بصدد كشفه، فبالرغم من حقيقة أن ذكرياتي في المسرح كلها ذكريات سعيدة تقريبًا، أرى هذا الكابوس المتكرر كثيرًا، ها هو: أجد نفسي فجأة في مسرح – مسرح ضخم على شاكلة «برودواي»، مسرح من النوعية التي يتطلع إليها كل ممثل ليمثل فيه. الأضواء في مقاعد المشاهدين ضعيفة، أما الأضواء على المسرح نفسه فكاملة. لذا فمن موضعي على المسرح أستطيع بالكاد أن أري الجمهور، لكني أشعر أن المسرح ممتلئ، وتوجد فقط أماكن للوقوف، إلى هنا كل شيء على ما يرام، إذ يعشق الممثلون التمثيل في مسرح ممتلئ بالجمهور، لكني لا أعشق هذه اللحظة على الإطلاق، إذ قد شلَّني الخوف، والمسرحية قد بدأت وعليَّ جزء مصيري، لكن ليست لديَّ أدنى فكرة أية مسرحية هي، ولا أعرف الدور الذي من المفترض أن أقوم به، ولا أعرف الجمل الخاصة بي، ولا حتى أعرف أي الأجزاء من الحوار من المفترض أن أرد عليها.

هذا هو أعمق خوف لدى كل رجل: أن يكون مكشوفًا، أن يُفتضح أمره، أن يُعرف أنه محتال، وأنه ليس حقًا رجلًا. لا يتعلق الحلم بالتمثيل على الإطلاق، فهذا هو فقط مجرد سياق لخوفي، ولديك أنت سياقك الخاص. يحمل الرجل صورة الله

في قوته، ليس بشكل جسماني، لكن في النفس، وبغض النظر عن مدى معرفته بالقصة الكتابية، فلو كان هناك أمرٌ واحد يعرفه الرجل فهو أنه يعرف أنه مصنوعٌ **لينجو ويكون منتصرًا**، ومع ذلك يتساءل... **هل أقدر؟ هل سأفعل ذلك؟** حين تأتي الصعاب، وحين يكون الأمر مهمًا، هل سينتصر حقًا؟ عاشت نفسي لسنوات عديدة في هذا الاضطراب، وكنتُ مرات أصحو في الصباح بإحساس من القلق ليس له مصدر مباشر، شاعرًا باضطراب في معدتي. سألني يومًا ما صديقي العزيز «برينت»، «ماذا تفعل الآن بما إنك لم تعد تمثل؟» أدركتُ في تلك اللحظة أن حياتي كانت مثل الأداء المستمر، كأنني دائمًا «على المسرح»، كنتُ أشعر في كل موقف أن عليَّ أن أثبت ذاتي ثانية، فبعد أن أكون قد تحدثت أو درَّست فصلًا دراسيًّا أظل منشغلًا بما سيقوله الآخرون آملًا أن يقولوا إن الأمر كان جيدًا، وبدت كل جلسة مشورة كأنها اختبارٌ جديد: **هل يمكنني أن أنجو منتصرًا ثانية؟ هل كان انتصاري الأخير هو كل ما لديَّ؟**

حصل أحد عملائي على ترقية عظيمة وزيادة في راتبه، وأتى إليَّ مكتئبًا، فكان لسان حالي ياللعجب! لماذا؟ يتوق كل رجل إلى أن يُمتدح، وفوق ذلك أن يحصل على راتب جيد، فاعترف أن برغم الشعور العظيم الذي شعر به حيال الإطراء، إلا أنه عرف أن تلك الترقية هي بمثابة إعداد له لسقطة أكبر، وغدًا سيكون عليه أن يعيد الكرَّة مرة أخرى، وأن يؤدي أداءً عظيمًا ثانية. يشعر كل رجل أن العالم يطلب منه أن يكون شخصًا ما، بينما يشكُّ هو شخصيًا أن لديه ما يمكنه ليكون ذلك الشخص، وهذا أمر سائد على مستوى العالم، فحتى الآن لم ألتقِ قط برجل أمين لا يعترف بذلك. نعم، هناك الكثير من الرجال المغفلين الذين يتساءلون عن أي شيء أتكلم، فبالنسبة لهم الحياة جيدة، وهم على أتم ما يرام. انتظر! إن لم يكن هذا حقًّا وفعلًا انعكاسًا لقوة أصيلة يكون الأمر برمته بيتًا مصنوعًا من الكرتون، سينهار إن آجلًا أو عاجلًا. فسيظهر الغضب أو إدمان ما، أو سينتج صداعٌ أو قرحة أو ربما علاقة غرامية.

للأمانة – كيف ترى نفسك كرجل؟ هل ستختار كلمات مثل قوي، جياش العواطف، خطر؟ هل لديك الشجاعة لتسأل من تعرفهم ماذا يظنون هم فيك كرجل؟ ما الكلمات التي تخشى أن يختاروها؟ ذكرتُ فيلم (Legends of the Fall) وكيف أن كل رجل شاهد الفيلم يرغب في أن يكون «تريستان»، لكن الأغلب يرون أنفسهم مثل ألفريد أو صموئيل. لقد تكلمتُ مع الكثير من الرجال بشأن فيلم

(Braveheart) وعلى الرغم من أن كل واحد منهم دون استثناء يود أن يكون ويليام والاس البطل المحارب الخطر، إلا أن الأغلب يرون أنفسهم مثل «روبرت ذا بروس» الرجل الضعيف المهدَد الذي ينكمش دائمًا تحت الضغط. أود لو أفكر في نفسي مثل إنديانا جونز، لكني أخشى أن أكون أقرب الشبه من «وودي آلان».

كتب الكوميديان «جاريسون كيلور» مقالًا مضحكًا جدًا عن هذا الامر في (The Book of Guys)، إذ أدرك يومًا ما أنه لم يكن أمينًا بشأن نفسه كرجل. جلس ليكتب قائمة بنقاط القوة ونقاط الضعف لديه:

أشياء مفيدة أستطيع عملها

أكون لطيفًا.

أرتب السرير.

أحفر حفرة.

أكتب كتبًا.

أغني في المساحة الصوتية للألتو أو الباص.

أقرأ الخرائط.

أقود سيارة.

أشياء مفيدة لا أستطيع عملها

أقطع أشجارًا كبيرة، صانعًا خشبًا أو حطبًا.

أتحكم في جواد، أدرب كلبًا أو أرعى قطيعًا من الحيوانات.

أتحكم في مركب من دون أن أتسبب في هلع الآخرين.

أقذف الكرات السريعة أو المنحنية أو المنزلقة في البيسبول.

أعمر مسدسًا وأستخدمه وأنظفه، أو أستخدم القوس والسهم، أو أستخدم أحدهما، أو حربة أو شبكة أو شركًا أو كيدًا، أو بندقية الأنبوب،

للحصول على الطعام.

أدافع عن نفسي بيديَّ المجردتين.

يعترف «كيلور»: «ربما لا يعتبر هذا التقرير سيئًا فيما يتعلق **بشخص ما**، لكني لا أعرف أي أشخاص... فبالنسبة لرجل، ليس الأمر على ما يرام. قد تقرأ سيدة القائمة وتقول، 'ما المهم في أن يعرف الرجل كيفية التحكم في مركب؟ أو أن يقذف كرة منحنية؟ أو أن يصطاد غزالًا؟ أو أن يسدد ضربة يسرى في الملاكمة؟ إننا في سنة ١٩٩٣.' لكن هذه نظرة نسائية للرجولة.» كنتُ أنا و«كريج» نمزح بشأن هذا بينما نقطع طريقنا عبر الغابة المليئة بالدببة في ألاسكا، وكان الرجال الوحيدون الآخرون الذين التقيناهم على مدار اليوم كله مجموعة من السكان المحليين في طريق خروجهم، وبدوا وكأنهم من مجلة (Soldier of Fortune) - ببنادق صغيرة، ومسدسات، وأحزمة عريضة من الذخيرة متدلية على صدورهم، وسكاكين ضخمة. كانوا جاهزين، لديهم ما يحتاجونه، أما نحن، فكانت معنا صافرة، أتكلم بكامل الجدية! هذا ما أحضرناه من أجل رحلتنا الخطرة عبر البرية: صافرة! شابان مدللان في أوضح صورة! واعترف «كريج» قائلًا «أنا؟ - ماذا يمكنني حقًّا أن أفعل؟ أتحدث جديًّا، أعرف كيف أشغِّل جهاز الفاكس!»

هذا هو شعور معظم الرجال حيال استعدادهم ليدخلوا في معركة، ليحيوا في مجازفة، وليسْبُوا الأميرة. معنا صافرة! لاحظ أنه برغم وجود **الرغبة** لمعركة نحارب فيها ومغامرة نعيشها وأميرة ننقذها، وبرغم أن أحلام صبانا كانت مليئة يومًا ما بهذه الأمور، إلا أننا لا نظن أننا على المستوى المطلوب. لماذا لا يلعب الرجال دور الرجال؟ لماذا لا يقدمون قوتهم إلى عالم في حاجة ماسة إلى هذه القوة؟ لسببين بسيطين: نشك بشكل كبير أن لدينا أي قوة حقيقية لنقدمها، ومتأكدون بشكل قاطع أنه إن قدمنا ما لدينا فلن يكون ذلك كافيًا. هناك أمر ما ليس على ما يرام، ونحن نعلم ذلك.

ماذا حدث لنا؟ الإجابة موجودة جزئيًا في قصة الجنس البشري، وجزئيًا في تفاصيل قصة كل رجل.

ما الغرض من الرجل؟

لماذا خلق الله آدم؟ ما الغرض من الرجل؟ إذا عرفتَ الهدف الذي صُمم الشيء

من أجله، تعرف الغرض منه في الحياة، فها هو كلبُ الاستكشاف يعشق الماء، ويعشق الأسد الصيد، ويعشق الصقر أن يحلق، فهذا ما صنعوا لأجله، إذ تكشف الرغبةُ التصميمَ، ويكشف التصميمُ المصيرَ. في حالة البشر، يُكشف تصميمُنا أيضًا من خلال رغباتنا، فها هي المغامرة كمثال، أُعطي آدم وكل أبنائه من بعده إرسالية مهولة: تسلطوا وأخضعوا، أثمروا واكثروا. «ها هي الأرض كلها يا آدم، استكشفها، واحرثها وارعها – فهي مملكتك.» آه! ... يالها من دعوة، فهذا إذنٌ بعمل الكثير جدًا من الأمور أكثر بكثير من عبور الطريق، تصريح للوصول إلى خط الاستواء، إرسالية لبناء قلعة «كاميلوت»، وكانت فقط عدن وقتها جنة، أما كل شيء آخر فكان برية بحسب ما نعرف. لم يكن نهرٌ قد وثِّق ولا محيط قد عُبر ولا جبال صُعدت. لم يكن أحد قد اكتشف الجزيء أو حقن الوقود أو كتب السيمفونية الخامسة لبيتهوفن، كان الكل صفحة بيضاء في انتظار أن تُكتب، لوحة بيضاء في انتظار أن تُرسم.

يظن معظم الرجال أنهم هنا على الأرض ببساطة لقتل الوقت – لكنهم يُقتلون، فالحقيقة هي العكس تمامًا. الاشتياق الخفي لقلبك، سواء كان لبناء مركب والإبحار بها، أو لكتابة سيمفونية وعزفها أو لزراعة حقل والعناية به – تلك هي الأشياء التي خُلقتَ لتعملها، وهذا هو الغرض من وجودك هنا، أن تستكشف وتبني وتغلب – ولست محتاجًا لأن تخبر ولدًا أن يعمل تلك الأشياء لسبب بسيط وهو أن **ذلك هو هدفه**، لكن الأمر سيحتاج مجازفة ومخاطرة، وهذا هو الشرط، فهل نحن على استعداد لنحيا مع مستوى المخاطرة التي يدعونا الله إليها؟ يوجد شيء ما بداخلنا يتردد بهذا الشأن.

لنتناول رغبة أخرى – لماذا يتوق الرجل إلى معركة ليحاربها؟ لأننا حين ندخل قصة سفر التكوين فإننا نخطو نحو عالم في حالة حرب، فالحدود قد رسمت بالفعل. والشر في انتظارٍ لأخذ خطوته التالية. ففي مكان ما قبل عدن في غموض الأزلية الماضية كان هناك انقلابٌ، تمردٌ، محاولة اغتيال، فقد تمرَّد لوسيفر رئيس الملائكة وقائد الحرس ضدَّ الثالوث، وحاول اختلاس عرش السماء بالقوة، بمعونة ثلث الجيش الملائكي الذين قد غرس فيهم حقده، لكنهم فشلوا وألقي بهم بعيدًا عن محضر الثالوث، لكنهم لم يُدمروا، ولم تنتهِ المعركة، والآن أصبح لله عدوٌّ... وكذلك لنا نحن أيضًا. فلا يولد الإنسان في مسرحية كوميدية أو مسلسل درامي، بل يولد في عالم في حالة حرب، فليس هذا

بالمسلسل الكوميدي (Home Improvement) بل (Saving Private Ryan)، وسيكون هناك الكثير والكثير من المعارك في ساحات قتال مختلفة.

وأخيرًا، لماذا يتوق آدم إلى أميرة لينقذها؟ لأن هناك حواء، وسيحتاجها، وستحتاجه، وفي الحقيقة فإن معركة آدم الأولى والأعظم على وشك أن تندلع، كمعركة من أجل حواء، لكن دعوني أعد المشهد بشكل أوضح. قبلما تؤخذ حواء من جنب آدم تاركة ذلك الوجع الذي لا يخبو أبدًا إلى أن يكون معها، يعطي الله آدم بعض التعليمات بشأن العناية بالخليقة، ودوره في القصة التي ستتكشف، والأمر بسيط جدًا وكريم جدًا، «من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها» (تكوين ٢: ١٦-١٧). حسن، سمع معظمنا بشأن هذا، لكن لاحظ ما الذي **لا** يقوله الله لآدم.

ليس هناك تحذيرٌ أو تعليمات عما يوشك أن يحدث: إغواء حواء. هذا أمر مربك، فهناك شيء ما مفقود بشكل ملحوظ من الحوار ما بين آدم والله كالتالي: «يا آدم، هناك أمر آخر، بعد مرور أسبوع من يوم الثلاثاء، حوالي الساعة الرابعة عصرًا، ستكون أنت وحواء في البستان وسيحدث أمر خطير، فهل أنت منصت إليَّ يا آدم؟ يتعلق المصير الأبدي للجنس البشري بهذه اللحظة، وهذا ما أريدك أن تفعله...» لا يخبره، ولا حتى يذكر الأمر له، بحسب ما نعرف. يا للهول! – **ولِم لا؟** لأن الله **يثق في** آدم، وهذا ما قد صُمم آدم **لأجله** – أن يجتاز المحن وينجو، لا يحتاج آدم لتعليمات خطوة بخطوة، لأن هذا ما قد خُلق آدم لأجله، فكل شيء موجود، كل ما يحتاجه موجود، في تصميمه، في قلبه.

غني عن الذكر أن القصة لا تسير على ما يرام، إذ يسقط آدم، ويخذل حواء وباقي البشرية. دعني أسألك: أين آدم بينما تغوي الحية حواء؟ واقفٌ هناك: «وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل» (تكوين ٣: ٦). الكلمة العبرية المترجمة إلى «معها» تعني «موجود هناك كتف بكتف»، فلم يكن آدم بعيدًا في جزء آخر من الغابة، فليس لديه عذر، فهو واقفٌ هناك، يشاهد الأمر كله يتطور. ماذا يفعل؟ لا شيء، لا شيء على الإطلاق، لا يقول كلمة واحدة، ولا يرفع إصبعًا فلن يجازف، ولن يحارب، ولن ينقذ حواء. أبونا الأول – أول رجل حقيقي – استسلم للعجز، إذ حرم نفسه من طبيعته ذاتها وصار سلبيًّا، ويحمل كلُ رجل من بعده، كلُ ابنٍ لآدم نفس الفشل، يكرر كل رجل خطية آدم، كل يوم، فلا نجازف، ولا نحارب، ولا ننقذ

حواء، فحقًّا من شابه أباه فما ظلم.

حتى لا نتجاهل حواء يجب أن أشير هنا إلى أنها هي أيضًا تخذل تصميمها، فحواء معطاة لآدم باعتبارها بالعبرية (ezer kenegdo) أي خاصته - أو كما تُرجمت في ترجمات عديدة إلى «معين نظيره» أو «مساعد» (helper). ولا يبدو أن الأمر ينطوي على الكثير، أليس كذلك؟ إذ تجعلني الكلمة أفكر في منتجات (Hamburger Helper) للأغذية، لكن يقول «روبرت آلتر» إن هذه الكلمة «معروفة بصعوبتها في الترجمة»، فهي تعني أمرًا أقوى بكثير من مجرد «معين»، إذ تعني «**المنقذ**»، والعبارة مستخدمة في أماكن آخرى للإشارة فقط إلى الله، حين تحتاجه احتياجًا ماسًا أن يأتي لينجّي. «ليس مثل الله يا يشورون. يركب السماء في معونتك» (تثنية ٣٣: ٢٦). حواء مانحة حياة، وهي حليف آدم، فتصريح المغامرة يُعطى لهما **كليهما**، فسيحتاج الأمر إليهما معًا لمواصلة الحياة، وسيحتاج الاثنان أن يحاربا معًا.

حواء خُدعت... وخدعت بطريقة سهلة كما تشير صديقتي «جان مايرز». تقول جان في (The Allure of Hope)، «كانت حواء مقتنعة أن الله ممسكٌ شيئًا عنها»، ولم تكن حتى عظمة عدن لتقنعها أن قلب الله جيدٌ. «حين [خُدعتْ] حواء، هوت البراعة الفنية لكونها امرأة نحو الأماكن القاحلة من السيطرة والوحدة.» والآن تريد كل بنات حواء أن «تتحكم في محيطها، في علاقاتها، في إلهها.» فلم تعد بعد ضعيفة، بل هي الآن تريد الأكثر، لم تعد بعد تريد ببساطة أن تتشارك في المغامرة، بل تريد الآن أن تسيطر عليها. وفيما يتعلق بجمالها، إما تخفيه في خوف وغضب أو تستخدمه لتؤمِّن مكانها في العالم. «في خوفنا ألا أحد سيتكلم بالنيابة عنا أو يحمينا أو يحارب من أجلنا، نبدأ في إعادة خلق أنفسنا ودورنا في القصة، فنتلاعب بما يحيط بنا لكيلا نشعر بقلة الحيلة.» تصبح حواء التي سقطت إما جامدة أو لزجة، فببساطة لم تعد حواء **جذابة**، فهي إما مختبئة في انشغالها أو مُلحَّة أن يأتي آدم لنجاتها، وعادةً يكون الأمر مزيجًا غريبًا من الاثنين.

متصنّعون

يعلم آدم الآن أنه أخفق إخفاقًا عظيمًا، وأن أمرًا ما ليس على ما يرام، وأنه ليس

على الصورة التي صُمم ليكونها، إذ لا يتخذ آدم قرارًا سيئًا فحسب، بل **يفرِّط** في أمرٍ أساسي في طبيعته. إنه الآن مشوه، وقد سقطت قوته، وهو يعلم ذلك. ماذا يحدث بعد ذلك؟ يختبئ آدم. «خشيتُ، لأني عريان فاختبئتُ» (تكوين ٣ : ١٠). لا تحتاج لدراسة علم النفس لتفهم الرجال، افهم تلك الآية ولتدرك تداعياتها جيدًا، وستفاجأ بأن الرجال من حولك أصبحوا في بؤرة التركيز، فنحن جميعًا مختبئون. كل واحد منا، وجميعنا ندرك أيضًا أننا لسنا على ما قُصد لنا أن نكونه، فها نحن خائفون بشدة من أن نُكتشف، مرعوبون من أن نُرى كما نحن وما **لسنا عليه**، وقد جرينا نحو الشجيرات للاختباء، نختبئ في مكتبنا، في صالة الجيمنازيوم، خلف الجريدة، وفي معظم الأحوال **وراء شخصيتنا**، ومعظم ما تراه حين تلتقي رجلًا هو مظهر زائف، ورقة تين مدروسة بدقة، تنكُّر عبقري.

في طريق العودة من عشاء في الخارج في ليلة ما، كنت أنا وصديق لي نتجاذب أطراف الحديث بشأن الحياة والزواج والعمل. وحين تعمَّقتِ المحادثة بدأ في الاعتراف ببعض الصراعات التي يمر بها، ثم جاء بهذا الاعتراف: «في الحقيقة يا جون أشعر أني أسيِّر أموري في الحياة [بالفهلوة]... وأن يومًا ما قريبًا سيُكتشف أني محتال.» تعجبتُ جدًا، فهذا الرجل محبوب وناجح يحبه معظم الناس حال لقائه، فهو ذكي، مفوَّه، جذاب، ورياضي، متزوج من امرأة جميلة، ولديه وظيفة عظيمة، ويقود سيارة حديثة، ويعيش في بيت كبير، فما من شيء في الخارج يقول: «إنه ليس رجلًا حقًّا»، لكن في داخله تختلف القصة. هذا هو الحال دائمًا.

قبل أن أذكر مطلقًا الكابوس الذي كنت فيه على المسرح وليس معي ما يُقال، شاركني صديق لي بأن لديه هو أيضًا كابوسًا متكررًا، يدور حول قتل ومكتب التحقيقات الفيدرالي. وعلى ما يبدو أنه، بحسب ما يراه في حلم، قد قتل شخصًا ما ودفن جثته وراء منزله، لكن السلطات تضيق الخناق عليه وهو يعرف أنهم سيكتشفون مسرح الجريمة في أي لحظة وسيُمسك. ودائمًا ما ينتهي الحلم مباشرة قبل أن يُكتشف، ويصحو من نومه في عرق بارد. «سأُكتشف في أي يوم» فكرة تتكرر كثيرًا بيننا نحن الرجال، والحقيقة هي أن معظمنا نتظاهر ونلفِّق مسيرنا في الحياة، ونختار فقط تلك المعارك التي نكون على يقين من الفوز فيها، وفقط تلك المغامرات التي نكون على يقين من التعامل معها، وفقط تلك الأميرات اللاتي نكون على يقين من إنقاذهن.

دعني أسأل الرجال الذين لا يعرفون الكثير عن السيارات: كيف تتكلم مع الميكانيكي؟ أعرف قليلًا عن إصلاح السيارات، لكني لا أجهل الكثير، وحين أكون مع الميكانيكي أشعر بأن لا جدوى مني، فماذا أفعل؟ أتظاهر بالمعرفة، أدَّعي، أتخذ طريقة تبدو عفوية مسترخية أتخيل أن يستخدمها «الرجال» حين يتسكعون حول شاحنة الغداء، وأنتظره ليتحدث. يقول: «يبدو أنه خليط الوقود»، «نعم، ظننتُ كذلك.» «متى كانت آخر مرة أصلحت الكارب؟» «آه، لا أعلم... ربما منذ سنين» (أخمِّن أنه يتكلم عن الكاربيراتير، وليست لديَّ أدنى فكرة إن كان قد أصلح مطلقًا.) «حسن، من الأفضل عمل ذلك الآن، وإلا فسينتهي بك الأمر على أحد الطرق الريفية على بعد أميال من أي مكان، وستُضطر وقتها أن تعمل ذلك بنفسك.» «نعم» أقولها بشكل عفوي كما لو أني أفضل ألا أزعج نفسي بأن أكون مضطرًا لإصلاح ذلك الشيء برغم أني أعرف أنه لن تكون لديَّ أدنى فكرة من أين أبدأ، فكل ما معي هو صافرة، أتذكرون ذلك؟ قلت له أن يبدأ، فمد يده الكبيرة المشحَّمة ولسان حاله **أنا أعرف الأدوات حق المعرفة**. وأنا، ماذا عساي أن أفعل حيال يده الممدودة؟ إذ أرتدي معطفًا ورابطة عنق، لأني سأقدم محاضرة في لقاء غداء لمجموعة من السيدات، لكن لا يمكنني أن أقول: «يا إلهي، أفضِّل ألا تتسخ يداي»، فأسلم عليه قابضًا على يده قبضة قوية.

وماذا عنكم يا رفاق، يا من تعملون في عالم الشركات: كيف تتصرفون في مجلس الإدارة حين يكون النقاش حاميًا؟ ماذا تقول حين يضغطك الرئيس في العمل؟ «جونز، ماذا يحدث بحق الجحيم في القسم الخاص بك؟ أنتم متأخرون لثلاثة أسابيع في ذلك المشروع!» هل تحاول التنصل من المسؤولية؟ «في الحقيقة يا سيدي، أرسلنا التخطيطات لقسم ماكورميك لاستكمال الخطوات منذ عدة أسابيع» أم هل تتصنع الجهل؟ «حقًّا؟ لم تكن لديَّ أدنى فكرة. سأنجز الأمر مباشرة.»، أو ربما تراوغ للخروج من الموقف: «هذه المهمة من أسهل ما يكون، سيدي... سننتهي منها هذا الأسبوع». منذ عدة سنوات قضيتُ فترة من العمل في عالم الشركات، وكان الرئيس رجلًا مخيفًا، مسببًا رعبًا للكثيرين في مكتبه، وكانت خطتي هي بشكل أساسي أن أحاول تفاديه بأي ثمن، وحين كنتُ ألتقيه صدفة في رواق الشركة، حتى في إطار حديث ودي، كنتُ دائمًا أشعر وكأني طفل في العاشرة.

ماذا عن الرياضات؟ منذ بضع سنوات تطوعتُ لأدرب فريق البيسبول الذي يلعب

فيه ابني، وكان هناك اجتماعٌ إجباري على جميع المدربين أن يحضروه قبل الموسم لاستلام المعدات والاستماع إلى «البيان الموجز». أحضر قسم الترفيه لاعب بيسبول محترفًا متقاعدًا، ليعطينا خطبة حماسية، وكان التصنُّع لا يُصدق، فها هي مجموعة من الآباء الصُلع ببطونهم المترهلة يختالون متباهين، متحدثين عن أيامهم التي ولت حين كانوا يلعبون البيسبول، قاذفين تعليقات هنا وهناك عن لاعبين محترفين كما لو كانوا يعرفونهم شخصيًا، باصقين بين الحين والآخر (بدون مبالغة). كان «توجههم» (وهي كلمة لطيفة) غليظًا لدرجة أني كنت في حاجة إلى أحذية غوص! كانت هذه أكبر مجموعة من المتصنعين التقيتها في حياتي... خارج الكنيسة.

يحدث نفس الأمر في صباح أيام الآحاد، هي فقط مجموعة مختلفة من القواعد، إذ يلتقي «ديف» و«بوب» مصادفة في رواق الكنيسة، وقد رسم كلاهما وجهًا سعيدًا على الرغم من أنهما غير سعيدين على الإطلاق. «يا بوب، كيف حالك؟» في الحقيقة بوب غاضب جدًا من زوجته وعلى استعداد لتركها، لكنه يقول: «رائع، رائع يا ديف. الرب صالح!» على الجانب الآخر لم يصدق ديف في صلاح الله لسنوات طويلة، منذ قُتلت ابنته، «أكيد – الله صالح، دائمًا، أنا سعيد بوجودي هنا، مسبحًا الرب» «أنا أيضًا، حسنًا، سأصلي من أجلك!». أودُّ حقًّا أن أرى سجلًا بعدد الصلوات **المُصلاة فعلًا** مقابل عدد الصلوات الموعود بها، أراهن أنها في حدود الواحد في الألف. «وسأصلي أنا من أجلك أيضًا. حسنًا، ينبغي أن أذهب! اعتن بنفسك» «اعتن بنفسك» هي طريقتنا لقول «لقد انتهيتُ من هذه المحادثة وأريد الخروج من هنا، لكنني لا أريد أن أبدو وقحًا، لذا سأقول شيئًا يبدو لطيفًا وذا معنى.» ولكن في الحقيقة، «ديف» لا يهتم البتة بأمر «بوب».

قوة فسدت

يسقط آدم، ومعه كل أبنائه، وبعد ذلك ماذا ترى بينما تتوالى أحداث القصة؟ رجالًا يتسمون بالعنف، ورجالًا يتسمون بالسلبية، أي أن القوة فسدت، إذ يقتل قايين هابيل، ويهدد لامك بقتل الآخرين جميعًا، ثم يرسل الله أخيرًا طوفانًا إلى الأرض بسبب عنف الرجال، لكن العنف لا يزال مستمرًا. مرات يكون جسمانيًا، ومعظم الوقت لفظيًا. أعرف رجالًا مسيحيين يقولون لزوجاتهم أبشع الكلمات،

أو يقتلونهن بصمتهم، الصمت البارد القاتل، وأعرف رعاةً لطفاء ودودين على المنبر، لكنهم يرسلون من دائرة الأمان في مكاتبهم رسائل إليكترونية سامة إلى العاملين معهم. هذا جُبن، كل ذلك جبنٌ. افتتنتُ بالقراءة في المذكرات اليومية لقادة الحرب الأهلية، كيف ينتهي الحال بالرجال الذين تظنهم أبطالًا حقيقيين بالعكس تمامًا. صرَّح أحد العسكريين أن «أولئك الأشراس المستعدين دائمًا لقتال الشوارع يكونون جبناء في ساحة المعركة المفتوحة.». اتفق معه رقيب من نفس الكتيبة قائلًا: «لا أعرف بلطجيًّا واحدًا ممن يتشاجرون بالأيدي إلا وكان جنديًا جبانًا.» فالعنف، أيًا كان شكله، هو غطاء **للخوف**.

ماذا عن الناجحين، الرجال الذين يعملون بجد ويتقدمون في الطريق أمامهم؟ معظم ذلك مبني على الخوف أيضًا، ليس كله لكن معظمه. لسنوات طويلة كنت طموحًا ذا دوافع عالية، ساعيًا إلى الكمال، ذا شخصية توصف بأنها من الطراز الأول. كانت طلباتي من نفسي ومن أولئك العاملين معي كثيرة، ولم تكن زوجتي تحب الاتصال بي في العمل، إذ كانت تقول: «يكون صوتك صوت العمل»، بكلمات أخرى تكون ورقة التين خاصتك ظاهرة. كان كل ذلك التباهي والثقة المفترضة والطموح ينبع من الخوف – الخوف المتمثل في أني إن لم أفعل ذلك فسيُكتشف أمري أني أقل من رجل. لذا لا تخفق، ابق متيقِّظًا دائمًا، أعطِ ١٥٠٪. الناجحون يظهرون في شكل مقبول اجتماعيًا من الرجال المتسمين بالعنف، مبالغين في الأمر بطريقة أو بأخرى، وتميل خسائرهم لأن تكون زيجاتهم، وعائلاتهم، وصحتهم. وإلى أن يواجه الرجل هذا بأمانة ويواجه ما وراء هذا، فسيتسبب في ضرر بالغ.

ثم هناك أيضًا الرجل السلبي، وإبراهيم مثال جيد، إذ يختبئ خلف رداء زوجته حين تتأزم الأمور، فحين يُجبر هو وأهل بيته بسبب مجاعة لأن يذهب إلى مصر يخبر فرعون أن سارة أخته لكيلا يُقتل. يغامر بتعريضها للخطر ليحمي نفسه، ويأخذ فرعون سارة لتنضم إلى حريمه، لكن تُكتشف الحيلة كلها حين يضرب اللهُ المصريين بالأمراض. قد تظن أن إبراهيم قد تعلم الدرس، لكن لا – يفعل الأمر ذاته بعد سنين حين ينتقل إلى الجنوب. وفي الحقيقة يداوم ابنُه إسحاق على نفس التقليد مغامرًا برفقة بنفس الطريقة، وها هي خطايا الأب تُمرر. إبراهيم رجل صالح، خليل الله، لكنه أيضًا يخاف، وأعرف الكثيرين مثله. هم رجال لا يقدرون على التعهد والالتزام للنساء اللواتي ربطوهن معهم لسنوات

طويلة، رجال لا يقفون أمام الراعي ليخبروه بما يظنون، رعاة وقادة مسيحيون يختبئون وراء ورقة تين اللُّطف و«الروحانية» ولا يواجهون موقفًا صعبًا أبدًا أبدًا. هم أشخاص ينظمون مشابك الورق، ورجالًا يختبئون وراء الجريدة أو التيلفزيون ولا يتكلمون مع زوجاتهم أو أبنائهم.

أنا أيضًا مثله – ابن حقيقي لإبراهيم. ذكرتُ أن السنين الأولى في حياتنا في المسرح كانت سنين جيدة – لكن ليست هذه القصة الكاملة، فلقد كانت لديَّ علاقة... مع عملي. تزوجتُ زوجتي دون حل الأسئلة الأعمق داخل نفسي أو حتى معرفة تلك الأسئلة، وفجأة، في اليوم التالي لحفل زفافنا، أجد نفسي أواجه حقيقة أن لديَّ الآن هذه المرأة كرفيقتي الدائمة، وليست لديَّ أدنى فكرة عن معنى أن أحبها حقًا، ولا إن كان لديَّ أيٌّ مما كانت تحتاجه مني. **ماذا لو قدمتُ لها كل ما لديَّ كرجل ولم يكن كافيًا؟** كانت مجازفة لم أكن مستعدًا للدخول فيها، لكني كنت أعرف أن لديَّ المطلوب في المسرح، لذا بدأت ببطء في قضاء وقت أكثر وأكثر هناك، أوقات متأخرة من الليل، عطلات نهاية الأسبوع، وفي النهاية كل لحظة كنت مستيقظًا فيها. كنتُ أختبئ، مثل آدم، هاربًا من حقيقة أن قوتي كانت مطلوبة وأنا أشك حقًّا إن كانت لديَّ أي قوة.

الدليل واضح: لقد أرسل سقوط آدم وحواء رجفةً عبر الجنس البشري، ودخل خللٌ قاتلٌ في النسخة الأصلية، ويمر هذا الخلل إلى كل ابن وابنة، لذا يأتي كل ولد صغير وكل بنت صغيرة إلى العالم والترتيب العام يعدُّهما لفقدان الشجاعة. حتى إن لم نستطع التعبير بالكلمات، فكل رجل يطارده السؤال: «هل أنا رجلٌ حقًّا؟ هل لديَّ المطلوب... حين يكون الأمر مصيريًّا؟» الجزء التالي هو قصتنا الشخصية المألوفة أكثر وأكثر.

الفصل الرابع

الجرح

كانت أم بيلي الصغير دائمًا تخبره بالضبط بالمسموح وما ليس مسموحًا عمله، وكان كل المسموح بها مملًا، وكل غير المسموح مثير. كان شيء من الأشياء غير المسموح بها على الإطلاق، هو الأكثر إثارة على الإطلاق، الخروج عبر بوابة الحديقة وحده واستكشاف عالم ما وراء الحديقة.

–رول دال
The Minipins

في الساحة يقف الملاكم
والمحارب، فهذه صنعته
حاملًا كل ما يذكِّرُه
بكل قفاز طرحه أرضًا
وجرحه حتى صرخ باكيًا
في غضبه وفي خزيه
«سأذهب، سأذهب»
لكن المحارب يستمر ويبقى.

–بول سايمون
«الملاكم»
(©1968 by Paul Simon)

أعتقد أني الوحيد في كل المجموعة من آتى كل هذا الطريق عبر نورماندي دون أن أُجرح.

–جندي «ويليام كرافت»، فوج المشاة رقم ٣١٤

إن قصة سقوط آدم هي قصة كل رجل، فهي بسيطة ومباشرة، لدرجة ملحمية في إيجازها وعمقها، لذا يأتي كل رجل إلى العالم وقد أُعد له فقدان قلبه، ثم تأتي القصة التي ندركها أكثر وأكثر – قصتنا الخاصة. بينما تبدو قصة آدم بسيطة ومباشرة، تبدو قصتنا معقدة ومليئة بالتفاصيل، فهناك شخصيات أكثر، ومن الأصعب تتبع سير أحداث الرواية، لكن الناتج واحد دائمًا: جرح في النفس. فكل ولد في رحلته ليصبح رجلًا يتلقى سهمًا في مركز قلبه، في مكان قوته، ولأن الجرح نادرًا ما يناقَش ونادرًا بالأكثر ما يُشفى، يحمل كل رجل جرحًا، ويكون الجرح تقريبًا دائمًا من قِبل أبيه.

أعمق سؤال لدى الرجل

في إحدى أمسيات أغسطس الدافئة منذ عدة سنوات، كنت أنا وأولادي نتسلق الجبال في مكان يُدعى بستان الآلهة (Garden of the Gods) بالقرب من منزلنا. كانت النتوءات الحجرية الحمراء هناك تبدو وكأنها ظهر وحش عظيم ظهر على السطح للتو قادمًا من قبو الزمن. كلنا نحب التسلُّق ويذهب عشقنا له إلى ما وراء المغامرة. فهناك شيء ما يدعوك بشأن مواجهة حائط من الحجر وقبول تحديه والسيادة عليه. لا يدعوك فقط، بل أيضًا يختبر ويؤكد لك ما الذي صُنِعتَ منه. بالإضافة إلى ذلك، سيتسلق الأولادُ كل شيء على أي حال – الثلاجة، الدرابزين، شجرة العنب التي يمتلكها جارنا – فلِم لا نمارس الأمر في الخارج؟ وهو مبرر أيضًا لشراء بعض المعدات المتميزة. وعلى كل حال حين أتسلق مع الأولاد نستخدم دائمًا حبلًا من فوق، بمعنى أنني قبل الصعود أعدُّ حماية من فوق الحجر إلى الأسفل، ويمكِّنني ذلك من أن أثبت من الأسفل، وبذلك يمكنني تدريبهم أثناء ذهابهم. ويمكنني رؤية كل حركة لهم، ومساعدتهم عبر النقاط الصعبة. كان «سام» أول من تسلق هذا اليوم، وبعدما ثبَّتَ الحبل بدأ محاولته.

كانت الأمور تسير على ما يرام إلى أن اصطدم بجزء بارز، جعله يشعر بالخطر بالرغم من كونه مربوطًا. لم يستطع سام تخطيه وبدأ في الشعور بالخوف أكثر وأكثر كلما طال وقت بقائه هكذا، وتبع ذلك دموعه التي تساقطت سريعًا، فقلت له معيدًا إليه الطمأنينة بشكل لطيف أن يتجه راجعًا إلى أسفل، وأنَّه لا يلزم تسلق ذلك الجزء اليوم، وأني أعرف جزءًا آخر من الممكن أن يكون أكثر إمتاعًا. «لا» قالها واستأنف: «أريد أن أفعل ذلك»، تفهَّمتُ ذلك، إذ يجيء وقتٌ حين يكون علينا ببساطة أن نواجه التحديات في حياتنا ونتوقف عن التراجع للوراء. لذا ساعدتُه بدفعة صغيرة فوق هذا البروز، وأكمل هو بسرعة أعلى وثقة أفضل. «حسنًا تفعل يا سام!، تبدو رائعًا! تمامًا... والآن تقدم ناحية اليمين... نعم، والآن ادفع موطئ قدمك هذا... حركة جيدة.»

لاحظ هذا الجزء الحيوي الذي يمثله «الحديث العفوي» في أي رياضة ذكورية، فهذه هي طريقتنا في تشجيع أحدنا الآخر دون أن يبدو الأمر وكأننا نشجع أحدنا الآخر، إذ نادرًا ما يمتدح الرجال بعضهم البعض بطريقة مباشرة كما تفعل النساء: «تيد، تعجبني ملابسك الرياضية للغاية، تبدو رائعًا اليوم.» فنحن نمدح بطريقة غير مباشرة عن طريق إنجازاتنا: «آه، تسديدة جيدة يا تيد، يالها من ضربة عظيمة.» وبينما كان سام يصعد كنت أقدم كلمات النصح والتحذير، حتى جاء إلى نقطة تحدٍ أخرى، لكنه تغلب عليها مباشرة هذه المرة، وها هو على بعد بضع خطوات من القمة. «حسنًا تفعل يا سام، أنت **وَحْشٌ يا رجل**». أنهى التسلق وبينما كان يهبط من الجانب الخلفي بدأتُ أنا في تثبيت الحبل في سرج «بلين»، وبعد عشر دقائق أو ربع الساعة كنتُ قد نسيتُ القصة، لكن سام لم ينسها. فبينما كنت أرشد أخاه «بلين» للصعود على الحجر، جاءني سام خلسة وسأل في صوت هادئ، «بابا ... هل حقًّا ترى أني وَحْشٌ؟»

إذا ضاعت منك تلك اللحظة ضاع قلبُ الولد إلى الأبد، فليس هذا سؤالًا - بل هو السؤال، السؤال الذي يشتاق كل ولد ورجل ليسأله، هل لديَّ المطلوب؟ هل أنا قويٌّ؟ فإلى أن يعرف الرجل أنه رجل سيظل يحاول إلى الأبد أن يثبت أنه رجل، بينما في نفس الوقت سيظل خائفًا من أي شيء قد يكشف أنه ليس كذلك. يعيش معظم الرجال حياتهم مطارَدين بالسؤال أو عاجزين بسبب الإجابة التي تعطى لهم.

من أين تأتي الذكورة

لكي تفهم كيف يجرح الرجل ينبغي أن تفهم الحقيقة المركزية لرحلة الولد نحو الرجولة: الذكورة **تُمنَح**. إذ يتعلَّم الولدُ من هو وماذا لديه من قِبل رجل أو من صحبة رجال. فلا يمكنه تعلم ذلك في أي مكان آخر، فلا يمكنه تعلم ذلك من أولاد آخرين، ولا يمكنه تعلم ذلك من عالم النساء. فالخطة من بداية الزمن كانت أن أباه سيضع الأساسات لقلب الولد الصغير، وسيمرِّر له المعرفة الأساسية والثقة في قوته، حيث يكون بابا هو أول رجل في حياته وأهم رجل إلى الأبد. وفوق ذلك، سيجيب **السؤال** من أجل ابنه وسيعطيه اسمه. فعبر تاريخ الإنسان المقدم لنا في الكلمة المقدسة، الأب هو من يعطي البركة، وبذلك «يسمِّي» الابن.

يأخذ آدم اسمه من الله، كما يأخذ مع ذلك سلطان التسمية، إذ يسمِّي حواء، لذا أعتقد أن من الممكن القول إنه يسمي أولادهما أيضًا. نعرف أن إبراهيم يسمي إسحاق. وعلى الرغم من أن يعقوب وعيسو على ما يبدو تسميهما أمهما، إلا أنهما يتوقان إلى **البركة** التي تأتي فقط من يد أبيهما، ويحصل يعقوب على البركة وبعد ذلك بقرن تقريبًا يمرِّرها إلى أبنائه. بينما يرتكن إلى عكازه – ويعطيهم اسمًا وهوية. «يهوذا جرو أسد... يساكر حمار جسيم... يكون دان حية... جاد، يزحمه جيش، ولكنه يزحم مؤخره... يوسف، غصن شجرة مثمرة... ثبتت بمتانة قوسه» (تكوين ٤٩: ٩، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٢، ٢٤). أبو يوحنا المعمدان سماه يوحنا، برغم أن باقي العائلة كانوا سيسمونه على اسم أبيه زكريا. حتى يسوع كان في احتياج لسماع كلمات التأييد تلك من أبيه، فبعدما يعتمد في الأردن، وقبل الهجوم الضاري على هويته في البرية، يتحدث أبوه قائلًا: «أنت ابني الحبيب، بك سررتُ» (لوقا ٣: ٢٢)، وبكلمات أخرى «يا يسوع، أنا فخورٌ عميق الفخر بك، إذ لديك المطلوب.»

تأسرني بشكل خاص إحدى قصص تسمية أب لابنه، وتدور حول بنيامين آخر ابن وُلد ليعقوب. فها راحيل تلد الولد لكنها ستموت نتيجة لذلك، ومع آخر نفَس لديها تسميه بن أوني والذي يعني «ابن حزني»، لكن يعقوب يتدخل ويسميه بنيامين – «ابن يميني» (تكوين ٣٥: ١٨) وهذه خطوة حساسة، حين لا يتلقى الولد هويته فيما بعد من الأم، لكن من الأب، ولاحظ أن الأمر تطلب **تدخلًا** فعالاً من

الرجل، والأمر دائمًا كذلك.

الأمهات والأبناء

يجيء الولد إلى العالم عن طريق أمه، وهي مركز عالمه في الشهور والسنين الرقيقة الأولى، إذ ترضعه وتغذيه وتحميه وتغني له وتقرأ له وتعتني به كالقول القديم «كالدجاجة الأم»، وفي الغالب تسميه أيضًا أسماء رقيقة مثل «حَمَلي الصغير» أو «حبيب ماما الصغير» أو حتى «حبيبي الصغير». لكن لا يستطيع الولد أن ينمو نحو الرجولة باسمٍ مثل ذلك، ناهيك باسمٍ مثل «ابن حزني». ويأتي وقتٌ للتحوُّل حين يبدأ في السعي نحو حب أبيه واهتمامه، حيث يريد أن يلعب الكرة والمصارعة مع بابا، ويريد قضاء وقت في الخارج معه أو في ورشته. وإذا كان بابا يعمل خارج المنزل، كما هو الحال مع معظم الآباء، يصبح رجوعه في المساء أكبر حدث في يوم الولد، وتستطيع «ستاسي» إخباركم متى حدث ذلك مع كل ولد من أولادنا، فهذا وقتٌ صعب جدًا في حياة الأم، حين يكون الأب مكانها كالشمس في عالم الولد، وهذا جزء من حزن حواء، هذا الإطلاق، حيث استبدل بها شخصًا آخر.

قليل جدًا من الأمهات يفعلن ذلك طواعية، والقليل جدًا جدًا يفعلن ذلك جيدًا، إذ تطلُب الكثيرات من النساء من أبنائهن أن يملأوا فراغًا في نفوسهن، فراغًا تركه أزاوجهن، لكن للولد سؤالًا يحتاج إجابة، ولا يمكنه الحصول على إجابته من أمه، إذ لا يمكن للأنوثة أن تمنح الذكورةَ. كانت أمي تطلق عليَّ كثيرًا «حبيبي»، بينما كان أبي يناديني «نمر»، أي اتجاه تظن أن الولد سيريد أن يتخذ؟ سيظل يعود إلى أمه من أجل الراحة (المكان الذي يجري إليه الولدُ حين يجرح ركبته؟)، لكنه يرجع إلى بابا من أجل المغامرة، من أجل فرصة اختبار قوته، وفوق الكل من أجل الحصول على إجابة لسؤاله. مثال تقليدي لهذه الأدوار المتنازعة حدث في إحدى الأمسيات، إذ كنا في السيارة على الطريق وكان الأولاد يتكلمون عن نوع السيارة التي يريدون الحصول عليها حين يحين الوقت لأول سيارة لهم. «كنتُ أفكر في سيارة فاخرة، أو دراجة بخارية، أو ربما دبابة. ماذا تظن يا بابا؟» «أعتقد السيارة، ومن الممكن تثبيت مدفع رشاش فوقها»، «ماذا عنكِ يا ماما - أي نوع سيارة تريدين لي؟» تعرفون ما قالت ... «سيارة متينة».

«ستاسي» أم رائعة، فكم من مرات كظمت غيظها وظلت صامتة بينما ننطلق أنا والأولاد إلى مغامرة ما طالبين تدميرًا أو إراقة دماء، لذا أول جواب لها كان – «سيارة متينة» – إنه جواب طبيعي ومفهوم جدًا. على كل حال هي تجسيد لرقة الله، لكن إن لم تسمح الأم لابنها أن يكون خطِرًا، وإذا لم تسمح للأب أن يأخذه، فستكون بمثابة من يحدث له إعاقة. قرأتُ للتو قصة أم، مطلقة من زوجها، لأنها غضبت للغاية لأنه أراد أن يأخذ الولد للصيد، وحاولتِ الحصول على أمر رسمي لمنعه من تعليم الولد استخدام البنادق، ذلك هو الإعاقة. كما قال لي شابٌ: «لم تكن أمي لتدعني ألعب «بجي آي جو»»، وقال آخر: «كنا نعيش في الشرق بالقرب من حديقة ملاهي، وكانت هناك السفينة الدوارة – من النوع الخشبي القديم، لكن ماما لم تكن لتدعني أذهب للسفينة أبدًا.» ذلك أيضًا إعاقة يحتاج الولد لأن يُنقَذ منها عن طريق التدخل النشط من الأب أو من رجل آخر.

هذا النوع من التدخل معبَّر عنه بقوة في فيلم (A Perfect World)، حيث يلعب «كيفين كوستنر» دور سجين هارب يأخذ ولدًا صغيرًا رهينة ويتجه نحو الحدود، ولكن تتوالى الأحداث ونرى أن ما يبدو وكأنه دمار الولد هو في الحقيقة **افتداء** له، فحين يخطف «كوستنر» الولد وجده مرتديًا ملابسه الداخلية، وذلك ما تريد الكثير من الأمهات لأبنائهن، حتى ولو دون وعي، إذ تريد حبيبها الصغير قريبًا منها. وعلى مدار الأيام التالية، بينما هما «معًا على الطريق» يتقارب كوستنر والولد – الذي ليس له أبٌ. وحين يعرف أن أم الولد لم تسمح له قط بركوب السفينة الدوارة يشتعل غضب كوستنر. نرى في المشهد التالي الولد رافعًا ذراعيه في الهواء، مندفعًا في الطرق الريفية على سطح السيارة الكبيرة، فتلك هي الدعوة إلى عالم الرجل، العالم الذي يتضمن الخطر، ويكمن في هذه الدعوة **التأييد** «يمكنك التعامل مع هذا الأمر، مكانك هنا معنا.»

تأتي لحظة حين يشتري كوستنر بنطالًا للولد (الرمزية في الفيلم رائعة)، لكن الولد لا يريد تغيير ملابسه أمامه، فهو ولد خجول لم يكن حتى قد ابتسم حتى الآن في القصة، ويشعر كوستنر أن أمرًا ما ليس على ما يرام.

«ما الأمر – لا تريدني أن أرى قضيبك؟»

«إنه ... ضئيل»

«ماذا؟»

«إنه ضئيل»

«من قال لك ذلك؟»

الولد المدعو فيليب، يصمت صمتَ الإعاقة والخزي، فصوت غياب الأب مدوٍّ وعالٍ، فيتدخل كوستنر ويتحدث قائلًا «دعني أرى ... هيا، سأخبرك بصدق.» يعرِّي الولدُ نفسه مترددًا، «لا يا فيليب، هذا حجم جيد بالنسبة لولد في سنك»، تنطلق ابتسامة على وجهه كإشراقة الشمس، ويصبح من الواضح أنه اجتاز مرحلة كبيرة بالنسبة له.

من قوة إلى قوة

الذكورة روح من الصعب التعبير عنها لكنها ما يتوق إليه الصبي كما يتوق إلى الطعام والماء، وهي أمرٌ يُمرَّر بين الرجال. يقول «روبرت بلاي»: «أدت الطريقة التقليدية لتربية الأبناء التي استمرت لآلاف السنين إلى وجود آباء وأبناء يعيشون في علاقة قريبة بدرجة عالية جدًا. بينما كان الأب يعلِّم الابن حرفة ما: الزراعة أو النجارة أو الحدادة أو الخياطة.» علمني أبي اصطياد السمك، فكنا نقضي أيامًا طويلة معًا في مركب في البحيرة محاولين اصطياد السمك، ولن أنسى أبدًا أبدًا سعادته بي حين كنت أمسك بواحدة. لم يكن السمك حقًا بالأمر المهم أبدًا، بل كانت السعادة، والتواصل، والحضور الذكوري الذي به منح نفسه لي بسعادة: «أحسنت أيها الصبي، هذه سمكة النمر! أحضرها هنا! حسنًا فعلت!» استمع إلى الرجال حين يتكلمون بدفء عن آبائهم وستسمع نفس الأمر: «علمني أبي كيفية إصلاح الجرارات الزراعية، وقذف الكرة بمهارة، وصيد السمان.» وبرغم التفاصيل فما يُمرر بشكل أكبر هو المباركة الذكورية.

يقول بلاي: «يعيش الآباء والأبناء في معظم الثقافات القبائلية وهم يقبلون أحدهما الآخر بطريقة ممتعة، فهناك الكثير ليتعلمه الابن، لذا يقضي الأب والابن ساعاتٍ محاولين ومخفقين معًا، ليصنعا رؤوس السهام أو ليصلحا حربة أو ليتتبعا حيوانًا ماهرًا. وحين يقضي الأب والابن ساعات طويلة معًا، الأمر الذي لا يزال بعض الآباء والأبناء يفعلونه حتى الآن، يمكننا قول إن مادةً ما تكاد تشبه الطعام تُمرَّر من الجسد الأكبر إلى الأصغر.» لهذا يحب أبنائي المصارعة معي

– وهـذا هـو السـبب الـذي يجعـل أي صبـي سـويّ يريـد عمـل نفـس الشـيء مـع أبيـه، فهـم يحبـون الاتصـال الجسـماني، وأن يلامسـوا خـدي، ليشـعروا باحتـكاك شـاربي، شـاعرين بقوتـي مـن حولهـم، ويختبـروا قوتهـم معـي.

هـذا **الاختبـار** هـو الأمـر الأساسـي، فحيـن كبـروا أصبحـوا يحبـون لعـب مباريـات ملاكمـة معـي، وقـد فعلهـا «لـوك» هـذا الصبـاح. فهـا أنـا فـي الطابـق الأرضـي أعـد الفطـور، ويستشـعر «لـوك» الفرصـة فيتسـلل إلـى الطابـق الأسـفل ويتتبعنـي فـي صمـت. وحيـن يكـون علـى بعـد مناسـب يسـدد لـي لكمـة تؤلمنـي. والأولاد **يحتاجـون أن يدركـوا** أنهـا تؤلـم، فهـل لهـم قـوة مثـل قـوة بابـا؟ هـل تنمـو قوتهـم، هـل هـي قـوة حقيقيـة ودائمـة؟ لـن أنسـى أبـدًا ذلـك اليـوم حيـن تسـبب «سـام» فـي نـزف شـفتي دون قصـد حيـن كنـا نتصـارع. فـي البدايـة تقهقـر فـي خـوف، منتظـرًا غضبـي، وأشـعر بالأسـى مـن ذلـك، لكـن لحسـن الحـظ فـي هـذا الموقـف مسـحتُ الـدم عـن شـفتي، وابتسـمتُ، وقلـتُ «يـاه ... ضربـة جيـدة»، فاسـتنارت عينـاه، لا، بـل **اختـال**، كمـن يهـدد بقرنيـه، وانتشـرت القصـة عبـر المنـزل وجـاء أخـواه الصغيـران إلـى المشـهد، وعيونهمـا متسـعة منبهريـن مـن حقيقـة أن واحـدًا منهـم قـد تسـبب فـي نـزف دم، وفُتحـت إمكانيـات جديـدة، فقـد تنتصـر الغـزلان علـى الثـور العجـوز.

يذكِّرنـا بـلاي قائـلاً: «كانـت المجتمعـات القديمـة تؤمـن أن الولـد يصبـح رجـلًا فقـط مـن خـلال الطقـوس والجهـد – فقـط عبـر 'التدخـل الفعـال للرجـال الأكبـر'»، إذ ينبغـي علـى الأب أو رجـل آخـر التدخـل الفعـال، وعلـى الأم أن 'تتـرك'. يحكـي «بـلاي» قصـة طقـس مـن طقـوس إحـدى القبائـل، الـذي يتضمـن، كمـا هـو الحـال فـي كل القبائـل، أن يأخـذ الرجـال الولـد بعيـدًا لممارسـة طقـوس الانضمـام للعضويـة، لكـن فـي هـذه الحالـة، حيـن يرجـع، تتظاهـر أم الولـد بأنهـا لا تعرفـه، وتطلـب أن يعرفوهـا علـى «الشـاب». تلـك صـورة جميلـة عـن كيفيـة تعـاون الأم فـي مسـألة دخـول ابنهـا إلـى عالـم الأب، فـإن لـم تفعـل ذلـك تتعـرض الأمـور للكثيـر مـن الفوضـى فيمـا بعـد – خاصـة فـي الـزواج، إذ يكـوِّن الولـد رابطـة مـع أمـه تشـبه زنـا المحـارم العاطفـي، وتكـون انتماءاتـه منقسـمة، ولذلـك تقـول الكلمـة المقدسـة، «لذلـك **يتـرك الرجـل** أبـاه وأمـه ويلتصـق بامرأتـه» (تكويـن ٢ : ٢٤).

فـي بعـض الأحيـان، حيـن تلتصـق الأم، سـيحاول الولـد أن يفصـل نفسـه عنهـا بعنـف، ويأتـي هـذا بشـكل نمطـي فـي سـنوات المراهقـة، وغالبًـا مـا يتضمـن بعـض

التصرفات المكروهة، وربما بعض الكلمات السيئة من جانب الشاب، وتشعر هي بالرفض، ويشعر هو بالذنب، لكنه يعرف أن **عليه** الابتعاد. كانت هذه قصتي، ولم تكن علاقتي مع أمي جيدة منذ ذلك الحين. لاحظتُ أن الكثير والكثير من الرجال البالغين حانقون تجاه أمهاتهم، لكنهم لا يستطيعون معرفة السبب، فهم يعرفون ببساطة أنهم لا يريدون أن يكونوا بالقرب منهن، ويتصلوا بهن نادرًا. كما اعترف صديقي «ديف» قائلًا «أكره الاتصال بأمي، فدائمًا ما تقول شيئًا مثل 'كم هو جيد سماع صوتك الصغير'. أنا في الخامسة والعشرين ولا تزال تريد أن تدعوني حمَلها الصغير». يشعر صديقي بطريقة ما أن قربه من أمه يهدد رحلته الذكورية، كما لو أنه من الممكن أن يُبتلع ثانية هناك، هذا خوف غير منطقي لكنه يكشف عن فقدان المكونين الأساسيين في رحلته: الأم لم تسمح بالترك، والأب لم يأخذه بعيدًا.

أيًّا كان فشل الأم، من الممكن التغلب عليه عن طريق قيام الأب بدور فعال. لنعد إلى قصة تسلق الجبل مع «سام». «هل حقًّا ظننتَ أني وحشٌ؟» ولم يسأل «هل تظن أني ولد لطيف؟»، سأل عن قوته، عن قدرته الخطرة للتغلب على المخاطر. يتضمن دخول الولد عالم الرجولة الكثير من تلك اللحظات، ودور الأب هو ترتيب تلك اللحظات له، ودعوة ولده إليها، وتحيُّن فرصة تلك اللحظة التي يبزغ فيها السؤال، ثم يتكلم إلى قلب ابنه «**نعم، أنت كذلك**». لديك المطلوب. لذلك فأعمق جرح يأتي دائمًا من الأب، فكما يقول «بويشنر»: «إن كان باستطاعة الغرباء والمناظر الغريبة أن تهز عالم الأطفال، فإن أناسًا يعرفونهم ويحبونهم حقًّا يمكنهم أن يسحبوا هذا العالم كلية من تحتهم تمامًا مثل مقعد».

جرح الأب

يذكر «ديف» اليوم الذي حدث فيه الجرح، إذ كان والداه يتشاجران في المطبخ، وكان أبوه يسيء لفظيًا إلى أمه. أخذ «ديف» جانب أمه، وانفجر أبوه في وجهه. «لا أتذكر كل ما قيل، لكني أذكر كلماته الأخيرة: 'إنك ابن أمك' صاح بهذه الكلمات، ثم مضى إلى الخارج.» لو كان «ديف» على علاقة قوية بأبيه معظم الوقت لقلَّ تأثير جرح كهذا، ولشُفي لاحقًا بكلمات الحب، لكن الضربة جاءت بعد سنوات من البُعد بينهما، إذ كان الأب غائبًا في الغالب من الصباح حتى الليل

في عمله الخاص، لذا كان من النادر أن يقضيا وقتًا معًا. والأكثر من ذلك شعور «ديف» بخيبة الأمل الدائمة نحو أبيه، فلم يكن نجمًا رياضيًا، الأمر الذي علم أن أبيه يقدره بشكل كبير. كان لديه جوعٌ روحي وكان يذهب عادة إلى الكنيسة، وهذا ما لم يكن ما يحظى بتقدير والده، لذا وقعت تلك الكلمات كالضربة القاضية، حكم بالإعدام.

تقول «ليان بين» إنه حين تكون علاقة الأب بالابن صحيحة «تحمي شجرةُ القوة الذكورية الهادئة داخل الأب طفولة الذكورة الهشة داخل ابنه وتغذيها.» أخذ والد «ديف» فأسًا وضرب شجرته الصغيرة بأقوى ضربة لديه. كم كنتُ أتمنى لو أن هذا الوضع نادرٌ، لكني أشعر بعميق الأسف لقولي أني سمعتُ عددًا لا يُحصى من القصص الشبيهة. هناك ولد صغير اسمه تشارلز كان يحب العزف على البيانو، لكن أباه وإخوته كانوا رياضيين، ويومًا ما عادوا من الجيمنازيوم ليجدوه جالسًا يعزف على الكيبورد، ولا نعرف ماذا أيضًا قد تسبب في تراكم سنوات من السخرية والازدراء في نفس أبيه، لكن ابنه تلقى انتقادًا في جو من الغضب والقوة: «يا لك من مخنث». أخبرني رجل في سن والدي عن نشأته خلال فترة الكساد، حيث كانت الأوقات عصيبة بالنسبة لأسرته، فأرسله أبوه، الذي كان مدمنًا على الخمور ونادرًا ما عمل في أي وظيفة، إلى مُزارع قريب منهم ليعمل عنده، ويومًا ما بينما كان في الحقل رأى سيارة والده تتوقف، ولم يكن قد رأى أباه لعدة أسابيع، فانطلق سريعًا ليلتقي أباه، وقبلما يستطيع الوصول كان أبوه قد أخذ الشيك بأجر ابنه، وحين لمح الولد يجري نحوه قفز في السيارة وانطلق سريعًا. كان الولد في الخامسة من عمره.

في حالة الآباء العنفاء، يجاب على سؤال الولد بطريقة مدمرة. «هل لديَّ ما يجعلني رجلاً؟ هل أنا رجل يا أبي؟» لا، أنت ابن أمك، أحمق، مخنث، غبي. تلك جمل تعريفية تشكل حياة الرجل، فالجراح الاعتدائية تكون بمثابة طلقة من بندقية نحو الصدر. من الممكن أن يصبح الأمر أكثر شرًا بطريقة لا يُعبر عنها حين يتضمن إساءة جسمانية أو جنسية أو لفظية مستمرة لسنوات، ولا يُشفى الكثير من الرجال أبدًا بدون نوع ما من المساعدة. أحد خصائص الجراح الاعتدائية أنها واضحة، أما الجراح السلبية فغير واضحة، هي جراح خبيثة، مثل السرطان. ولأنها خفية، غالبًا ما تمر دون أن تُلاحَظ باعتبارها جراحًا، لذلك فالشفاء في الحقيقة أصعب.

كان أبي رجلًا جيدًا في نواحٍ كثيرة، فقد عرفني بالغَرب وعلمني صيد السمك والتخييم، ومازلت أذكر ساندويتشات البيض المقلي التي كان يصنعها لنا للعشاء. وفي كل صيف كنتُ أعمل في مزرعة أبيه، ورأيتُ أنا وأبي الكثير من الغَرب معًا في طريقنا الطويل بالسيارة من جنوب كاليفورنيا إلى أوريجون. في أحيان كثيرة كنا نمر لصيد السمك في الطريق عبر آيداهو ومونتانا. لكن مثل الكثير جدًا من الرجال في عصره، لم يواجه أبي الأمور الخاصة بجراحه هو، ثم سقط ضحية لشرب الخمر حين بدأت حياته في الانحدار. في ذلك الوقت كنتُ في حوالي الحادية عشر أو الثانية عشر - سن حرج جدًا في رحلة الذكورة، سن يبدأ فيه السؤال في الظهور إلى السطح. في اللحظة ذاتها حين كنت أتساءل في حاجة ماسة للإجابة عن ماذا يعني الأمر أن أكون رجلًا، وما إذا كان هناك ما يجب التحلي به، خرج أبي من حياتي وأصبح صامتًا. كانت لديه ورشة متصلة بالجاراج يقضي الساعات هناك وحده، يقرأ، يحل الكلمات المتقاطعة، ويشرب الخمر. كان هذا جرحًا كبيرًا.

عدم تلقي أي نوع من المباركة من أبيك يعتبر جرحًا، وعدم قضاء وقت معه، أو عدم الحصول على وقت قليل قيِّم معه أيضًا جارح. مات أبو صديقي «أليكس» حين كان في الرابعة من عمره، فغابت شمس عالمه، ولم تشرق ثانية أبدًا. كيف يمكن لولد صغير أن يفهم هذا؟ كان أليكس يقف أمام الشباك الأمامي في فترة ما بعد الظهيرة من كل يوم منتظرًا عودة أبيه إلى البيت، واستمر هذا لحوالي سنة كاملة. كان لديَّ الكثير من العملاء الذين غادر آباؤهم ببساطة ولم يعودوا ثانية أبدًا. والد «ستيوارت» فعل ذلك، قام وغادر، ولم تستطع أمه، المرأة المضطربة، أن تربيه، لذا أُرسل إلى خالته وخاله. الطلاق أو الهجر جرحٌ يبقى طويلًا إذ يعتقد الولد (أو البنت) أنه إن كانا قد تصرفا في الأمور بطرق أفضل، لبقي الأب في البيت.

يسبب بعض الآباء جراحًا بمجرد صمتهم، فهم موجودون لكنهم غائبون عن أبنائهم، ويكون الصمت في هذه الحالة صامًّا للآذان. أذكر رغبتي كولد في أن يموت أبي، وشعوري بالذنب الرهيب لوجود رغبة كهذه لديَّ. أفهم الآن أني كنتُ أريد شخصًا ما يعطي شرعية للجرح، فأبي كان غائبًا، لكن لكونه موجودًا جسديًا لم يعتبر غائبًا، لذا كنتُ أعيش بجرح لم يمكن لأحد أن يراه أو يتفهمه. في حالة الآباء الصامتين، السلبيين، أو الغائبين، يبقى السؤال بدون إجابة. «هل

لديَّ ما يجعلني رجلاً؟ هل أنا رجل يا أبي؟» والصمت هو الإجابة: «لا أعرف... أشك في ذلك... سيكون عليك أن تكتشف بنفسك... في الغالب لا.»

تأثير الجرح

يحمل كل رجل جرحًا، فلم أجد بعد رجلًا لا يحمل جرحًا، ولا يهم كيف تبدو لك الحياة الجيدة، فأنت تعيش في عالم مكسور مليء بأناس مكسورين، ولا يمكن لأمك وأبيك أن يكونا كاملين مهما كانا رائعين، فهي ابنة لحواء وهو ابن لآدم، والجراح هنا وهناك، وقد تأتي من مصادر أخرى - من أخ، أو عم أو خال، من مدرب أو شخص غريب، لكن بالتأكيد تأتي الجراح. إن كل جرح، سواء كان اعتدائيًا أو سلبيًا يوصل معه **رسالة**، وتصطبغ الرسالة بإحساس أنها نهائية وحقيقية، حقيقية حقيقةً مطلقة، لأن توصيلها يتم بشكل قوي. ويشكل ردُ فعلنا نحوها شخصيتَنا بطرق مهمة جدًا. من هنا تنبع الذاتُ المزيفة، ومعظم الرجال الذين تلتقيهم يحيون بالذات المزيفة، بتصنُّع يرتبط مباشرةً بجراحهم. دعني أوضح هذا.

الرسالة التي سُلمتْ مع جرحي (الخاص باختفاء أبي في معاركه الخاصة) كانت ببساطة: **أنت وحدك يا جون، ما من أحد بجانبك، ما من أحد ليريك الطريق، وفوق كل شيء ما من أحد ليخبرك إن كنت رجلًا أم لا. السؤال الجوهري داخل نفسك ليست له إجابة، ولن تكون له إجابة أبدًا.** ماذا يفعل ولدٌ بذلك؟ أولًا أصبحتُ مراهقًا عنيدًا، وطردتُ من المدرسة، وأصبح لديَّ ملفٌ في الشرطة، وعادة ما نسيء فهم ذلك السلوك باعتباره «تمرد المراهقة»، لكنها صرخات من أجل المشاركة، من أجل **الانخراط**. وحتى بعد إنقاذ الله الرائع لي وأنا في التاسعة عشرة، حين أصبحتُ مؤمنًا بالمسيح، ظل الجرح موجودًا. كما قال صديقي العزيز «برينت»: «الإيمان بالمسيح لا يؤدي بالضرورة إلى إصلاح الأمور، فلا تزال السهام مستقرة بعمق رافضةً لبعض الجراح الغاضبة الموجودة داخلي أن تُشفى.»

ذكرتُ سابقًا أن لسنوات طويلة كنت رجلًا ذا دافعية عالية، ساعيًا للكمال، عنيفًا، ومستقلًا بشكل رهيب. يكافئ العالم ذلك النوع من الدافعية، ومعظم الرجال الناجحين الذين يقرأون هذا الكتاب لديهم الدافعية، لكن كانت ورائي سلسلة

من الخسائر – أناس جرحتهم أو رفضتهم – بمن فيهم أبي نفسه. كانت هناك خسارة على وشك الحدوث لزواجي، وكانت هناك بالتأكيد خسارة قلبي أنا، إذ لتحيا حياة تتسم بالدافعية عليك أن تضغط على قلبك، أو أن تقوده بالسوط، فلا يمكنك أبدًا الاعتراف بالاحتياج، ولا الاعتراف أبدًا بالانكسار، وهذه هي قصة خلق تلك الذات المزيفة. وإن كنتَ قد سألتَ زوجتي خلال السنين العشر الأولى لزواجنا إن كانت لنا علاقة جيدة لقالت في الغالب نعم، لكن إن كنتَ قد سألتَها إن كان هناك شيء مفقود، أو ما إن كانت تشعر بخلل قاتل، لاستطاعت على الفور أن تقول: إنه لا يحتاجني. كان هذا هو تعهُّدي، **لن أحتاج أحدًا على الإطلاق**، فعلى أي حال كان الجرح عميقًا ولم يُشفَ، وبدت الرسالة التي جلبها هذا الجرح كأنها رسالة نهائية: أنا وحدي.

صديق آخر، «ستان»، محام ناجح ورجل جيد حقيقةً، حين كان في حوالي الخامسة عشرة، انتحر أبوه – وضع مسدسًا في فمه وضغط الزناد. حاولت الأسرة أن تضع الأمر برمته خلف ظهرها، أن تزيح التراب إلى ما تحت السجادة، فلم يتحدثوا عن الأمر ثانيةً، وكانت الرسالة التي وصلتْ من تلك الضربة البشعة تشبه الآتي: **خلفيتك قاتمة جدًا، لا يمكن حتى التحدث عن الرمز الذكوري في أسرتك. أي شيء جامح (wild) هو عنيف وشرير.** وكان تأثير ذلك نوعًا ثانيًا من التعهُّد: «لن أفعل أي شيء خطر أو فيه مجازفة أو جموح من قريب أو بعيد، لن أكون مثل أبي أبدًا (كم من الرجال يعيشون بذلك التعهد؟)، لن آخذ خطوة واحدة في ذلك الاتجاه، سأكون ألطف رجل تلتقيه في حياتك.» هل أخبركم الحقيقة؟ هو بالفعل كذلك، «ستان» ألطف رجل يمكن أن تلتقيه – رقيق، مبدع، مهتم، معسول اللسان، والآن يكره ذلك في نفسه، يكره كونه خصمًا ضعيفًا، يكره أنه لن يواجهك، وأنه غير قادر على قول لا، لا يمكنه الدفاع عن نفسه.

هذان هما الاختياران الأساسيان، إما أن يعوِّض الرجال ما حدث في جرحهم ويصبحوا ذوي دافعية (رجال يتسمون بالعنف)، أو يتقهقرون ويصبحون سلبيين (أي رجال متراجعين)، وفي الغالب يكون الأمر مزيجًا غريبًا من الاثنين. شاهد الرسائل المزدوجة التي يتحلى بها الشباب في سن الجامعة خاصة: لحية صغيرة، وشعر تحت الشفة السفلية، أو وشم يعلن «أنا خطِرٌ نوعًا ما»، وقبعة كرة السلة يرتديها الشاب إلى أحد الجانبين أو إلى الوراء، فتعلن، «لكني في الحقيقة ولد صغير، لا تطلب مني شيئًا» أي الاثنين أنت؟ قوي أم ضعيف؟ هل تذكر

«أليكس» الذي كان يقف بالباب منتظرًا والده الذي لم يعد قط؟ لم تكن ولو بعد مليون سنة لتخمن أن تلك كانت قصته، إن تعرفتَ عليه في الجامعة، فقد كان رجلًا ابن رجل، لاعب كرة قدم رائعًا، رجلًا كثير الشرب والحفلات، رجلًا يجلُّه كل شاب. كان يقود شاحنة، ويمضغ التبغ، ويحب التواجد في الأماكن المفتوحة. كان يأكل الزجاج، أنا جادٌّ جدًا، فهذا أمر احترفه في إحدى الحفلات كإشارة للقوة الخطرة، فكان حرفيًا، يقضم قطعة من الزجاج ويمضغها ببطء ثم يبلعها، وحين كان يعمل كحارس أمن في أحد البارات، كان ذلك بمثابة عرض مبهر يجعل أولئك الأفظاظ يلتزمون بالطابور، لكن كل هذا كان عرضًا - شخصية مفتولِ العضلات برمتها.

أما تشارلز، الولد المولع بالفن، عازف البيانو، الذي دعاه أبوه «مخنث» - ماذا تظن أن حدث معه؟ لم يعزف البيانو أبدًا بعد ذلك اليوم، وبعد ذلك بسنوات، أصبح لا يعرف ماذا يفعل بحياته وهو رجل في أواخر العشرينيات، فليس لديه شغف، وغير قادر على إيجاد مسار وظيفي يحبه، لذا لا يمكنه الالتزام من ناحية المرأة التي يحبها، لا يمكنه الزواج منها لأنه غير واثق من نفسه، لكن بالطبع انتُزع قلبه منه هناك في الماضي البعيد في قصته. «ديف» أيضًا في العشرينيات الآن، تتدافعه الرياح، يشعر بعدم الأمان بشكل عميق، وهو محمَّل بالكثير والكثير من كراهية النفس، لا يشعر أنه رجل، ويعتقد أنه لن يشعر بذلك أبدًا، ومثل كثيرين جدًا يصارع مع الثقة في حال وجوده حول نساء وحول رجال يراهم كرجال حقيقيين. «ستيوارت» الذي هجره والده أصبح رجلًا دون عاطفة، وكانت شخصيته المفضلة كولد «سبوك» الكائن الفضائي في (Star Trek) الذي يعيش فقط من رأسه، و«ستيورات» الآن عالمٌ وتشعر زوجته بالوحدة الرهيبة.

وهكذا تستمر القصة مرارًا وتكرارًا، إذ يأتي الجرح، وتأتي معه رسالة، ومن ذلك المكان يأخذ الولد تعهدًا، ويختار طريقًا للحياة يأتي بالذات المزيفة، وفي لب ذلك كله عدم يقينية عميق، ولا يعيش الرجل من المركز، لذا يشعر الكثير من الرجال بأنهم عالقون - إما عاجزون وغير قادرين على الحركة، أو غير قادرين على التوقف عن الحركة. وبالطبع لكل بنت صغيرة قصتها أيضًا، لكني أريد تأجيل ذلك إلى فصل لاحق، وسأناقش هذا مع كيفية محاربة الرجل من أجل قلب المرأة. دعوني أقول بعض الكلمات الأخرى بشأن ما يحدث للرجل بعد أن يُجرح.

الفصل الخامس

معركةٌ من أجل قلب الرجل

أنت الآن في مكان لا يعلمه سوى الله
واحدٌ من أولئك الجرحى السائرين على أقدام

—«جان كريست»
"Walking Wounded"
«لجون كريست» و«بول ميرفي»

أصعب مهمة على وجه الأرض أن تُعيد لرجلٍ قلبَه.

—من فيلم
Michael

لا يأتي أي شيء يُستحق الحصول عليه دون شيء من القتال.

—«بروس كوكبيرن»
"Lovers in a Dangerous Time"
(كُتبت في ١٩٨٢ لألبوم Stealing Fire)

منـذ بضـع سـنوات، انتقـل ابنـي الأوسـط «بليـن» النقلـة الكبيـرة إلـى الصـف الأول الدراسـي، وتلـك خطـوة ضخمـة لأي طفـل - تـاركًا الراحـة والأمـان الموجوديـن بجانب الأم، ليقضي كل النهار فـي المدرسـة، والوجـود بيـن «الأطفال الكبار». لكـن «بليـن» ولـد ودود واجتماعـي ومـرح، قائـد بالفطـرة، وكنـا نعـرف أنـه سـيتعامل مـع الأمـر بنجـاح. كان يمتعنـا كل ليلـة علـى مائـدة العشـاء بقصـص مغامـرات اليـوم، وكان مـن الممتـع مشـاركته فـي تذكـر أفـراح تلـك الأيـام الدراسـية الأولـى - صنـدوق الغـذاء الجديـد اللامـع، والأقـلام الرصـاص الصفـراء الجديـدة، وعلبـة ألـوان الشـمع ذات المبـراة، والمكتـب الجديـد، والأصدقـاء الجـدد. وكنـا نسـمع كل مـا يخـص مدرِّسَـه الجديـد وحصـة الجيمنازيـوم، والألعـاب التـي لعبوهـا فـي الفسـحة، وكيفيـة ظهـوره كقائـد فـي كل الألعـاب. لكـن فـي ليلـة مـن الليالـي كان صامتًـا. سـألتُه «مـا الأمـر يـا نمـر؟»، لكنـه لـم يقـل أي شـيء، بـل لـم ينظـر حتـى إلـى أعلـى. «مـاذا حـدث؟» لـم يـرد التحـدث بشـأن الأمـر، وأخيـرًا ظهـرت القصـة - بلطجـي. أحـد فتـوات الفصـل الدراسـي الأول دفعـه فـي فنـاء المدرسـة أمـام كل أصدقائـه، وانهمـرت دموعـه علـى خديـه بينمـا كان يحكـي لنـا القصـة.

«بليـن، انظـر إلـيَّ». رفـع عينيـه الدامعتيـن ببـطء متـرددًا، والخـزي مكتـوب فـي كل مـكان علـى وجهـه. «أريـدك أن تسـتمع بإنصـات تـام إلـى مـا أنـا بصـدد أن أقولـه لـك، فـي المـرة القادمـة التـي يدفعـك فيهـا هـذا البلطجـي، هـذا مـا أريـدك أن تفعـل - هـل تسـمعني يـا «بليـن»؟» فأومـأ برأسـه، مثبتًـا عينيـه الدامعتيـن فـي عينـيَّ. «أريـدك أن تنهـض ... وأريـدك أن تضربـه ... بـكل مـا أوتيـت مـن قـوة.» وحينهـا ارتسـمت نظـرة مـن البهجـة الخجولـة علـى وجـه «بليـن»، ثـم ابتسـم.

يـا إلهـي - لمـاذا قدمـتُ لـه نصيحـة مثـل هـذه؟ ولمـاذا ابتهـج بهـا؟ لمـاذا يبتهـج البعـض منكـم بينمـا يرتـاع منهـا البعـض؟

نعـم، أعلـم أن يسـوع أخبرنـا أن نحـول الخـد الآخـر، لكننـا بالفعـل قـد أسـأنا اسـتخدام تلـك الآيـة، فـإن أخـذتَ فقـرة واحـدة مـن الكلمـة المقدسـة وتمسـكت بهـا وفـي نفـس

الوقت تجاهلت كل الباقي فستأتي إلى استنتاجات سخيفة. قال بولس، «حسن للرجل أن لا يمس امرأة» (١كورنثوس ٧: ١) حسن إذن - فلا يجب لأي رجل أن يتزوج. وقال يسوع، «إن أردتَ أن تكون كاملًا فاذهب وبِع أملاكك وأعط الفقراء ...» (متى ١٩: ٢١)، إذن فلماذا يظل لديك أملاك؟ هل ترى غباء هذا الأمر؟

إن كان يسوع قد قصد أن يعلمنا، «لا تقاوم بلطجيًّا أبدًا»، فلماذا يقول لتلاميذه أيضًا، «لكن الآن، من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفًا» (لوقا ٢٢: ٣٦). يشتري سيفًا؟ «فقالوا، 'يا رب، هوذا هنا سيفان'. فقال لهم 'يكفي!'.» (لوقا ٢٢: ٣٨). ها هو يسلحهم، وذلك الأمر الصغير الخاص بصُنع سوط واستخدامه إياه لتطهير الهيكل - لا يبدو هذا الآن كتحويل الخد الآخر، أليس كذلك؟

لا نريد تعليم الأولاد أنه لا ينبغي مقاومة البلطجية على الإطلاق، ولا نريد تعليم البلطجية أن بإمكانهم الهروب بأفعالهم من العقاب! نعم، تُعلِّمنا الكلمة المقدسة الاستخدام الحكيم للقوة وسلطان الغفران، لكنك لا تستطيع تعليم ولد أن يستخدم قوته عن طريق **تجريده منها**. فيسوع كانت لديه القدرة على الانتقام، صدقني، لكنه كان يختار ألا ينتقم. ومع ذلك فها نحن نقترح أن الولد الذي يُزدرى به، ويهان أمام أصدقائه، ويتجرَّد من كل القوة والكرامة ينبغي له أن يبقى في ذلك المكان المهزوم لأن يسوع يريده هناك؟ ستسلبه القوة إلى الأبد، ومن تلك النقطة سيكون سلبيًّا خائفًا، وسيكبر غير عالم كيف يحتفظ بمكانته في وجه المعارضة، وغير عالم ما إذا كان رجلًا بحق. نعم، سيكون دمثًا، بل لطيفًا، محترِمًا للآخرين، مراعيًا كل الأخلاقيات. وقد يبدو ذلك أخلاقيًا، بل قد يبدو كأنه يحول الخد الآخر، لكنه مجرد شخص **ضعيف**. لا يمكنك تحويل خدٍ لا تمتلكه! وكنائسنا مليئة برجال مثل هؤلاء.

في تلك اللحظة كانت نفس «بلين» معلَّقة، ثم رجعت النار إلى عينيه واختفى الخزي. والآن أقول إني قدمتُ تلك النصيحة إلى ولد موثوق به، كان في ذلك الوقت في الصف الأول الدراسي، ولم أقدم هذه النصيحة إلى ولد في المدرسة الثانوية، حيث من الممكن أن يكون له عدوٌّ قد يرفع مسدسًا نحوه، فها هي الحكمة والسياق المناسب. لكن لا يجب أن نجرد الرجل من القوة ثم نسمي ذلك تقديسًا. ولكن الكثير والكثير من الرجال ستكون نفوسهم عالقة، لأن ما من

أحد، **على الإطلاق** دعاهم ليكونوا خطرين، وليعرفوا قوتهم الخاصة، ويكتشفوا أن لديهم ما تطلبه الأمور. قال لي صديق يافع في أوائل العشرينيات: «أشعر أن بداخلي هذا المحيط العاصف، وأحاول باستمرار أن أجعل تلك المياه هادئة ومسالمة»، ثم تنهد وقال: «كم أود لو أكون خطرًا... هل تقصد... أن الأمر ممكن؟ أشعر كما لو أنه من اللازم أن أطلب إذنًا.» لماذا بحق السماء يكون لزامًا على شاب أن يطلب إذنًا ليكون رجلًا؟ لأن الإساءة تستمر وقتًا طويلًا بعد أن يكون الجُرح قد حدث. لا أقصد هنا أن أخلق انطباعًا خاطئًا – لا يُجرح الرجل مرة واحدة، بل الكثير والكثير من المرات على مدار حياته، وفي النهاية تقع كل ضربة تقريبًا على نفس المكان: ضدَّ قوته، حيث تنتزعها الحياةُ، فقرة فقرة، إلى أن ينتهي به الحال دون عمود فقري على الإطلاق.

القضاء عليه

قرأتُ منذ بضع سنوات عن حالة لوليدٍ عانى من مصيبة هائلة خلال الجراحة: حيث «أزيل عضوه الذكري عن طريق الخطأ». وحدث هذا في السبعينيات، وكان القرار الذي اتخذ وقتها يعكس المعتقد السائد آنذاك بأن «الأدوار الجنسية» ليست حقيقةً جزءًا من تصميمنا، لكنها تُشَكَّل من قِبل الثقافة، ومن ثم فهي قابلة للتغيير، فأعيد بناء أعضائه التناسلية في شكل أنثوي، وتربَّى كفتاة. هذه القصة هي مَثَلٌ لوقتنا هذا، فهي تمامًا ما قد حاولنا عمله للأولاد، منذ صغرهم. تقول «كريستينا هوف سومرز» في كتابها **الحرب على الأولاد**: «إنه لتوقيت سيئ أن تكون ولدًا في أمريكا» لقد أدارتْ ثقافتنا ظهرها ضد الجوهر الذكوري، هادفةً إلى قطعه مبكرًا، وكمثال على ذلك تشير إلى الطريقة التي تُستخدم بها حالات إطلاق الرصاص في المدرسة الثانوية (Columbine High School) في «ليتيلتون» في كولورادو، ضدَّ الأولاد بشكل عام.

يذكر معظمكم الحادث المأساوي الذي وقع في أبريل ١٩٩٩، حيث سار ولدان نحو مكتبة المدرسة وأطلقا النار، وحين انتهى الأمر كان ثلاث عشرة ضحية والمهاجمان قد ماتوا. وتعبر «سومرز» عن قلقها بشأن ملاحظات «ويليام بولاك» مدير مركز الرجال في مستشفى «ماكلين»، وأنا قلقٌ كذلك، فها هو ما قاله: «الأولاد في «ليتيلتون» هم قمة جبل الجليد التي تظهر فوق الماء، أما جبل

الجليد نفسه فهو **كل** الأولاد.» فالفكرة السائدة في ثقافتنا هي أن الطبيعة العدوانية للأولاد سيئة في حد ذاتها، وعلينا أن نجعل منهم ما يشبه البنات، والأداة الأولية لتلك العملية هي المنظومة العامة لمدارسنا. إذ يواجه مدرس المدرسة العادي تحديًا لا يُصدق: أن يحافظ على النظام في فصل من الأولاد والبنات وأن يعزز عملية التعلُّم، أما العقبة الأساسية لهذا الهدف النبيل فهي جعل الأولاد يجلسون في ثبات، هادئين ومنتبهين... لمدة نهار كامل. لعلك بذلك تريد إيقاف أمواج النهر! فليست تلك طبيعة الولد، ولا الطريقة التي يتعلم بها، فبدلًا من تغيير الطريقة التي نقوم فيها بتعليم الذكور، نحاول تغيير الذكور.

يقول «ليونيل تايجر» في كتابه **انحدار الذكور** إن الأولاد عرضة لتشخيص حالاتهم على أنها اضطراب نقص الانتباه ثلاثة أو أربعة أضعاف البنات، مع إنهم قد لا يكونون مرضى، فكما يقول «تايجر»: «إنهم ببساطة يتمتعون بحركات العضلات الكبيرة والأفعال الميالة إلى إثبات الذات... فالأولاد عمومًا يبدون كمن يفضلون الأنشطة الحركية الصاخبة مقارنة بالسلوك الرزين المقيد بدنيًا الذي تمدحه المنظومات المدرسية، وتبدو البنات أكثر ميلًا إليه.»

أعرف كثيرًا عن الأمر، فكل ما على هذا الرجل أن يفعله أن يأتي إلى منزلنا لتناول العشاء، ففي وجود ثلاثة أولاد على المائدة (ورجل لكن بقلب كقلب ولد)، تصبح الأمور خشنة في بعض الأوقات، فالكراسي في معظم الأحيان أمر اختياري، إذ يستخدمها الأولاد كإحدى معدات الجيمنازيوم أكثر منها كأدوات للتقييد. في إحدى الأمسيات، ذات ليلة نظرت لأرى «بلين» يحاول الاتزان ببطنه على كرسيه مثل البهلوان، وفي اللحظة ذاتها لم يكن ابننا الأصغر «لوك» في مكانه على المائدة حيث نرى رأسه، لكننا لم نر سوى زوجًا من الجوارب، وتدير زوجتي عينيها في استغراب، بينما لا تفعل ذلك منظوماتنا المدرسية، فكما يقول «تايجر»:

> يُصنف عدد من الأولاد بنسبة تفوق ثلاثة أو أربعة أضعاف عدد البنات، باعتبارهم مرضى لأن طرقهم في اللعب لا تتناسب مع بيئة المدرسة، فيصف لهم المديرون المختلون رغم حسن نيتهم أدوية مهدئة لاضطراب نقص الانتباه مثل (Ritalin)... ويا له من موقف مخزٍ، إذ يفضح استخدامُ الأدوية على نحو غير متناسب بين الأولاد فشلَ سلطات المدرسة في فهم

الفروق بين الأولاد والبنات... فالمرض الوحيد الذي قد يعاني منه أولئك الأولاد هو كونهم ذكورًا.

لكن الأمر غير قاصر على المدارس (فالكثير منهم يقومون بأعمال بطولية)، لكن ماذا عن كنائسنا؟ جاءني مؤخرًا شابٌّ غاضب شديد الاضطراد.. وكان محبَطًا من طريقة والده، وهو قائد في الكنيسة، في تدريباته الرياضية. فهو لاعب كرة السلة وصل فريقه إلى النهائيات في مدينته. في ليلة المباراة الكبرى، بينما كان خارجًا من الباب، أوقفه أبوه قائلًا بالحرف الواحد: «لا تذهب الآن وتلعب بقوة – فليس ذلك بالأمر اللطيف.» لا، لم أخترع تلك القصة، فيا له من أمر سخيف أن يقال لرياضي في السابعة عشرة من العمر! اذهب واهزمهم بقوة... آسف، لا تكن عنيفًا، فقط كُن لطيفًا، كن ألطف شاب قد يلتقيه الفريق المنافس في حياته، وبكلمات أخرى، كن **ناعمًا**. ذلك مثال ممتاز لما تقوله الكنيسة للرجال. قرأتُ لأحدهم وقد قال إن الكنيسة قد يكون لها مظهرٌ خارجي ذكوري، إنما نفسُها قد تحولت إلى المظهر الأنثوي.

يحدث سلب القوة الرجولية في الزواج أيضًا، إذ تنجذب النساء في الغالب إلى الجانب الأكثر خشونة في الرجل، لكن بمجرد حصولهن على الرجل تتفرغن لمهمة ترويضه. المفارقة أنه إن استسلم فسيكون حانقًا عليها لهذا السبب، وهي بدورها ستتساءل أين ذهبت العواطف الجياشة. يستقر الحال بمعظم الزيجات عند هذه النقطة. سألتني يومًا إحدى السيدات المنهكات الوحيدات: «كيف أعيد زوجي إلى الحياة»، قلتُ لها: «قدمي له الدعوة ليكون خطِرًا»، «تقصد أن أجعله يشتري دراجة نارية، أليس كذلك؟» «نعم»، ارتدَّت إلى الوراء وخيبة الأمل على وجهها، «أعلم أنك على حق، لكني أكره الفكرة، لقد جعلته أليفًا لأعوام عديدة.»

عُد بتفكيرك إلى ذلك الأسد الكبير العظيم في ذلك القفص الصغير، لماذا نضع رجلًا في قفص؟ لنفس السبب الذي من أجله نضع أسدًا في قفص، ولنفس السبب الذي من أجله نحد الله: لأنه خطِرٌ. ففي إعادة صياغة لقول «سايزر»، لقد قلّمنا مخالب **أسد** يهوذا. الرجل خطِرٌ، والنساء لا تبدأ حروبًا، ولا تُرتكَب الجرائم المتسمة بالعنف في الجانب الأكبر منها من قِبل النساء، ولا تمتلئ سجوننا من النساء، ولم يكن إطلاق النار في مدرسة (Columbine) عمل بِنْتَين. ومن الواضح أن أمرًا ما قد أخفق في النفس الذكورية، والطريقة التي

قدرتنا بها التعامل مع ذلك هي أن ننتزع تلك الطبيعة الخطِرة ... كليةً.

ينتج مجتمعنا العديد من الأولاد، والقليل جدًا من الرجال. ولذلك سببان بسيطان: لا نعرف كيف نضم الأولاد إلى مجتمع الرجال، وثانيًا، **لسنا على يقين من رغبتنا في عمل ذلك**، إذ نرغب بالتأكيد في جعلهم اجتماعيين، لكن **بعيدين عن** كل ما هو عنيف وخشن وحماسي، بكلمات أخرى بعيدين عن الذكورة، أكثر قربًا من الأنوثة. لكن كما تقول «سومرز» إننا نسينا حقيقة بسيطة: «الطاقة، والتنافسية، والجرأة البدنية لدى الذكور الكرام العاديين هي السبب وراء الكثير مما هو جيدٌ في العالم.» وتذكرنا «سومزر» بأن خلال مذبحة (Columbine)، «ألقى «سيث هوي» بجسده فوق فتاة مرتعبة ليحميها من الطلقات، ولقد دفع «دانيال رورو» حياته ثمنًا حين خاطر بنفسه ليمسك بالباب مفتوحًا ليتمكن الآخرون من الفرار.»

تلك القوة الأساسية لدى الرجال تجعلهم **أبطالًا**، فإن كانت منطقة ما آمنة، فذلك بسبب قوة الرجال. توقَّف الرقُّ أيضًا بقوة الرجال في مقابل ثمن باهظ لهم ولعائلاتهم. كما أوقِف النازيون بسبب رجال، ولم يُقهر نظام التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا عن طريق السيدات. مَن تنازلوا عن أماكنهم في مراكب النجاة التي انفصلت عن «تايتانيك» لكي تنجو النساء والأطفال؟ ولعلنا نسينا – أن رجلًا هو الذي ترك نفسه يُسمَّر على صليب الجلجثة. لا يعني هذا أن السيدات ليس بإمكانهن أن تقمن بأعمال بطولية، فأنا أعرف الكثيرات من السيدات البطوليات، لكن هذا ببساطة تذكير لنا بأن الله صنع الرجال بهذه الطريقة لأننا **نحتاج إليهم** بهذا الشكل. نعم، الرجل مخلوق خطِر، وكذلك المشرط، يمكنه أن يجرح أو يمكنه أن ينقذ حياتك، ولا تجعله آمنًا بجعله غير حادٍّ لكنك تضعه في يدي من يعرف ماذا يفعل به.

إذا قضيتَ أي وقت مع الخيل فستعرف أن ذكور الخيل من الممكن أن تكون مشكلة كبيرة، فهي قوية، قوية جدًا ولها عقلها الخاص، ولا تحب أن تلجم، ومن الممكن أن تكون في منتهى العنف، خاصة إن كانت هناك إناث حولها. ذكر الخيل صعب الترويض، لكن إن أردتَ حيوانًا أكثر هدوءًا وأمانًا فالحل يسير: اخصِه، فالحصان المخصي يسهل التحكم فيه، وسيفعل كل ما يطلب منه دون مقاومة، لكن تبقى مشكلة واحدة: هذا الحصان المخصي لن ينتج حياةً، فلا يمكنه أن

يأتي لنجدتك كما يفعل الحصان الكامل الذكورة. أتفق معك أن الحصان الكامل الذكورة خطِرٌ، لكن إن كنتَ تريد الحياة التي يقدمها، فعليك أن تأخذ الخطَر أيضًا، فالاثنان يسيران معًا.

ماذا يحدث هنا على أي حال؟

لنفترض أن اليوم هو السادس من يونيو ١٩٤٤ والساعة نحو السابعة وعشر دقائق صباحًا، وأنت جنديٌّ في الدفعة الثالثة على شاطئ أوماها، وقد ذهب من قبلك الآلاف من الرجال والآن جاء دورك. بمجرد أن تقفز من المركب وتخوض المياه نحو الشاطئ، ترى أجساد الجنود الساقطين في كل مكان، تطفو على المياه، وتتقاذفهم الأمواج إلى الشاطئ. وبينما تتحرك على الرمال تجد المئات من الرجال الجرحى، يعرج بعضهم نحو المنحدر معك، بحثًا عن مأوى، بينما بالكاد يزحف الآخرون، ويواصل القناصون حصادهم من على الجرف. وأينما تنظر ترى ألمًا وانكسارًا، ودمارًا شديدًا جدًا. حين تصل إلى الجرف حيث نقطة الأمان الوحيدة تجد فرقة من الرجال دون قائد، كلهم مصابون بصدمة رهيبة، مشدوهون ومرتعبون، فقد فَقَدَ الكثير منهم أسلحتهم، ويرفض معظمهم التحرُّك إذ شلَّهم الخوفُ. بينما تحاول فهم كل ذلك ماذا تستنتج؟ ماذا يكون تقييمك للموقف؟ أيًا كان ما سيدور في عقلك سيكون عليك الاعتراف بأن **هذه حرب وحشية**، وما من أحد كان ليختلف معك أو يظنك غريبًا لأنك قلتَ ذلك.

لكننا لا نفكر بهذا الوضوح بشأن الحياة، ولستُ أعرف لماذا. فلتلقِ نظرة لما حولك، ماذا تلاحظ؟ ماذا ترى في حياة الرجال الذين تعمل معهم، أو تعيش معهم، أو تذهب إلى الكنيسة معهم؟ هل هم ممتلئون من الحرية والحماس؟ هل يحاربون جيدًا؟ هل تشعر نساؤهم بالعرفان العميق بسبب محبة رجالهن لهن؟ هل يشعُّ أطفالهم بالثقة؟ لو لم تكن الفكرة مأساوية لكانت مثيرة للضحك، فقد سُلب الرجال في كل حدب وصوب، إذ نجد الحياة المحطة لرجال (ونساء) مبعثرة عبر الحي، حياة من ماتوا نفسيًا من جراء الجراح التي أصابتهم. هل سمعتَ بتعبير «إنه رجل قشرة»؟ لقد فقدوا قلوبهم، وأكثرهم أحياء لكنهم مصابون بجروح بالغة. يحاولون الزحف إلى الأمام، لكنهم يعانون معاناة شديدة في محاولة لم أشلائهم معًا، إذ يبدون وكأنهم يتلقون ضربة تلو الأخرى. وتعرف

آخرين ممن هم بالفعل أسرى واهنون في سجون اليأس، أو الإدمان، أو الكسل، أو الملل. ويشبه المكانُ ساحةَ معركة، شاطئ أوماها للنفوس البشرية.

هذا هو الأمر بالضبط. نحن الآن في المراحل المتأخرة من الحرب الطويلة الشريرة على قلب الإنسان. أعلم أن الأمر يبدو دراميًّا بشكل مفرط، وكنتُ على وشك عدم استخدام كلمة «حرب» على الإطلاق لئلا تُرفض الفكرة عند هذه النقطة باعتباري من «المتشائمين»، وهم المسيحيون الذين يجرون هنا وهناك محاولين تحميس الجميع ضد خوف تخيُّلي من أجل الدفع بقضيتهم السياسية أو الاقتصادية أو اللاهوتية، لكني لا أجول ناشرًا الخوف على الإطلاق، بل أتحدث بأمانة بشأن طبيعة ما يحدث من حولنا ... أو **ضدنا**. وإلى أن نسمي الموقف باسمه لن نعرف ما يجب أن يُفعل بشأنه. في الحقيقة، هذا هو المكان الذي يشعر فيه الكثيرون بأنهم متروكون أو مخذولون من الله، إذ كانوا يظنون أنه إن أصبح أحدهم مسيحيًّا فسيُنهي هذا مشاكلهم بشكل ما، أو على الأقل سيقللها بشكل كبير. لم يخبرهم أحدٌ قط بأنهم يُنقلون إلى الصفوف الأولى، ويبدون في حالة صدمة حقيقية بسبب حقيقة إطلاق النيران عليهم.

حين أخذ الحلفاء رأس الجسر الساحلي في نورماندي لم تنتهِ الحرب، فبطريقة أو بأخرى كانت قد بدأت. قدَّم لنا «ستيفن آمبروز» العديد من القصص التي لا تُنسى عما حدث بعد ذلك الهبوط الشهير في (Citizen Soldiers) وهو ما سجله عن الكيفية التي انتصر بها الحلفاء في الحرب، والكثير من تلك القصص تعتبر أمثالًا في معناها. إليك واحدة من القصص التي أعقبت يوم النصر، والتاريخ هو ٧ يونيو، ١٩٤٤:

> جاء الفريق «نورمان كوتا»، مساعد قائد الفرقة ٢٩ إلى مجموعة من المشاة المحاصرين في بيت ريفي من قبل بعض الألمان، وسأل النقيب المسئول عن سبب عدم بذل رجاله أي مجهود للاستيلاء على المبنى. رد النقيب: «يا سيدي، الألمان موجودون هناك، ويطلقون النار علينا»، فقال «كوتا»: «حسنًا، سأقول لك فكرة أيها النقيب»، قال ذلك وهو يخرج قنبلتين يدويتين من معطفه: «ابدأ أنت ورجالك بإطلاق النار عليهم، وسآخذ فرقة من الرجال، ولتراقب أنت ورجالك الموقف جيدًا، وسأريك كيف تستولي على بيت بداخله ألمان.» قاد «كوتا» فرقته حول سور ليقتربوا من البيت بقدر الإمكان، وفجأة

أطلق صيحة وركض إلى الأمام، وأفراد الفرقة يتبعونه صارخين مثل رجال متوحشين، وما أن ألقوا بالقنابل اليدوية على النوافذ، ركل «كوتا» ورجلٌ آخر الباب الأمامي ليفتحاه، وألقيا قنبلتين يدويتين في الداخل، وانتظرا الانفجارات، ثم اقتحما البيت، وكان الألمان الناجون في الداخل يهرولون من الباب الخلفي، نافذين بجلدهم. عاد «كوتا» إلى النقيب قائلًا وهو لا يزال لاهثًا: «ها قد رأيتَ كيف تستولي على بيت، هل تفهم؟ هل تعلم الآن كيف تفعل ذلك؟»، «نعم، يا سيدي».

ماذا يمكننا أن نتعلم من المثل؟ لماذا حوصر أولئك الرجال؟ أولًا، بدوا مندهشين أن النيران كانت تُطلَق عليهم، «إنهم يطلقون النار علينا، يا سيدي»، فعلًا؟ هذا ما يحدث في الحرب – تُطلَق عليك النار، هل نسيت؟ لقد وُلدنا في عالم في حالة حرب. المشهد الذي نعيش فيه ليس بالمسلسل الكوميدي، بل هو معركة دامية. ألم تلاحظ كيف حدث الجرح بدقة قاتلة؟ تلك الضربات التي أخذتَها – لم تكن حوادث عشوائية على الإطلاق، بل أصابت قلب الهدف. كان من المفترض أن يكون «تشارلز» عازفًا للبيانو، لكنه لم يلمس البيانو ثانيةً على الإطلاق. لديَّ الموهبة والدعوة لأتحدث إلى قلوب الرجال والنساء، لكن جرحي جعلني وحيدًا أعيش بعيدًا عن قلبي وعن الآخرين. كانت دعوة «كريج» أن ينادي بالإنجيل مثل أبيه وجد أبيه. كان جرحه محاولة لنزع ذلك منه، فهو كطائر النورس الغبي، أتتذكر هذا؟ كل ما يمكنه عمله أن «يجعجع». لم أذكر «ريجي» سابقًا، فقد جرحه أبوه حين حاول أن يتفوق في المدرسة إذ قال له: «أنت غبي لدرجة أنك لن تصل إلى الجامعة»، كان يريد أن يكون طبيبًا لكنه لم يسر وراء حلمه أبدًا.

وهكذا يستمر الأمر، فالجرح مُهدَّف تمامًا وفي منتهى الاتساق للدرجة التي يصعب فيها اعتباره مصادفةً. فقد كان الجرح محاولة لأخذك في الخارج لإعاقة قوتك أو تدميرها وإخراجك خارج المعركة. والجراح التي أصابتنا وُجِّهتْ إلينا بدقة مذهلة. أتمنى أن تكون الصورة واضحة الآن. هل تعرف لماذا حدثت هذه الإساءة؟ لأن العدو يخشاك، فأنت خطِر جدًا، وإن قمت حقًّا يومًا ما باسترداد قلبك واستخدمته لتعيش بجرأة فستكون مشكلة ضخمة له، وستتسبب في الكثير من الخسائر... على الجانب الطيب. هل تذكر كم كان الله شجاعًا وفعالًا في تاريخ العالم؟ أنت نبتة من تلك السلالة المنتصرة.

دعني أعود إلى الدرس الثاني من المثل المأخوذ من يوم النصر. السبب الآخر وراء بقاء أولئك الرجال محاصرين، غير قادرين على الحركة أن ما من أحد قط أراهم من قبل كيفية الاستيلاء على بيت، فقد تدربوا من قبل لكنهم لم يتدربوا على ذلك. معظم الرجال لم يُضموا إلى عضوية الرجولة أبدًا، إذ لم يكن لهم أحدٌ قط ليريهم كيف يفعلون ذلك، وخاصة كيف يحاربون من أجل قلوبهم. وقد أدى فشل الكثير جدًا من الآباء، والثقافة القائمة على سلب الرجولة، والكنيسة السلبية، إلى ترْك الرجال دون أي توجيه.

ولهذا كَتبتُ هذا الكتاب، وأنا هنا لأخبرك أنك **تستطيع** استرداد قلبك، لكني أريد أن أحذرك – إن كنتَ تريد استرداد قلبك، وإن كنتَ تريد أن يُشفى جرحك وتُسترد قوتك وأن تجد اسمك الحقيقي، فسيكون من اللازم أن تحارب من أجل ذلك. لاحظ رد فعلك نحو كلماتي، ألا يتحرك بداخلك شيء ما، في توق للحياة؟ وألا يسارع صوتٌ آخر حاثًا إياك على الحذر وربما راغبًا في أن تصرف النظر عن الأمر برمته؟ **إنه ميلودرامي. يا للغرور.** أو **قد يستطيع بعض الرجال فعل ذلك، لكني لا أستطيع،** أو **لا أعرف... هل يستحق الأمر حقًا؟** هذا جزءٌ حقيقي من المعركة. أرأيت؟ لستُ أخترع شيئًا.

في البحث عن إجابة

أولًا وقبل كل شيء، مازلنا في احتياج لأن نعرف ما لم نسمعه قط، أو سمعناه بشكل سيئ من آبائنا، إذ **نحتاج أن نعرف** من نحن، وما إذا كان لدينا المطلوب. ماذا نفعل الآن بهذا السؤال الأساس؟ أين نذهب لنجد إجابة؟ حتى أساعدك لتجد الإجابة على هذا السؤال الكبير، دعني أسألك سؤالًا آخر: ماذا **فعلتَ** بسؤالك؟ أين ذهبتَ به؟ لاحظ أن السؤال الجوهري للرجل لا يختفي. قد يحاول الرجل لسنوات أن يدفع به بعيدًا عن إدراكه، وأن «يساير الحياة» فقط، لكن السؤال لا يختفي. هذا السؤال بمثابة جوع أساسي جدًا لنفوسنا للدرجة التي يجبرنا بها على أن نجد الجواب، وفي الحقيقة يحرك هذا السؤال كلَّ ما نفعله.

قضيتُ بضعة أيام هذا الخريف مع رجل ناجح جدًا سأشير إليه باسم «بيتر». استضافني بيتر لمؤتمر في الساحل الشرقي، وحين استقبلني في المطار كان يستقل سيارة لاندروفر جديدة بكل كمالياتها. قلت في نفسي **سيارة جميلة، أحوال**

هذا الرجل على ما يرام. في اليوم التالي تجولنا بسيارته من نوع (BMW 850CSi)، وكان بيتر يعيش في أكبر منزل في المدينة، ولديه بيت لقضاء العطلات في البرتغال، ولم يرث أيًا من ثروته بل كسب كل قرش بعرق جبينه، وكان يحب سباقات (Formula One)، وصيد سمك السالمون في «نوفا سكوشيا» عن طريق الصيد باستخدام الفراشات. أعجبت بهذا الرجلِ حقًا، وقلتُ لنفسي **ها هو رجلٌ بحق**، ومع ذلك كان هناك شيء مفقود. قد تظن أن رجلًا كهذا سيكون واثقًا من نفسه، ثابتًا، وراسخًا. بالطبع كان يبدو كذلك في البداية، لكن بعد أن قضينا وقتًا معًا وجدتُه... مترددًا. كانت لديه كل مظاهر الذكورة، لكنها لم تبدُ وكأنها آتية من مركز حقيقي.

بعد عدة ساعات من المحادثة اعترف بأن إعلانًا ما أصبح جليًا له: «لقد فقدتُ والدي في بدايات هذا العام لوفاته بسبب السرطان، لكنني لم أبكِ حين مات، فلم نكن قريبين على الإطلاق.» نعم، نعم، كنتُ أعرف الجزء التالي. «كل هذه السنوات التي أهلكت فيها نفسي من أجل أن أتقدم... لم أكن حتى مستمتعًا بنفسي. لماذا كل هذا؟ أرى الأمر الآن... كنتُ أحاول الفوز بقبول أبي.»، ساد صمتٌ طويل وحزين، ثم قال بيتر في هدوء عبر دموعه: «لم ينجح الأمر أبدًا» بالطبع لم ينجح، ولا ينجح الأمر هكذا أبدًا. أيًا كان قدر الأموال التي تحصل عليها، وأيًا كان التقدم الذي تحرزه في الحياة، فلن يشفي هذا جرحَك أبدًا، ولن يخبرك من أنت. لكن، للأسف، فالكثير من الرجال يتوهمون هذا.

بعد سنوات طويلة من محاولته النجاح في عيون العالم، لا يزال أحد أصدقائي متمسكًا بعناد بتلك الفكرة. يقول لي حين يجلس في مكتبي، نازفًا من كل جراحه: «من الرجل الحقيقي؟ الرجل الذي يجني المال.» وبسبب أنه لا يجني الكثير من المال، فها هو لا يزال يطارد الوهم.

يذهب الرجال باحثين لنفوسهم عن القبول في اتجاهات شتى. «براد» رجل جيد، بحث لسنوات عديدة عن الشعور بالأهمية عبر الانتماء، وكما قال: «من بين جروحي، اكتشفتُ كيفية الحصول على الحياة: سأجد مجموعة أنتمي إليها، وسأفعل شيئًا عظيمًا يريده الآخرون، وسأكون شخصًا ما.» في البداية كانت الشلة الصحيحة للأولاد في المدرسة، ثم كان فريق المصارعة، وبعدها بسنين كان فريق الخدمة الصحيح. كان البحث بحثًا يائسًا باعترافه هو، ولم يسر الأمر

على ما يرام، فحين لم تسر الأمور على ما يرام في بداية هذه السنة في مجال الخدمة التي كان يخدم فيها، كان يعلم أن عليه الرحيل. «انفجر قلبي، وانسكبت كل الجراح والسهام، فلم أشعر أبدًا بمثل هذا الألم، وها هي الكلمات تصرخ في وجهي: 'أنا غير منتمٍ، لا أحد يريدني، أعيش بمفردي.'»

أين يذهب الرجل لكي يشعر بالشرعية؟ أيذهب إلى ما يمتلكه؟ إلى من يقدم له الاهتمام؟ إلى مدى جاذبية زوجته؟ إلى الأماكن التي يذهب إليها ليأكل؟ إلى مدى إجادته للرياضات؟ يشجع العالمُ البحث التافه بالقول: كن مليونيرًا، اسعَ إلى الوظيفة، احصل على ترقية، حقق هدفًا... **كُن** شخصًا مهمًا. هل ترى سذاجة الأمر برمته؟ يزحف الجريحُ على الشاطئ بينما يطلق القناصة نيرانهم. لكن أكثر الأماكن المهلكة التي يأخذ الرجل بحثه إليها، والمكان الذي ينتهي إليه كل رجل دائمًا، أيًا كان الأثر الذي يتتبَّعه، هو المرأة.

أخْذ الأمر إلى حواء

هل تذكرون قصة أول قبلة لي، تلك الحبيبة الصغيرة التي وقعتُ في حبها في الصف الأول الإعدادي، وكيف جعلتْ دراجتي تطير؟ وقعتُ في حب «ديبي» في نفس السنة التي انسحب فيها أبي من قصتي، السنة التي أصبت فيها بأعمق جروحي، ولم يكن التوقيت مصادفة. مع نمو الولد الصغير يأتي توقيت حرجٌ حين يجب على الأب أن يتدخل، ويأتي هذا التوقيت مبكرًا في سن المراهقة، في توقيت ما بين الحادية عشرة والخامسة عشرة من العمر، بحسب الولد. وإن لم يحدث ذلك التدخُّل يكون الولد مُعدًّا لكارثة، فالنافذة التالية التي تنفتح في نفسه هي الجنس. أشعرتني «ديبي» أني في منتهى السعادة، ولم أستطع أن أعبِّر عن الأمر في كلمات وقتها، فلم تكن لديَّ أدنى فكرة عما يحدث حقًا، لكني شعرتُ في قلبي أني قد وجدتُ الإجابة على سؤالي، فها هي بنتٌ جميلة تعتقد أني الأعظم، فماذا يمكن لرجل أن يطلب أكثر من ذلك؟ لقد وجدتُ «جولييت»، إذن أنا بالتأكيد «روميو».

حين انفصلتْ عني، بدأ ما كان قصة طويلة حزينة من البحث عن «المرأة التي ستجعلني أشعر بأني رجل.» فانتقلتُ من رفيقة إلى رفيقة محاولًا الحصول على إجابة. أن أكون بطلَ الجميلة – كان هذا اشتياقي، كانت تلك الصورة التي لديَّ

عن معنى أن أكون حقًّا ونهائيًا رجلًا. يسمي «بلاي» هذا البحث عن المرأة ذات الشعر الذهبي.

> يرى امرأة عبر الغرفة، ويعرف في الحال أنها «هي»، فيترك سريعًا العلاقة التي لديه، ويسعى إليها، شاعرًا بالإثارة الجامحة، والعاطفة الجياشة، والقلب النابض بسرعة، وبالهوس بها. بعد بضعة شهور ينهار كل شيء، إذ تصبح امرأة عادية، فيتحير ويرتبك، ثم يرى ثانيةً وجهًا مشعًا عبر الغرفة، فيأتيه اليقين القديم ثانيةً. (Iron John)

لماذا تُعتبر الإباحية أكثر الأمور إدمانًا في العالم بالنسبة للرجال؟ بالتأكيد هناك حقيقة أن الرجل مُصمم بشكل بصري، بحيث تثير الصور والرسوم الرجالَ أكثر بكثير مما تثير النساءَ. لكن السبب الأعمق هو أن تلك الأميرة المثيرة تصل إلى الداخل وتلمس جوعك اليائس من أجل شرعيتك كرجل، تلك الشرعية التي لم تكن تعلم حتى أنها لديك، تلمسك مثلما لم يختبر معظم الرجال. ينبغي أن تفهم – الأمر أعمق من الأرجُل والصدور والجنس الجيد، الأمر أسطوريٌّ. انظر إلى المدى الذي سيذهب إليه الرجال ليجدوا المرأة ذات الشعر الذهبي، فقد حاربوا في مبارزات عديدة من أجل جمالها، وخاضوا حروبًا، فلتلاحظ أن كل رجل يتذكر حواء. فنحن مطارَدون منها، وبطريقة ما نؤمن أنه إن استطعنا أن نجدها، ونستردها، فسنستعيد معها ذكورتنا المفقودة نفسها.

تذكرون الصبي الصغير «فيليب» من فيلم (A Perfect World)، أتذكرون سبب خوفه؟ أن قضيبه ضئيل. وهذه هي الطريقة التي يعبِّر بها الكثير من الرجال عن الشعور بفقد الرجولة، فلاحقًا في الحياة يكون أسوأ مخاوف الرجل غالبًا الضعف الجنسي، حيث لا يقدر على الانتصاب، حينها لا يكون لديه ما تتطلبه الرجولة، والعكس أيضًا صحيح، إذا استطاع الرجل أن يشعر بالانتصاب، فسيشعر بالقوة. أقول لكم، بالنسبة للعديد من الرجال يبدو السؤال الكبير كما لو أنه يتعلق بالقضيب، فإذا استطاع أن يشعر بالبطولة الجنسية، فحينها سيكون البطل. الأفلام الإباحية مثيرة جدًا، لأنه ماذا يظن رجلٌ جريح متضور جوعًا حين تكون هناك المئات من الجميلات المستعدات لتقديم أنفسهن له؟ (بالطبع ليس فقط له، لكنه حين يكون بمفرده مع الصور، يبدو الأمر وكأنهن له هو وحده.)

الأمر لا يُصدَّق – فكم عدد الأفلام المتمركزة حول هذه الكذبة؟ احصل على الأميرة، فُز بها، ضاجعها، حينئذ تكون أنت الرجل، أنت جيمس بوند، القوي. فلتنظر جيدًا إلى كلمات أغنية «بروس سترينستين» (Secret Garden) (من تسجيلات أفضل أغانيه في ١٩٩٥):

ستدخلك إلى منزلها
إن أتيتَ قارعًا على بابها في وقت متأخر من
الليل
ستدخلك إلى فمها
إن كانت الكلمات التي تقولها أنت صحيحة
إن دفعتَ الثمن
ستأتي بك إلى العمق
لكن هناك بستانًا سريًا تخفيه
ستقودك عبر طريق
حيث تملأ الرقةُ الجو
ستأتي بك فقط إلى مسافة ما
حيث تعرف أنها هناك بالفعل
ستنظر إليك وتبتسم
وستقول عيناها
إن لديها بستانًا سريًا
بحيث أن كل ما تريد،
و كل ما تحتاج،
سيبقى دائمًا
على بُعد مليون ميل

إنها كذبة عميقة مقترنة بحقيقة عميقة، فحواء هي جنة الأطياب (نشيد الأنشاد ٤ : ١٦)، لكنها ليست كل ما تريد، ولا كل ما تحتاج – ليست حتى قريبة من ذلك. بالطبع ستبقى على بُعد مليون ميل، ولا يمكنك أن تذهب من هنا إلى هناك، لأنها ليست هناك، **ليست هناك**، ولا يمكن أن توجد الإجابة على سؤالك هناك أبدًا. لا تفهمني خطأ، فالمرأة أمر آسرٌ، هي آسرة أكثر من أي شيء آخر في الخليقة. «جسد المرأة العاري جزء عظيم من الأبدية، يفوق في عظمته قدرة

عين الرجل.» يمكن للأنوثة أن **تثير** الذكورة، نعم، حقًا، فإن لمع أمامي جزء صغير من صدر زوجتي أو رجلها، أكون مستعدًا تمامًا. تتنبه كل الأجهزة. تقول لي في صوت ناعم أني رجل وسيجعلني ذلك أقفز من فوق البنايات العالية من أجلها. لكن لا يمكن للأنوثة أن **تمنح** الذكورة، إذ يشبه ذلك أن نطلب من اللؤلؤة أن تعطينا جاموسًا، كما لو طلبنا من حقل من الزهور البرية أن يعطينا سيارة شيفروليه موديل ٥٧. فهي مواد مختلفة تمامًا.

حين يأخذ الرجل سؤاله إلى المرأة، إما أن يحدث إدمانٌ أو إخصاء، وعادة يحدث الاثنان.

«ديف» الذي سدد أبوه نحوه ضربة تركت ثقبًا في صدره حين دعاه «ابن ماما»، أخذ سؤاله إلى المرأة، فقد اعترف لي مؤخرًا إنه مهووس بالنساء الصغيرات. يمكنك أن ترى السبب، فهن أقل تهديدًا، فالمرأة الأصغر ليست حتى بنصف التحدي، إذ يمكنها أن تشعره أكثر بأنه رجل. ويشعر «ديف» بالخجل من هوسه، لكن ذلك لا يوقفه، إذ تبدو المرأة الأصغر كأنها الإجابة على سؤاله **ومن الضروري أن يجد إجابة**، لكنه يعرف أن بحثه مستحيلٌ، وقد اعترف لي يومًا ما: «حتى إن تزوجتُ امرأة جميلة، فسأعرف دائمًا أن هناك امرأة أكثر جمالًا في مكان ما، فسأتساءل إن كان من الممكن أن أفوز بها؟»

إنها كذبة! رأيتُ ذلك مرارًا وتكرارًا. انهار أخو صديق لي بالقاع منذ عدة سنوات حين انفصلت عنه رفيقته. كان رجلًا ناجحًا حقًا، بطلًا رياضيًا في المدرسة الثانوية وأصبح محاميًا صغيرًا واعدًا، لكنه كان يحمل جرحًا من أب مدمن على الكحوليات وعلى العمل، فلم يقدم له ما يشتاق إليه كل ولد. ومثل الكثير منا، أخذ قلبه وسؤاله إلى المرأة، وحين تركته، قال صديقي إن هذا الأمر دمره تمامًا، «تدهور تدهورًا كبيرًا، وبدأ في الشُرب بكثرة، والتدخين، بل ترك البلدة برمتها، وتحطمتْ حياته.»

لهذا يخشى الكثير جدًا من الرجال زوجاتهم في الخفاء، إذ تراه الزوجة كما لا يراه أي شخص آخر، تنام معه، وتعرف مما صُنع، وإن أعطاها سلطانًا أن تعلن شرعيته كرجل، فقد أعطاها أيضًا سلطان **إبطال هذه الشرعية**. هذه هي الدائرة المهلكة. قال لي قسٌّ إنه لسنوات حاول إرضاء زوجته وكانت هي دائمًا تعطيه درجة «فاشل»، فاقترحتُ: «ماذا لو لم تكن هي من يقوم بتقييمك؟»، فقال: «هي

بكل تأكيد تشعر بذلك... وأنا فاشل.». رجل آخر أصبح يسيء لفظيًا إلى زوجته في السنوات المبكرة من زواجهما، وكانت رؤيته للحياة أنه يجب أن يكون «روميو» ومن ثم ينبغي لها أن تكون «جولييت». حين اتضح أنها ليست المرأة ذات الشعر الذهبي، استشاط غضبًا، لأن معنى ذلك، لاحظ معي، أنه ليس بالرجل البطولي. أتذكَّر رؤية صورة لجوليا روبرتس من دون زي تمثيل أو ماكياج للوجه، وأدركتُ **أنها امرأة عادية**.

«أتي إليَّ لينال شرعيته» قالتها امرأة صغيرة عن الرجل الذي تواعده، أو بالأحرى الذي كانت تواعده. انجذبتِ إليه أولًا، وبالتأكيد انجذبتِ إلى الطريقة التي انجذب بها إليها. «ولهذا انفصلتُ عنه». اندهشتُ من فطنتها وشجاعتها النادرة الوجود، خاصة في النساء الصغيرات. فمن الرائع أن تشعر هي في البداية أنها هَوسُه. من المسكِر أن يُظن أنها إلهة، لكن في النهاية يتحول الأمر كله من الرومانسية إلى الضغط الشديد عليها. «داوم على القول، 'لا أعلم إن كان لديَّ المطلوب وأنتِ تقولين لي أن ليس لديَّ المطلوب.' فسيشكرني على الأمر يومًا ما.»

الرجال الذين يعانون من الانجذاب لنفس الجنس هم في الحقيقة أكثر وضوحًا فيما يتعلق بهذه النقطة، إذ يعرفون أن المفقود في قلوبهم هو الحب **الذكوري**، والمشكلة هي أنهم قد جنسنوا ذلك الحب. يقول «جوزيف نيكولوسي» إن المثلية الجنسية هي محاولة لإصلاح الجرح عن طريق ملئه بالذكورة، إما بالحب الذكوري الذي لم يتلقوه أبدًا، أو القوة الذكورية التي يشعر الكثير من الرجال أنهم لا يمتلكونها. حين يتشابك البحث مع أمور جنسية، يصبح أيضًا بحثًا ميئوسًا منه، لهذا فأعداد مهولة من العلاقات المثلية لا تستمر، والكثير من الرجال المثليين ينتقلون من رجل إلى آخر، ويعاني الكثير جدًا منهم من الاكتئاب والعديد من الإدمانات الأخرى. ليس ما يحتاجونه موجودًا هناك، ولا تجلب هذه الأمور شفاء للجرح.

لماذا قلتُ كل هذا بشأن بحثنا من أجل الشرعية والإجابة على سؤالنا؟ لأنه لا يمكننا أن نسمع الإجابة الحقيقية إلى أن نرى أن الإجابة التي لدينا خاطئة، فطالما نطارد الوهم، كيف يمكننا أن نواجه الحقيقة؟ فالجوع موجودٌ، يعيش في نفوسنا كشهوة لا تُشبَع، أيًا كان ما حاولنا أن نشبعه به. إن أخذتَ سؤالك

إلـى حـواء فسيكسـر ذلـك قلبـك. أعلـم ذلـك الآن بعـد الكثيـر والكثيـر مـن السـنوات الصعبـة. لا يمكنـك الحصـول علـى إجابتـك هنـاك. فـي الحقيقـة لا يمكنـك الحصـول علـى إجابتـك مـن أي مـن الأشـياء التـي يسـعى الرجـال وراءهـا ليجـدوا شـعورًا بذاتهـم. هنـاك مصـدر واحـد فقـط للإجابـة علـى سـؤالك، لذلـك فأيًـا كان المكـان الـذي أخـذتَ سـؤالك إليـه فعليـك أن تسـتعيده، وعليـك أن تذهـب بعيـدًا، وتلـك هـي بدايـة رحلتـك.

الفصل السادس

صوت الأب

لا يمكن لرجل، لفترة كبيرة من الوقت، أن يرتدي وجهًا يحتفظ به لنفسه، ووجهًا آخر يوجهه للعامة، دون أن يتحيَّر في النهاية فيما يتعلق بأي منهما هو الحقيقي.

–«ناثانيال هوثورن»

(Esse quam videri)

أن تكون، أفضل مما هو ظاهر

من يمكنه أن يعطي هذا للرجل، إنه اسمه؟

–«جورج ماكدونالد»

تمتاز فترة الصيف في المناطق الميرمية في شرقي أوريجون بالحرارة العالية والجفاف والجو المترب، وحين ترتفع الشمس من الممكن أن ترتفع درجةُ الحرارة إلى ٣٥ درجة، لذا كنا نؤجِّل معظم العمل الشاق في المزرعة، كلما أمكن، للصباح الباكر أو لما بعد الظهيرة أو المساء، حين يتجه الهواء البارد من وادي النهر إلى أعلى. أحيانًا كنا نصلح قنوات الري خلال حرارة النهار، الأمر الذي كان بالنسبة لي عذرًا عظيمًا لأبتل بالمياه. كنتُ أمشي عبر القناة، تاركًا المياه الموحلة الدافئة تبلل بنطالي تمامًا. لكن معظم الوقت كنا نعود إلى بيت المزرعة من أجل كوب من الشاي المثلج. كان «بوب» يعشق الشاي المحلَّى بجرعة صحية من السكر، وهي الطريقة التي يحتسون بها الشاي في الجنوب. كنا نجلس حول مائدة المطبخ ونحتسي كوبًا أو اثنين ونتكلم عن أحداث الصباح، أو عن خطة لديه لبيع بعض الماشية في المزاد، أو رأيه عن كيفية قضاء فترة ما بعد الظهيرة.

في أحد أيام صيف عامي الثالث عشر، كنتُ أنا و«بوب» قد أتينا للتو لنمارس طقسنا المعتاد حين قام بوب وسار نحو النافذة. كان المطبخ يطل نحو الجنوب، حيث كان من الممكن رؤية حقل برسيم كبير، ثم المراعي. وكمعظم أصحاب المزارع كان «بوب» يزرع علفًا لتغذية المواشي والخيول التي يربيها خلال فترة الشتاء. انضممتُ إليه بجانب النافذة ورأيتُ أن ثورًا صغيرًا خرج عن مكانه واتجه إلى حقل البرسيم، وتذكرتُ أن حدثني جدي عن خطورة أن تملأ بقرةٌ بطنها من نبات البرسيم الطري، إذ يتمدد في معدتها مثلما يرتفع الخمير، وقد يمزِّق واحدًا من التجاويف الأربعة لديهم. كان الانزعاج واضحًا على «بوب»، وهذا أمر منطقي لراعي بقر. أما أنا، من الناحية الأخرى، فكنتُ متحمِّسًا، إذ كان الأمر بالنسبة لي يعني المغامرة.

«اذهب وامتطي «توني» وأحضر ذلك الثور الصغير» قالها وهو جالس على مقعده رافعًا قدميه على المقعد أمامه، وكان واضحًا من سلوكه أنه لن يذهب معي، بل

لن يذهب إلى أي مكان. وبينما كان يصب لنفسه كوبًا آخر من الشاي كان عقلي يفكر في النتائج المترتبة على ما قاله. معنى ما قاله أن عليَّ أن أذهب لإحضار «توني»، أكبر حصان في المزرعة، وكنتُ أخاف من «توني»، لكن كلينا كنا نعرف أنه أفضل حصان للتعامل مع الماشية. كان عليَّ أن أضع سرجًا عليه بنفسي وأن أمتطيه لإحضار ذلك الثور الصغير بمفردي. وبعدما فكرتُ في تلك المعلومات أدركتُ أني ظللتُ واقفًا هناك لمدة طويلة، لا أحد يعلم لكم من الوقت، وأن عليَّ الذهاب. بينما كنتُ أسير خارجًا من الممر الخلفي نحو الحظيرة شعرتُ بأمرين، شعرتُ بهما بشكل قوي: الخوف... والشرف.

إننا ندرك معظم اللحظات المغيرة للحياة باعتبارها نقط تحول في أوقات لاحقة بعد حدوثها. لم أستطع تفسير السبب، لكني عرفتُ أني قد عبرت مرحلة ما في حياتي كشاب. وثق «بوب» بي، وأيًا كان ما رآه ولم أره أنا، فحقيقة ثقته بي جعلتني أثق أنا أيضًا. أحضرتُ الثورَ الصغير في ذلك اليوم... وكسبتُ أكثر من ذلك بكثير.

الحاجة للمبادرة

يحتاج الرجل أن يعرف اسمه، ويحتاج أن يعرف أن لديه مايحقق مطالب الرجولة. ولا أعني هنا «يعرف» بمعناها العصري العقلاني، أي لا أعني أن الفكرة قد مرت عبر القشرة الدماغية وأنك قبلتها فكريًّا، بنفس الطريقة التي تعرف بها عن معركة «واترلو» أو طبقة الأوزون، بل الطريقة التي «يعرف» بها معظمُ الرجال اللهَ أو حقائق المسيحية. أعني معرفة عميقة، ذلك النوع من المعرفة التي تأتي حين تتحرك، وتتفاعل، وتختبر الأمر مباشرة بطريقة لا تُنسى. بنفس الطريقة التي «عرف آدمُ زوجته» بها، فولدت طفلًا، فلم يعرف آدم عن حواء، بل عرفها بشكل حميمي، عبر خبرة لحم ودم على مستوى عميق جدًا. هناك معرفة عن أمر ما، وهناك معرفة بالأمر. حين يتعلق الأمر بما نتحدث عنه، نحتاج إلى المعرفة الثانية.

في فيلم (Gladiator) الذي تدور أحداثه في القرن الثاني الميلادي، نرى البطل «ماكسيموس»، وهو محارب من أسبانيا، وقائدُ الجيوش الرومانية، وجنرال محبوب من رجاله ومحبوب من الإمبراطور الكبير السن «ماركوس أوريليوس».

يعـرفُ الابـن الفاسـد للإمبراطـور «كومـودس» بخطـة أبيـه لجعـل «ماكسـيموس» إمبراطـورًا بعـده. لكن قبـل أن يسـتطيع «ماركـوس» إعـلان خليفتـه، يخنـق «كومـودس» أبـاه، ويحكـم علـى «ماكسـيموس» بالإعـدام الفـوري، وعلـى زوجتـه وابنـه بالصلـب والحـرق. يهـربُ «ماكسـيموس» لكـن الوقـت يكون قـد تأخـر علـى إنقـاذ أسـرته. حيـن يأسـره تجـار العبيـد يبـاع كمُبـارز، وطبيعـيٌّ أن يكـون ذلـك بمثابـة حكـم بالإعـدام، لكنـه «ماكسـيموس» المحـارب الشـجاع، فـلا يبقـى علـى قيـد الحيـاة فقـط بـل يصبـح بطـلًا. يؤخـذ فـي النهايـة إلـى رومـا ليقـدم عرضًـا فـي الكولوسـيوم أمـام الإمبراطـور «كومـودس» (الـذي يعتقـد طبعًـا أن «ماكسـيموس» قـد مـات منـذ فتـرة طويلـة). وبعـد عـرض رائـع مـن الشـجاعة والإبهـار، ينـزل الإمبراطـور إلـى الحلبـة ليلتقـي بالمبـارز الباسـل، الـذي لا تـزال هويتـه مخفيـة وراء خوذتـه.

كومودس: شهرتك مُستحقة بالفعل أيها
الأسباني. لا أعتقد أن هناك أي مبارز
يساويك على الإطلاق... لماذا لا يكشف
البطل عن نفسه وتخبرنا عن اسمك الحقيقي؟
(ماكسيموس يظل صامتًا). ألديك اسم؟

ماكسيموس: اسمي المبارز. (يستدير وينصرف)

كومودس: كيف تجرؤ أن تعطيني ظهرك؟ يا
عبد! ستنزع خوذتك وتخبرني باسمك.

ماكسيموس: (ببطء، ببطء شديد، يرفع خوذته
ويستدير ليواجه عدوه)
اسمي «ماكسيموس ديسيمس ميريديوس»، قائد
جيوش الشمال،
جنرال فيالق فيليكس، خادم وفيٌّ للإمبراطور
الحقيقي «ماركوس أوريليوس»،
أبٌ لابن قتيل، وزوج لزوجة قتيلة، وسآخذ
بثأري، في هذه الحياة أو في الحياة التالية.

تتنامـى إجابتـه كموجـة عاتيـة، تتضخـم فـي الحجـم والقـوة قبل أن تصطدم بالسـاحل. هـذا الرجـل يعـرف مـن هـو، وممـا هـو مصنـوع. أيـن يذهـب الرجلُ ليتعلم إجابـة مثل

هذه – ليتعلم اسمه الحقيقي، الاسم الذي لا يمكن أن يؤخذ منه؟ تأتي تلك المعرفة القلبية العميقة فقط من خلال عملية مبادرة. عليك أن تعرف من أين أتيتَ، وعليك أن تكون قد واجهتَ سلسلة من التجارب التي تختبرك، وعليك أن تكون قد قمتَ برحلة، وعليك أن تكون قد واجهتَ عدوك. ولكن كما شكا لي شابٌ مؤخرًا قائلًا: «أنا مسيحيٌّ منذ أن كنتُ في الخامسة من عمري – ولم يُرني أحدٌ قط ما معنى أن أكون رجلًا حقًّا.» هو يائسٌ الآن، وقد انتقل عبر البلد ليكون مع رفيقته، وقد تركته لأنه لا يعرف من هو ولا سبب وجوده. هناك آخرون مثله لا حصر لهم، عالمٌ من رجال كهؤلاء – عالم من رجال لم يبادروا بأن يكونوا أعضاء في عالم الرجال.

تود الكنيسة أن تظن أنها تنشئ رجالاً، لكنها لا تفعل ذلك. فإلى أي أمر تُحضر الكنيسة الرجلَ؟ إلامَ تدعوه ليكون؟ أخلاقيًّا! للأسف، هذا لا يكفي، فالفضيلة أمر جيد، لكنها ليست النقطة الأساسية أبدًا. يقول بولس إن الناموس يُعطى كمعلم للطفل لكن لا للابن، فالابن مدعوٌّ لما هو أكثر من ذلك بكثير، إذ يحصل على مفاتيح السيارة، ويمكنه أن يذهب مع الأب في مهمة من المهام الخطرة. تذهلني حدة عاطفة المشهد في نهاية الحرب الأهلية، مباشرة بعد معركة «أبوماتوكس»، حيث استسلم الجنرال «روبرت إ. لي» للجنرال «يوليسيس س. جرانت»، وكان «لي» قد قاد جيش شمالي فيرجينيا لمدة خمسة أعوام عبر بعض من أسوأ التجارب التي عرفها الرجال على الإطلاق. وقد تعتقد أنهم سيشعرون بالسعادة لانتهاء الأمر، لكن رجال «لي» تعلقوا بزمام جواده وهم يرجونه ألا يذهب، متضرعين إليه من أجل فرصة أخرى لكي «يهزموا أولئك الشماليين.» أصبح «لي» أباً لهم، وقد أعطى أولئك الرجال ما لم يكن لدى معظمهم من قبل – أعطاهم هوية ومكانًا في قصة أكبر.

يحتاج كل رجل إلى شخص مثل «روبرت إ. لي» أو مثل قائد اللواء من الفرقة رقم ٢٩ الذي قال «ها قد رأيتَ كيف تستولي على بيت، هل تفهم؟ هل تعلم الآن كيف تفعل ذلك؟»، «نعم، يا سيدي». نحتاج شخصًا مثل جدي الذي يمكن أن يعلمنا كيف «نمتطي صهوة حصان». لكن «لي» قد ولَّى منذ زمن بعيد، والقادة الجنرالات نادرون، وقد تُوفي جدي منذ سنوات طويلة. فأين نذهب؟ إلى من نتوجه؟ إلى مصدر مدهش جدًا.

كيف يصنع اللّهُ رجلاً

منذ عدة سنوات، وعند نقطة ما من رحلتي حين كنت أشعر بالضياع أكثر من أي وقت مضى، استمعتُ إلى حديث قدمه «جوردون دالبي» الذي انتهى للتو من كتابة (Healing the Masculine Soul) (شفاء النفس الذكورية)، وأثار فكرة أنه بالرغم من ماضي أي رجل وإخفاقات أبيه في أن يضمه إلى عضوية الرجال، إلا أن الله باستطاعته أن يأخذه في تلك الرحلة، ويوفر له كل ما يفتقده. تحرك رجاءٌ ما داخلي، لكني صرفتُ النظر عنه مستخدمًا نفس طريقة السخرية التي تعلمتها لأحتفظ بمعظم الأشياء في نفسي. بعد ذلك ببضعة أسابيع أو ربما شهور كنت في الطابق الأرضي من منزلي في الصباح الباكر لأقرأ وأصلي، ومثلما يحدث في كثير من «أوقات خلوتي» انتهى بي الأمر بأن نظرتُ من النافذة في اتجاه الشرق لأشاهد الشمس تشرق. وسمعتُ يسوع يهمس لي بسؤال: «هل ستسمح لي بأن أجعل منك رجلاً؟» وقبل أن يجد ذهني فرصة ليفكر ويحلل ويشك في الحوار برمته، طفر قلبي قائلًا **نعم**.

ها هو «جورج ماكدونالد» يتساءل: «من يمكنه أن يعطي رجلًا هذا الأمر، اسمه؟»، «الله وحده، فما من أحد سوى الله يرى من هو الرجل.» ويتأمل في الحصاة البيضاء التي يتحدث عنها سفر الرؤيا كإحدى المكافآت التي سيعطيها الله لمن «يغلبون». على تلك الحصاة البيضاء يوجد اسمٌ جديد، وهو «جديد» بمعنى أنه ليس الاسم الذي أعطانا العالم إياه، وبالتأكيد ليس الاسم الذي أُعطي مع جراح. وما من رجل سيجد على تلك الحصاة اسم «ابن ماما» أو «البدين» أو «النورس الغبي»، لكن الاسم الجديد، ليس بالفعل جديدًا على الإطلاق إذ تفهم أنه اسمك **الحقيقي**، اسمك أنت، «الاسم الذي كان في فكره حين بدأ في صُنع الطفل، واحتفظ به في فكره عبر عملية الخلق الطويلة» والفداء. يوضِّح مزمور ١٣٩ أننا صُممنا وخلقنا بتفرُّد بشكل شخصي، ونسجنا الله نفسه في رحم أمهاتنا. كان في ذهن الله شخصٌ ما، ولهذا الشخص اسم.

تعرض ذلك الشخص أيضًا لإساءة بالغة، لكن الله لا يزال ملتزمًا بصنع ذلك الشخص نفسه. يوضح إعطاءُ الحصاة البيضاء هذا الأمرَ – فذلك ما سيفعله قريبًا. تاريخ علاقة الرجل بالله هو قصة كيفية دعوة اللهُ له وأخذه في رحلة وإعطائه اسمه الحقيقي. ظن معظمنا أنها قصة الله وكيف يجلس على عرشه

منتظرًا ليضرب الرجل حين يخرج عن الخط المرسوم له، لكن ليس الأمر كذلك، فقد خلق الله آدمَ للمغامرة وللمعركة وللأميرة، لقد خلقنا اللهُ لمكان فريد في قصته، وهو متعهدٌ باستعادتنا إلى التصميم الأصلي. لذا يدعو اللهُ إبرام من أور الكلدانيين إلى أرض لم يرها قط، إلى الحدود، وفي الطريق يحصل إبرام على اسم جديد، ويصبح إبراهيم. يأخذ اللهُ يعقوب إلى بلاد ما بين النهرين إلى مكان ما، ليتعلم أمورًا عليه أن يتعلمها ولا يمكن له أن يتعلمها بجانب أمه، وحين يعود إلى المدينة، لا يسير بشكل طبيعي بل يعرج، ويكون قد حصل على اسم جديد.

وحتى إن كان أبوك قد أدى دوره، فيمكنه فقط أن يأخذك جزئيًا، إذ يأتي وقت، يكون عليك أن تترك كل ما هو مألوف وتذهب إلى المجهول مع الله. كان شاول رجلًا يظن حقًا أنه يفهم القصة ويحب الجزء الذي كتبه لنفسه، فقد كان بطل المسلسل الخاص به، «شاول المنتقم». وبعد ذلك الأمر الصغير في طريق دمشق يصبح **بولس** وبدلًا من أن يتوجه عائدًا إلى كل الطرق القديمة المألوفة يُقتاد إلى العربية لمدة ثلاث سنوات ليتعلم مباشرة من الله. يرينا يسوع أن نكون أعضاء في فريقه يمكن أن يحدث حتى حين نفتقد أبانا أو جدنا، فهو ابن النجار، ما يعني أن يوسف كان باستطاعته أن يساعده في الأيام المبكرة من رحلته، لكن حين نقابل الشاب يسوع، يكون يوسف خارج الصورة، فليسوع معلمٌ جديد – هو أبوه الحقيقي – وهو الذي ينبغي له أن يتعلم منه كينونته الحقيقية وما هو مصنوع منه حقًّا.

يتضمن الانضمام لفريق الرجال رحلةً وسلسلة من الاختبارات، نكتشف من خلالها اسمنا الحقيقي ومكاننا الصحيح في القصة. يُعتبر كتابُ «روبرت روارك» (The Old Man and the Boy) مثالًا كلاسيكيًا لهذا النوع من العلاقة، فهناك ولد يحتاج إلى الكثير من التعلم، وهناك رجل كبير السن لديه الكثير من الحكمة، لكن الانضمام لفريق الرجال لا يحدث على مكتب المدرسة، بل يحدث **في الحقل**، حيث تتحول الدروس البسيطة عن الأرض والحيوانات والمواسم إلى دروس أكبر عن الحياة والنفس والله. عبر كل اختبار يأتي **إعلان**، وعلى الولد أن يحتفظ بعينيه مفتوحتين ويسأل الأسئلة الصحيحة، إذ يساعدك تعلُّم صيد السمان أن تتعلم عن نفسك: «فهو حاذق، وفي كل مرة تتنافس معه تُثبت أمرًا ما عنك.»

أساء معظمنا لوقت طويل تفسير الحياة وما يصنعه الله. «أعتقد أني أحاول فقط أن أجعل الله يجعل حياتي تعمل بشكل أسهل». اعترف أحد عملائي بذلك، لكن كلامه قد يعبر عن معظمنا، فنحن نسأل الأسئلة الخاطئة. يسأل معظمنا: «يا رب، لماذا سمحتَ بحدوث هذا لي؟» أو: «يا رب، لمَ لا تقوم فقط بـ... » (املأ الفراغ – مساعدتي لأنجح، جعل أطفالي يتصرفون بشكل أفضل، إصلاح زواجي – أنت تعلم ما قضيتَ وقتًا طويلًا تولول بشأنه)، لكن من أجل الذهاب في رحلة مع الله للانضمام لفريق الرجال، يتطلب الأمر مجموعة جديدة من الأسئلة: ما الذي تحاول أن تعلمني إياه هنا؟ ما الأمور التي تحاول إثارتها في قلبي من خلال ذلك؟ ماذا تريدني أن أرى؟ ما الذي تطلب مني أن أتخلى عنه؟ في الحقيقة يحاول الله أن يضمك لفريق الرجال منذ وقت طويل، وما يقف حائلًا هو الكيفية التي أسأتَ بها التعامل مع جرحك والحياة التي بنيتها نتيجة لذلك.

ازدراء الجرح

يقول «بلاي»: «يتعلم الرجال مرارًا وتكرارًا في صباهم أن الجرح الذي يؤلم مخزٍ.»، ويواصل قائلًا: «الجرح الذي يجعلك تتوقف عن الاستمرار في اللعب هو جرح من جراح البنات، فالرجل بحق يواصل السير ساحبًا وراءه ألمه.» مثل رَجُل تنكسر ساقه في ماراثون، لكنه ينهي السباق حتى إن اضطر للزحف، ولا ينبغي أن ينبس بكلمة بشأن الأمر. ذلك النوع من سوء الفهم هو السبب في أن الجرح بالنسبة لمعظمنا هو مصدر كبير للخزي، فليس من المفترض أن يتألم الرجل، وبالتأكيد ليس من المفترض أن يعتبر الأمر ذا قيمة حقًّا. شاهدنا الكثير والكثير من الأفلام حيث يتلقى الرجلُ الخيِّرُ سهمًا، لكنه يكسره ويواصل القتال، أو ربما تُطلَق عليه النار لكنه يظل قادرًا على الوثب عبر مكان خطر لينتقم من الأشرار، لذا يقلل معظم الرجال من شأن جرحهم، «ليس الأمر بهذه الأهمية. فالكثير من الناس يُجرحون وهم صغار. أنا بخير.». لا يتصرف الملك داود بهذا الشكل على الإطلاق (وهو رجل من الصعب التغلب عليه)، «فإني فقير ومسكين أنا»، يعترف بذلك منفتحًا، «وقلبي مجروح في داخلي.» (مزمور ١٠٩: ٢٢).

أو ربما يعترفون بحدوث الأمر، لكنهم ينكرون كونه جرحًا لأنهم كانوا يستحقونه. بعد شهور كثيرة من المشورة معًا بشأن جرحه والتزامه باستحالة الحصول على

الإجابة من امرأة، سألتُ «ديف» سؤالًا بسيطًا: «ماذا يتطلب الأمر لإقناعك أنك رجل؟» قال: «لا شيء»، «ما من شيء يقنعني». جلسنا في صمت بينما انهمرت الدموع على خدي. «لقد احتضنتَ الجرح يا ديف، أليس كذلك؟ وملكت رسالته باعتبارها نهائية. تظن أن أباك كان على حق بشأنك.»، قال: «نعم» دون أي علامة من الانفعال على الإطلاق. ذهبتُ إلى بيتي وبكيتُ - من أجل «ديف» ومن أجل رجال آخرين كثيرين جدًا أعرفهم ومن أجل نفسي لأني أدركتُ أني أنا أيضًا قد احتضنتُ جرحي ومنذ ذلك الحين حاولتُ فقط الاستمرار في الحياة. «اتحمل على أي حال» كما يقولون. فالأمر الأكثر مأساوية من المأساة التي تحدث لنا هو الطريقة التي نتعامل بها معها.

الله ملتزم بشكل كبير بتعهده معك، باستعادة قلبك الذكوري وإطلاقه، لكن الجرح الذي يمر دون الاعتراف به ودون النوح بسببه هو جرح لا يُشفى، فالجرح الذي احتضنتَه هو جرح لا يُشفى، والجرح الذي تظن أنك تستحقه هو جرح لا يُشفى، لذلك يقول «برينان مانينج»: «تبدأ الحياة الروحية بقبول ذاتنا الجريحة.» حقًّا؟ كيف يكون ذلك؟ السبب بسيط: «لا يمكن شفاء أيِّ شيء ننكره.» لكن تلك هي المشكلة بالضبط، فمعظم الرجال ينكرون جراحهم - ينكرون أنها حدثت، ينكرون أنها تؤلم، وبالتأكيد ينكرون أنها تشكِّل الطريقة التي بها يعيشون اليوم، لذا ينبغي أن تتخذ طقوسُ الانضمام للعضوية التي يقوم بها الله مسارًا بارعًا جدًا، مسارًا يبدو غريبًا جدًا، بل وقاسيًا.

سيجرحنا في المكان ذاته حيث جُرحنا.

إبطال الذات المزيفة

إننا نبني ذاتًا مزيفة من مكان تعرضنا للجرح، ونجد بضع مواهب مناسبة ونحاول أن نعيش بها. اكتشف «ستيوارت» إجادته للرياضيات والعلوم، فأغلق قلبه وصرف كل طاقاته ليتقمص شخصية «سبوك» من (Star Trek) بشكل كامل، فهناك في الأكاديمية يشعر بالأمان، كما أنه معروفٌ ويكافأ. أما «أليكس» فكان جيدًا في ممارسة الرياضات كما كان مفتول العضلات، فأصبح حيوانًا آكلًا للزجاج. وأصبح «ستان» ألطف رجل يمكن أن تقابله في حياتك، وقد اعترف قائلًا: «في قصة حياتي، أريد أن أُرى باعتباري الرجل اللطيف.». أما أنا فأصبحتُ

طموحًا ساعيًا إلى الكمال، وهناك في كمالي كنتُ أجد الأمان والتقدير. يعترف «بريتان مانينج» قائلًا: «حين كنتُ في الثامنة من عمري، وُلد النصاب أو الذات المزيفة كدفاعٍ ضد الألم، وكان النصاب في داخلي يهمس: 'يا بريتان، لا تكُن ذاتك الحقيقية أبدًا لأنه ما من أحد يحبك كما أنت، اخترع ذاتًا جديدة يُعجب بها الجميع، ولن يعرف أحدًا'». لاحظ الجملة الأساسية: «كدفاعٍ ضد الألم» أي طريقة لإنقاذ نفسه، فالنصاب هو خطتنا للخلاص.

لذا ينبغي لله أن ينتزع كل ذلك، ويحدث ذلك غالبًا في بداية رحلتنا للانضمام للعضوية، إذ يُبطل خطتنا للخلاص، ويهشم الذات المزيفة. أخبرتكم في الفصل السابق عن خطة «براد» لفداء النفس: سينتمي «للمجموعة الداخلية»، حتى بعد أن خذلته مرة تلو الأخرى، كاسرةً قلبه مرارًا وتكرارًا، لم يتخلَّ عنها، إذ كان يظن ببساطة أن هدفه لم يكن يصوب في الاتجاه الصحيح لهدفه، لكنه إن وجد المجموعة **الصحيحة** فستنجح خطته. من الصعب ترك خطتنا للفداء، إذ تلتصق بقلوبنا مثل الأخطبوط. فماذا فعل الله لبراد؟ انتزع الكل منه، وأحضره إلى نقطة ظن فيها أنه قد وجد المجموعة **الصحيحة**، ثم منعه من الدخول. كتب لي «براد» خطابًا ليشرح ما كان يمر به:

> أخذ الله الكلَّ، جردني من كل الأشياء التي كنت أستخدمها لأحصل على إعجاب الناس، وكنتُ أعرف ما كان يخططه. وضعني في مكان حيث ظهرت أعمق جراح قلبي والسهام والخطية. وبينما كنتُ أبكي، جاءتني كل تلك الصور الخاصة بما أريد أن أكون عليه – متحدث، مشير، في مجموعة – وكان الأمر كما لو أن يسوع كان يسألني أن أتخلى عن كل ذلك. ما جاء من قلبي كان مفاجئًا – **خوف** رهيب، ثم تصورت أني لن أحصل على شيء، ثم خطرت لي فكرة في قلبي: «تريدني أن أموت! إن تخليتُ عن تلك الأمور فلن أكون شيئًا أبدًا، أنت تطلب مني أن أموت.» كان ذلك هو رجائي للخلاص.

كيف يمكن لله أن يفعل أمرًا قاسيًا مثل ذلك؟ لماذا يفعل أمرًا رهيبًا مثل ذلك ويجرحنا في ذات مكان أعمق جراحنا؟ لقد حذرنا يسوع أن: «من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها» (لوقا ٩: ٢٤)، ولا يستخدم المسيحُ هنا كلمة (bios) إذ لا يتكلم عن الحياة الجسدية، ولا تتعلق الفقرة هنا بمحاولة أن تنقذ حياتك بتجنب الموت شهيدًا أو شيء من هذا القبيل، لكن الكلمة التي يستخدمها المسيحُ بمعنى

«النفس» هي كلمة (psyche) – وهي الكلمة الدالة على نفسنا، ذاتنا الداخلية، قلبنا، فهو يقول إن الأمور التي نفعلها لننقذ بها أنفسنا، ذواتنا، تلك الخطط لإنقاذ حياتنا الداخلية وحمايتها – تلك هي الأمور التي ستدمرنا. يقول سفر الأمثال ١٦: ٢٥: «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت.». تظهر لنا الذات المزيفة، وخططنا للفداء، بأنها مستقيمة، إذ تحجب عنا الألم، وتضمن لنا القليل من الحب والإعجاب، لكن الذات المزيفة كذبة، فالخطة برمتها مبنية على زعم غير صحيح، فهي فخ قاتل. والله يحبنا لدرجة لا يمكن معها أن يتركنا هناك، لذا يبطلنا بطرق مختلفة كثيرة جدًا.

من أجل أن يأخذ الله رجلًا إلى جرحه لكي يشفيه ويبدأ في إطلاق الذات الحقيقية، سيُبطل اللهُ الذات المزيفة، وينتزع كل ما استندتَ إليه ليجلب لك حياة. في فيلم (The Natural) يلعب «روبرت ريدفورد» دور لاعب بيسبول اسمه «روي هوبز»، وهو ربما أكثر لاعب بيسبول موهبة على الإطلاق، فهو فتى رائع في المدرسة الثانوية، موهوب جدًا ويحصل على فرص جيدة في أعلى مستويات لعبة البيسبول، لكن حلم «هوبز» يُقتطع حين يودع السجن عن طريق الخطأ متهمًا بالقتل. بعد ذلك بسنين، يحصل «هوبز» كبير السن على فرصة ثانية، ويوقِّع عقدًا مع (New York Knights) أسوأ فريق على مستوى اللعبة، لكن من خلال موهبته غير المعقولة التي لم تبددها السنين، يقود «هوبز» الفريق من الخزي إلى المباراة النهائية في البطولة القومية، ويلم شمل الفريق ويصبح مركز أملهم وأحلامهم.

ذروة الفيلم هي مباراة البطولة، وفي الجزء الثاني من الشوط التاسع قرب نهاية المباراة والنتيجة ٢ (Pittsburgh) وصفر (Knights)، حين كان لاعبان من (Knights) في الخارج، ورجل على القاعدة الأولى والثالثة تقدم «هوبز»، وهو فرصتهم الوحيدة، وهذه لحظته الخاصة. هناك أمرٌ من الضروري معرفته الآن، أمرٌ حيوي جدًا في القصة، فمنذ أيام مدرسته الثانوية، لعب «هوبز» بمضرب صنعه بنفسه من قلب شجرة قُطعت بواسطة البرق في فنائه الأمامي، ومحفورٌ بالكي على المضرب علامة صاعقة البرق والكلمتان «الصبي المعجزة». ذلك المضرب هو رمز عظمته وموهبته، ولم يلعب أبدًا أبدًا بأي مضرب سواه. يدخل «هوبز» إلى مكانه في الملعب قابضًا على «الصبي المعجزة»، يضرب ضربته الأولى لكنها تفشل، والضربة الثانية عالية وخارج المدى. أما ضربته الثالثة فهي

ضربة متينة على طول خط القاعدة الأولى وتبدو كأنها ضربة سديدة، لكنها أيضًا تصل إلى الأرض خارج المدى. يعود «هوبز» إلى مكانه في الملعب ليرى مضربه هناك... محطمًا، فقد تهشَّم في هذه الضربة الأخيرة.

هذه لحظة حرجة في حياة أي رجل، حين يتهشم كل ما قد اعتمد عليه، حين ينكسر مضربه الذهبي، تُخفق استثماراته، تسرحه شركته، تطرده الكنيسة، يهتدُّ بمرض ما، تتركه زوجته، تأتيه ابنته وهي حامل من دون زواج. ماذا عساه أن يفعل؟ هل يبقى في المباراة؟ هل ينكمش عائدًا إلى مكان انتظار اللاعبين؟ هل يندفع محاولًا إعادة ترتيب الأشياء كما يفعل الكثير جدًا من الرجال؟ يبدأ الاختبار الحقيقي للرجل حقًا، أي بداية افتدائه، حين لا يمكنه الاعتماد بعد على ما قد استخدمه طول حياته. **تبدأ الرحلة الحقيقية حين تسقط الذات المزيفة.** تمر لحظة وكأنها الدهر بينما يقف «هوبز» هناك ممسكًا القطع المكسورة، متأملًا التلف الحادث، فالمضرب لا يمكن إصلاحه، ثم يقول للصبي المسئول عن معدات اللعب: «اذهب أحضر لي مضربًا رابحًا يا «بوبي»»، ويبقى في المباراة ويسدد ضربة سديدة ويفوز.

سيأخذ اللهُ أيضًا «مضربنا»، سيفعل شيئًا ليبطل الذات المزيفة. لقد «أنقذ» ستيورات نفسه بأن أصبح دون مشاعر، وفي السنة الماضية تركته زوجته، إذ فاض بها الكيل من وجوده ثنائي الأبعاد، فأي امرأة هذه التي تريد أن تكون متزوجة من «سبوك»؟ عانى «أليكس» مؤخرًا من سلسلة من نوبات الهلع التي تركته غير قادر تقريبًا على مغادرة منزله، وسقط بناء مفتول العضلات برمته. لم يستطع أي أحد تصديق الأمر في البداية، ولم يستطع «أليكس» تصديقه، فقد كان لا يُقهر، أقوى رجل تقابله في حياتك. لكن الأمر كله كان مبنيًا كدفاع ضد الجرح. ليس من اللازم بالضرورة أن يكون فقداننا أمرًا دراماتيكيًا مثل ذلك، فقد يستيقظ رجلٌ ببساطة يومًا ما ليجد نفسه ضائعًا، ضائعًا كما وصف «دانتي» نفسه قائلًا: «في وسط طريق حياتي، استيقظتُ في غابة مظلمة، حيث ضاع الطريق الحقيقي ضياعًا كليًا.» وتلك كانت نقطة التحول في حياتي.

ذهبتُ إلى واشنطن كشاب صغير لأصنع من نفسي شيئًا، لأثبت شيئًا، لأكوِّن مصداقية ما، وكان الأمر اللعين بشأن ذلك هو أني نجحتُ. فقد عملتْ موهبتي ضدي عن طريق دعمي وتأييدي، فكنت معروفًا وكوفئتُ، لكن التجربة كلها بدت

وكأنها عملية محاولة البقاء على قيد الحياة – ولم تكن أمرًا نابعًا من مركز عميق، لكنه أمرٌ كان عليَّ إثباته والتغلب عليه والإمساك به. قال «مانينج» عن حالة النصّاب لديه: «كنت أذاكر بجد، وأحصل على درجات ممتازة، وفزتُ بمنحة في المدرسة الثانوية، وكان يتتبعني في كل لحظة من ساعات استيقاظي رعبُ الهجر وإحساسُ أن ما من أحد في صفي.» في نهاية العامين استيقظتُ في صباح أحد الأيام وأدركتُ أني أكره حياتي.

كم من مساعدات تعطي لأولئك المستعدين
للتعلُّم!
للبعض تعطي ألمًا موجعًا، ولآخرين قلبًا غارقًا،
للبعض ضجرًا أسوأ من أي ألم،
للبعض قلقًا مؤرقًا مخيفًا متهورًا،
جنونًا للبعض، وللبعض رمحًا مهتزًا
من الموت البشع الذي يتبعهم حين يستديرون،
للبعض جوعًا لا يرحل.

للبعض تعطي اضطرابًا عميقًا – احتقارًا
لكل ما هم عليه وكل ما يرونه على الأرض،
تحديقًا، في الليل الداكن والضحى الصافي،
كما على أرض من الفراغ والجوع،
للبعض حزنًا مرًا، وللبعض وخزًا
من حب يُحتقر – من هجر عليل،
للبعض قلبًا مثلجًا، ياه، أسوأ من أي شيء!

... يفكِّر رسلُ الشيطان في التشويه،
لكن ها النفس تنقاد من المزيف إلى الأصيل
نحوك، أيها المصالح، أيها الحقيقي،
يا من فيه وحده يتلاقى الكائن مع ما هو سيكون
عن قريب.

«جورج ماكدونالد»
(Diary of an Old Soul)

هذه لحظة خطيرة، حين يبدو اللهُ ضد كل شيء يعني الحياة لنا، ويراقب الشيطان فرصته ويقفز ليشتكي على الله في قلوبنا، أريتَ؟، يقول الشيطان، **الله غاضبٌ عليك، خاب أمله فيك، إن كان يحبك لكان يسَّر الأمور، هلا لاحظت أنه لا يسعى لصالحك؟** دائمًا ما يغوينا العدوُ لنعود إلى السيطرة، لنستعيد عافيتنا ونعيد بناء الذات المزيفة، وينبغي لنا أن نتذكر أنه بدافع الحب يبطل اللهُ النصّابَ فينا. فها هي الرسالة إلى العبرانيين تذكرنا أن الابن هو من يؤدبه اللهُ، لذا لا نخور (١٢: ٥ – ٦).

يحبطنا اللهُ لينقذنا، ونظن نحن أن الأمر سيدمرنا، لكن العكس الصحيح – فينبغي أن نُنقَذ مما سيدمرنا حقًا. إن كنا سنسير معه في رحلتنا للانضمام لعضوية فريق الرجال فعلينا أن نسير بعيدًا عن الذات المزيفة – أن نوقفها، أن نتخلى عنها طواعية. يبدو الأمر جنونًا، يبدو الأمر غير حصين بالمرة. توقف «براد» عن البحث عن المجموعة، وبدأ «ستيورات» في فتح قلبه نحو المشاعر والعلاقة ونحو كل ما قد دفنه لوقت طويل، وتوقف «أليكس» عن «أكل الزجاج»، وتوقف عن موضوع العضلات المفتولة برمته ليواجه ما لم يواجهه في الداخل أبدًا. تخليتُ أنا عن السعي إلى الكمال، وتركتُ واشنطن، ومضيتُ باحثًا عن قلبي. نقبل ببساطة الدعوة لترك كل ما قد اعتمدنا عليه ونخرج للمغامرة مع الله. يمكننا اختيار أن نفعل الأمر بأنفسنا أو يمكننا انتظار أن يُسقطَ اللهُ كل شيء.

إذا لم تكن لديك أدنى فكرة عن ما هي ذاتك المزيفة، فيمكنك كنقطة بداية أن تسأل أولئك الذين تعيش أو تعمل معهم، «ما تأثيري عليكم؟ صف لي كيف تراني كشخص تعيش (أو تعمل) معه؟ ما الأمر الذي **لا** تشعر بحرية في أن تطرحه أمامي؟» إن كنت لا تنبس بكلمة واحدة أبدًا في أي اجتماع إذ تخشى أن تقول شيئًا غبيًا، إذن حان الوقت لتتكلم بحرية، وإن كان كل ما تفعله هو الهيمنة على الاجتماعات إذ ينبع إحساسك بالقيمة من كونك في موضع مسؤولية، إذن تحتاج إلى أن تصمت لفترة من الوقت، وإن كنت قد هربتَ نحو الرياضات إذ تشعر هناك بأفضل شعور عن نفسك، إذن ربما حان الوقت لقسط من الراحة ولتبقَ في المنزل مع أسرتك. إن كنت لا تلعب أي ألعاب مع رجال آخرين، إذن حان الوقت للنزول إلى الجيمنازيوم مع الشباب وممارسة بعض التمارين. بكلمات أخرى، واجِه مخاوفك مواجهة مباشرة. أسقِط ورقة التين، واخرج من مخبأك.

لأي مدة من الوقت؟ لمدة أطول مما تريد، لمدة طويلة بالقدر الكافي لإظهار الأمور العميقة، ليظهر الجرح على السطح من تحت كل شيء.

فقدان النفس المزيفة مؤلم، رغم أنها قناع ارتديناه لسنين طويلة، وفقدانه يعطي إحساسًا كفقدان صديق مقرب. تحت القناع سنجد كل الإساءة والخوف الذين كنا نهرب ونختبئ منهما، وأن ندع الأمر يظهر على السطح من الممكن أن يهزنا مثل زلزال. شعر «براد» كما لو كان سيموت، وقد تشعر أنت أيضًا بذلك، أو قد تشعر مثل «آندي جولاهورن» الذي كتب أغنية «قضبان من حديد» من إصدار (Old Hat) (١٩٩٧ آندي جولاهورن):

إذن هذا هو شعور أن أكون في قاع اليأس
حين ينهار البيت الذي بنيتُه
وهذا هو الشعور حين أعرف أن الرجل الذي
أقول عنه إنه أنا
هو ليس الرجل الذي أنا عليه حين لا يكون أحدٌ
هناك

لكن هذه ليست نهاية الطريق، بل هي علامة البداية، فرحلتك متجهة نحو الحرية والشفاء والأصالة. استمع إلى الجزء التالي من أغنية «آندي»:

هذا هو الشعور بعودة الحياة مجددًا
وبداية المصارعة من أجل نوال السيطرة
وهذا هو الشعور بأن أدع الحرية تدخل
وتكسر السلاسل التي تستعبد نفسي

الابتعاد عن المرأة

بينما نبعد عن الذات المزيفة سنشعر بعدم التحصين وبالانكشاف، وسيكون هناك إغراءٌ موجع للعودة إلى ما يعزينا من أجل بعض الارتياح، تلك الأماكن حيث قد وجدنا العزاء والراحة. لأن الكثير جدًا منا تحولوا إلى المرأة من أجل أن نشعر بالذكورة، فعلينا أن نبتعد عنها أيضًا. **لا أعني هنا أن تترك زوجتك،**

بـل أعنـي أن تتوقـف عـن النظـر إليهـا مـن أجـل أن تحصـل منهـا علـى شـرعيتك. توقَّـف عـن محاولـة جعلها تنقـذك، توقـف عـن محاولـة الحصـول علـى إجابتك منهـا. بالنسـبة لبعـض الرجـال قـد يعنـي هـذا التسـبب فـي خيبـة أملهـا. إن كنـت رجـلًا سـلبيًا تتحسـس طريقـك بخشـية حـول زوجتـك لسـنين طويلـة، ولا تفعـل أي شـيء لتحريـك الميـاه الراكـدة، يكـون قـد حـان الوقـت لتحريكهـا. واجـه زوجتـك واجعلهـا تغضـب منـك. وأنتم أولئـك الرجـال مـن يتسـمون بالعنـف (بمـا فـي ذلـك المنجـزون)، الأمـر يعنـي أن **تتوقـف عـن الإسـاءة إليهـا**، أن تقـوم بتحريرهـا كموضـوع غضبـك إذ تقـوم بإطلاقهـا كمَـن كان مـن المفتـرض بهـا أن تصنـع منـك رجـلًا. التوبـة بالنسـبة لرجـل عنـده دوافـع تعنـي أن تصبـح **لطيفًـا**، وكلا النوعيـن يتعلقـان بالذهـاب إلـى المـرأة، وتعتمـد التوبـة علـى الطريقـة التـي قـد تعاملـت بهـا معهـا.

لكنـي قدمـت المشـورة للكثيـر مـن الشـباب بـأن ينفصلوا عـن المـرأة التـي **يواعدونها** لأنهـم صنعـوا منهـا حياتهـم، فكانـت هـي شمسـه التـي يـدور فـي فلكهـا. لكـن يحتـاج الرجـل مـدارًا أكبـر بكثيـر مـن امـرأة، فهـو يحتـاج مهمـة وهدفًـا للحيـاة، ويحتـاج إلـى معرفـة اسـمه، حينئـذ فقـط يكـون مناسـبًا لامـرأة، إذ عندئـذ فقـط يكـون لديـه أمـرٌ يدعوهـا إليـه. يخبرنـي صديـق أن فـي قبيلـة الماسـاي فـي أفريقيـا، لا يمكـن لشـاب أن يتـودد إلـى امـرأة قبـل أن يكـون قـد قتـل أسـدًا، وتلـك هـي طريقتهـم فـي قـول 'إلـى أن يكـون قـد انضـم إلـى فريـق الرجـال'. لقـد رأيـتُ الكثيـر جـدًا مـن الشـباب يمارسـون نوعًـا مـن الفسـق العاطفـي مـع الفتيـات، حيـث يسـعى إليهـا لا ليقـدم قوتـه، لكـن لينهـل مـن جمالهـا، ليحصـل علـى التأييـد مـن قِبلهـا وليشـعر كأنـه رجـل، فيتشـاركان فـي محادثـات حميميـة عميقـة، لكنـه لا يلتـزم بهـا، فهـو **غيـر قـادر** علـى الالتـزام، وهـذا ظلـم شـديد للفتـاة. بعـد سـنة مـن هـذا النـوع مـن العلاقـة قالـت صديقـة عزيـزة: «لـم أشـعر أبـدًا بالأمـان لكونـي لا أعـرف مـاذا كنـت أعنـي لـه.»

حيـن نشـعر بالانجـذاب ناحيـة المـرأة ذات الشـعر الذهبـي ينبغـي أن نـدرك أن أمـرًا أعمـق يعمـل هنـا. يقـول «بـلاي»:

> مـاذا يعنـي وقـوع رجـل فـي حـب وجـهٍ مشـعٍ يـراه فـي المـكان؟ قـد يعنـي أن لديـه بعـض العمـل الـذي يحتـاج أن يعملـه علـى مسـتوى النفـس، فنفسُـه هـي الموضـوع. بـدلًا مـن السـعي إلـى المـرأة ومحاولـة الحصـول عليهـا وحـده... يحتـاج أن يذهـب هـو نفسـه وحـده، ربمـا إلـى كـوخ فـي جبـل، لمـدة ثلاثـة أشـهر.

ليكتب شعرًا، ويأخذ قاربًا في النهر، ويحلم. سيوفر هذا على بعض النساء الكثير من المشاكل. (Iron John)

مرة ثانية، ليس هذا بمثابة الإذن بالطلاق، فمن تزوج بامرأة قد تعهد لها عهدًا مقدسًا، ولا يمكنه أبدًا أن يشفي جرحه عن طريق إحداث جرح آخر لمن وعد بأن يحبها. في بعض الأحيان ستتركه هي، وتلك قصة أخرى، والكثير جدًا من الرجال يجرون وراءها متضرعين إليها ألا تذهب. إن كان ينبغي لها أن تذهب فربما كان ذلك لأن لديك بعض العمل الذي تحتاج أن تعمله على مستوى النفس. ما أقوله هنا هو أن رحلة الذكورة دائمًا ما تأخذ الرجل **بعيدًا** عن المرأة، من أجل أن يعود إليها وسؤاله مجابٌ عليه، فالرجل لا يذهب إلى المرأة ليحصل على قوته، بل يذهب إليها **ليقدم لها القوة**. أنت لا تحتاج إلى المرأة لتصبح رجلًا عظيمًا، وكرجل عظيم لا تحتاج إلى المرأة. قال أغسطينوس: «لتسبحك نفسي على كل هذا الجمال، لكن لا تدع نفسي تتعلق بالجمال في فخ الحب»، فخ الإدمان لأننا قد أخذنا نفسنا إليها من أجل الشرعية والتعزية. حين يتضمن الأمر تنازلات جنسية يؤدي هذا إلى خسارة عميقة ودائمة للنفس، كما يخلق قلاعًا روحية يستخدمها الشرير حينها ليعذبنا. لقد ضمَّنتُ صلاة من أجل الشفاء الجنسي في ملحق هذا الكتاب لتساعدك أن تجد الحرية والكمال في حياتك الجنسية.

لكن هناك أيضًا أمرًا أعمق من سؤالنا. ما الذي نبحث عنه أيضًا لدى المرأة ذات الشعر الذهبي؟ ما الوجع الذي نحاول تهدئته معها؟ الرحمة، التعزية، الجمال، النشوة – في كلمة واحدة، الله. أنا جادٌّ، فالذي نبحث عنه هو الله.

ذات وقت حين كان آدم ينهل بعمق من مصدر كل حب، إذ عاش – أبونا الأول ونموذجنا الأصلي – في شركة غير منقطعة مع أجمل مصدر للحياة في الكون، مصدر آسر، خلاب، ومُسكر. فقد تمتع آدم بالله. حقًا، لم يكن جيدًا أن يكون الرجل وحده، وقد أعطانا الله في تواضعه حواء، وسمح لنا بأن نحتاج إليها أيضًا، لكن أمرًا ما حدث عند السقوط، **تغير** أمرٌ ما. فقد أخذت حواء مكان الله في حياة الرجل. دعوني أشرح.

لم ينخدع آدم من الحية، هل كنتَ تعرف هذا؟ يوضح بولس ذلك في ١تيموثاوس ٢: ١٤ – آدم لم يسقط بسبب انخداعه، لأن خطيته كانت مختلفة. من ناحية ما

كانت خطيته أخطر إذ فعلها بعينين مفتوحتين. لا نعلم كم استغرق الأمر، لكن في لحظة ما في عدن حين كانت حواء ساقطة ولم يكن آدم ساقطًا، كانت هي قد أكلتْ أما هو فظل أمامه الاختيار. أعتقد أن أمرًا ما حدث في قلبه مثل الآتي: لقد فقدتُ (ezer kenegdo)، توأم روحي، أهم رفيق عرفتُه، ولا أعرف كيف ستكون الحياة، لكني أعرف أني لا أستطيع العيش من دونها.

اختار آدمُ حواء بدلًا من الله.

إذا كنت تظن أني أبالغ، فانظر ببساطة حولك، انظر إلى كل الفن والشعر والموسيقا والدراما المكرَّسة للمرأة الجميلة، واستمع إلى اللغة التي يستخدمها الرجال لوصفها، شاهد عمل الهوس القوي، ماذا يمكن لذلك أن يكون سوى عبادة؟ يأتي الرجال إلى العالم من دون الله الذي كان فرحنا الأعمق ونشوتنا. نتوجع لسبب أو لآخر ثم نلتقي ببنات حواء وينتهي الأمر. هي أقرب شيء وجدناه، ذروة الخليقة، التجسيد الواضح لجمال الله وغموضه وحنانه وجاذبيته. وما يخرج نحوها ليس فقط توقنا إلى حواء، بل توقنا إلى الله أيضًا، فرجلٌ بدون حبه الحقيقي، بدون حياته، بدون إلهه، سيجد آخر لنفسه، وما البديل الأفضل من بنات حواء؟ ما من شيء آخر في الخليقة يقترب حتى منها.

قدمتُ نصيحة إلى شاب صغير لم يكن قط من دون رفيقة منذ الصف الثاني الإعدادي. كانت نصيحتي أن عليه أن ينفصل، ويؤجل كل المواعدات لمدة عام، ومن النظرة التي علت وجهه ستعتقد أني قلتُ له أن يقطع ذراعه... أو حتى ما هو أسوأ. هل تلاحظ الأمر هنا؟ لاحظ أن الصراع مع الإباحية أو العادة السرية يكون أصعب حين تشعر بالوحدة أو بأنك مغلوب أو حين تتوق إلى تعزية بطريقة أو بأخرى، وسيكون الأمر أشد كلما اقتربتَ من جرحك. فقد يبدو التطلع للتخلص من الألم والانجذاب ناحية أمور معزية أخرى، غامرين. فقد شاهدتُ ذلك في الكثير من الرجال، وأعرف ذلك في نفسي، لكن إن كان هذا هو الماء الذي تتعطش إليه حقيقة، إذن لماذا تبقى في ظمأ بعد أن تكون قد شربتَ؟ إنها البئر الخاطئة.

ينبغي أن نعكس اختيار آدم، ينبغي أن نختار اللهَ بدلًا من حواء، وأن نأخذ ألمنا إليه، إذ فيه وحده سنجد شفاء جرحنا.

الفصل السابع

شفاء الجرح

أيها المجرم اليائس، لماذا لا تثوب إلى رشدك
لقد قضيتَ وقتًا طويلًا وحيدًا
ياه، أنت صلب، لكني أعرف
أن لديك أسبابك...
من الأفضل لك أن تدع أحدًا يحبك
قبل أن يفوت الأوان.

–The Eagles
"Desperado"
(© ١٩٧٣ «جلين فراي» و«دون هينلي»)

مهمة الشفاء هي احترام النفس كمخلوق، لا أكثر ولا أقل.

–«ويندل بيري»

أعمق رغبة في قلوبنا هي الاتحاد مع الله، فقد خلقنا الله من أجل الاتحاد معه: وهذا هو الغرض الأصلي من حياتنا.

–«برينان مانينج»

أعتقد أني قدمتُ انطباعًا خاطئًا عن حياتي مع أولادي، تسلُّق الجبال، والإبحار، والمصارعة، والبحث عن الخطر والتدمير - قد يتولد لديك انطباع بأننا نوع من الأكاديمية العسكرية من الغابات الخلفية أو واحدة من تلك الميليشيات. لذا دعوني أخبركم بالحدث المفضل لديَّ في اليوم. يأتي هذا الحدث متأخرًا في المساء، في وقت النوم، بعد أن يكون الأولاد قد غسلوا أسنانهم ونكون قد صلينا صلواتنا العائلية. بينما أضعهم في أسرَّتهم، يسألني واحد من أولادي: «بابا، هل يمكننا الاستدفاء الليلة؟» وقت الاستدفاء هو حين أتشارك معهم بجانبهم على السرير الذي لا يكفينا معًا - وهذا هو جوهر الموضوع أن نقترب أكثر - وفي الظلام نتكلم معًا، عادة نبدأ بالضحك ثم نضطر للهمس لأن الآخرين سيطلبون منا أن «نخفض أصواتنا»، وفي بعض المرات يتحول الأمر إلى المداعبة، وفي مرات أخرى يسألون بعض الأسئلة الجادة بشأن الحياة، لكن أيًا كان ما يحدث، فأكثر ما يهم في الأمر هو ما وراء كل ذلك: الحميمية، والقُرب، والاتصال.

نعم، يريد أولادي أن أقودهم نحو المغامرة، ويحبون أن يختبروا قوتهم مقابل قوتي، لكن كل ذلك يحدث في سياق من رابطة الحب الحميمة، التي هي أعمق من أن تعبر عنها الكلمات، فما يريدونه أكثر من أي شيء، وما أحب أن أقدمه لهم أكثر من أي شيء، هو وحدة النفس مع النفس. يقول «توم وولف»:

> كان يبدو لي أن أعمق بحث في الحياة، الأمر الذي كان بطريقة أو بأخرى مركزيًا لكل الحياة، بحث الإنسان ليجد أبًا، ليس مجرد أبٍ من لحمه، وليس مجرد الأب الذي افتقده في شبابه، لكن صورة القوة والحكمة الخارجية لاحتياجه، التي تفوق جوعه، ويمكن أن يتحد بها إيمانُ وقوةُ حياته الشخصية.
> ("The Story of a Novel")

مصدر القوة الحقيقية

يخجل الرجال بالإجماع من خوائهم وجرحهم، إذ هذان لمعظمنا هما مصدرٌ ضخم من الخزي كما قلتُ. لكن لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك، فمنذ البدء، وقبل السقوط والخطية، كان المقصود من وجودنا أن يكون وجودًا اعتماديًا بشكل ماسٍّ، إذ يشبه الأمر الشجرة وأغصانها. هذا ما يشرحه المسيحُ، أنا الكرمة وأنتم الأغصان، مني تحصلون على حياتكم، وهذا هو المقصود من الأمر. ويواصل المسيح ليقول: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يوحنا ١٥: ٥)، وهو هنا لا يوبخنا أو يسخر منا، ولا حتى يقول ذلك متنهدًا بينما يجول في فكره **كم كنتُ أتمنى لو كانوا يستجمعون قوتهم ويتوقفون عن الاحتياج إليَّ بهذا الشكل الضخم**. ليس هذا الحال على الإطلاق، فنحن مصنوعون لنعتمد على الله، **مصنوعون** للاتحاد معه وما من شيء فينا يعمل بشكل صحيح من دون هذا الاتحاد. كتب سي. إس. لويس «تُصنع السيارة لتعمل بالبنزين، ولن تعمل كما ينبغي بأي شيء آخر، وقد صمم اللهُ آلة الإنسان لتعمل به، فالله نفسه هو الوقود الذي صُممتْ أرواحنا لتعمل به، أو الطعام الذي صُممتْ أرواحنا لتتغذى عليه، هو فقط ولا يوجد شيءٌ آخر.»

وهذه هي النقطة حيث تأتي خطيتنا وثقافتنا معًا لتبقيانا في عبودية وانكسار، وتمنعا شفاء جرحنا. خطيتنا هي ذلك الجزء العنيد داخلنا الذي يريد فوق كل شيء آخر أن يستقل. هناك جزء فينا يرغب بشكل شديد في العيش، بحيث لا نُضطر للاعتماد على أي أحد – خاصة الله. ثم تأتي الثقافة بشخصيات مثل «جون وين» و«جيمس بوند» وكل أولئك «الرجال الحقيقيين» الآخرين، والأمر المشترك بينهم هو أنهم **بمفردهم**، لا يحتاجون لأحد، فنأتي إلى الاعتقاد في قلوبنا بأن الاحتياج إلى أي شخص من أجل أي شيء هو نوع من الضعف أو الإعاقة. لهذا لا يتوقف رجلٌ أبدًا ليسأل عن الطريق، سمعتي سيئة فيما يختص بهذا الأمر، أعرف كيف نصل إلى هناك، سأجد الطريق بنفسي، أشكرك شكرًا جزيلًا. فقط حين أكون تائهًا تمامًا ونهائيًا وكليًا أتوقف لأحصل على بعض المساعدة، وسأشعر حينها بالضعف إذ أعمل ذلك.

لم يعرف يسوع أيًا من ذلك، فالرجل الذي لم يلتفت قط ليتحدى المرائين ويغيظهم، ذاك الذي طرد «مئة رجل ضاربًا إياهم بحزمة حبال»، سيد الريح

والبحر، عاش معتمدًا تمامًا على أبيه، «الحق الحق أقول لكم: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما ينظر الآب يعمل»، «أرسلني الأب الحي، وأنا حي بالآب»، «الكلام الذي أكلمكم به لستُ أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال»، ليس ذلك مصدر خجل للمسيح، بل العكس، فهو يتفاخر بشأن علاقته مع أبيه، ويسعدُ بإخبار كل من هو مستعد ليسمع «أنا والآب واحد» (يوحنا ٥: ١٩، ٦: ٥٧، ١٤: ١٠، ١٠: ٣٠).

لماذا يعتبر هذا الأمر مهمًا؟ لأن الكثير جدًا من الرجال الذين أعرفهم يعيشون سوء فهم عميق للمسيحية، إذ ينظرون إليها باعتبارها «فرصة ثانية» لإعادة تنظيم الأمور، فقد غُفرت خطاياهم، لذا يرون أن دورهم الآن هو الالتزام بالبرنامج. يحاولون إنهاء الماراثون بساقٍ مكسورة، لكن تابع هذا عن كثب الآن: تذكُّر أن الذكورة هي جوهر يُمرر من الأبِ إلى الابن. تلك صورة لحقيقة أعمق، كما هو الحال في الكثير جدًا من الأمور في الحياة. فالجوهر **الحقيقي** للقوة يُمرر إلينا من الله **عبر اتحادنا معه** لاحظ كيف كان هذا جزءًا حيويًا وعميقًا من حياة الملك داود، إذ يتذكر أنه رجل الرجال، ومحاربٌ بالتأكيد، استمِع إلى وصفه علاقته مع الله في المزامير:

أحبك يا رب، يا قوتي (١٨: ١)

أما أنت يا رب، فلا تبعد.
يا قوتي، أسرع إلى نصرتي. (٢٢: ١٩)

من قوته، إليك ألتجئ،
لأن الله ملجأي،
إلهي رحمته تتقدمني (٥٩: ٩ – ١٠)

أجرؤ أن أقول أن بإمكان داود أن يتحدى «جون وين» أو «جيمس بوند» في أي وقت، ومع ذلك فهذا الرجل الحقيقي لا يشعر بالخجل من الاعتراف باعتماده الكامل على الله. نعرف أن من المفترض أن نجسِّد القوة، ونعرف أننا لسنا على ما قُصد لنا أن نكونه، لذا نشعر بانكسارنا كمصدر للخزي. بينما كنت أتكلم مع «ديف» مؤخرًا عن جرحه واحتياجه للدخول في هذا الجرح من أجل الشفاء، اعترض «ديف» قائلًا: «لا أريد حتى أن أذهب إلى هناك، إذ أشعر بأن الجرح

مازال حقيقيًا.» الرجال عادةً يكونون قساة مع الأجزاء المكسورة داخلهم، ويعلنُ الكثيرون شعورَهم كما لو أن هناك ولدًا في الداخل، ويكرهون هذا عنهم. **توقف عن كونك ولدًا مثل هذا**، يأمرون نفسهم هكذا، لكن الله لا يشعر بنفس الشعور، فالله غاضب بشأن ما حدث لك، «خير له لو طُوق عنقه بحجر رحى وطُرح في البحر، من أن يُعثر أحد هؤلاء الصغار.» (لوقا ١٧ : ٢). فكِّر ما عسى أن يكون شعورك إن كانت الجراح التي وُجهت إليك والضربات التي سُددتْ نحوك سددت نحو ولد تحبه – ابنك مثلًا. هل كنتَ ستفضحه بسبب ذلك؟ هل كنتَ ستشعر بالاحتقار لعدم قدرته على الارتفاع فوق كل هذا؟ لا، كنتَ ستشعر بالإشفاق. كتب «جيرارد مانلي هوبكينز»:

لأشفق على قلبي بقدر أكبر
لأعيش في رفقٍ بنفسي الحزينة فيما بعد

في فيلم (Good Will Hunting) نجد صورة جميلة لما يمكن أن يحدث حين يدرك رجلٌ أنه قد «ملك» جرحه، ويكتشف أنه ليس مضطرًا لعمل ذلك. «ويل هانتينج» (الذي يلعب دوره «مات ديمون») شابٌ عبقري، نابغة، يعمل عامل نظافة في معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا ويعيش في منطقة فقيرة من المدينة، ولا يعلم أحدٌ بشأن موهبته لأنه يخفيها وراء ذات مزيفة من «الصبي القوي الآتي من الجزء الفقير في المدينة». إنه محاربٌ (رجل عنيفٌ)، وتولدتْ تلك الذات المزيفة من جرح أتى من أبيه. إنه لا يعرف أباه الأصلي، والرجل الذي رباه وتكفل به اعتاد أن يأتي إلى المنزل ثملًا ويضرب «ويل» من دون رحمة. بعد أن تم القبض عليه لدخوله في شجار للمرة المليون، تحكم المحكمة أن على «ويل» أن يرى أخصائيًا نفسيًا هو «شون» (الذي يلعب دوره «روبين ويليامز»). يكوِّنان رابطة ولأول مرة في حياة «ويل» يهتم به رجلٌ أكبر منه سنًا اهتمامًا عميقًا، وها قد بدأت طقوس انضمامه لفريق الرجال. ونحو نهاية إحدى جلساتهما، يتكلم «شون» و«ويل» عن الضرب الذي عاناه، وكان مُسجَّلًا في ملف حالته.

ويل: إذن، آه... ما الأمر؟ هل هو أمرٌ مثل
«ويل يعاني من اضطراب التعلُّق» أو مثل هذه
الأشياء؟ «الخوف من الهجر»؟ هل هذا هو

السبب الذي من أجله انفصلتُ عن «سكايلر» [رفيقته]؟

شون: لم أكن أعلم أن لديك رفيقة.

ويل: نعم، كان لديَّ.

شون: أترغب في التكلم عن هذا الموضوع؟

ويل: (محدقًا في الأرض) لا.

شون: يا «ويل»... أنا لا أعلم الكثير، لكن لاحظ أن هذا (ممسكًا بملفه)... ليس خطأك.

ويل: (صارفًا النظر عنه) نعم، أعرف ذلك.

شون: انظر إليَّ يا ابني، ليس الأمر خطأك.

ويل: أعرف.

شون: ليس خطأك.

ويل: (بادئًا في التصرف كمن يدافع عن نفسه) أعرف.

شون: لا، لا، لا تعرف. ليس خطأك.

ويل: (بشكل دفاعي بشكل بالغ) أعرف.

شون: ليس خطأك.

ويل: (محاولًا إنهاء المحادثة) حسنًا.

شون: ليس خطأك... ليس خطأك.

ويل: (غضب) لا [تعبث] معي يا «شون»، لا تفعل ذلك.

شون: ليس خطأك... ليس خطأك... ليس خطأك.

ويل: (ينهار بين ذراعيه، باكيًا) آسف جدًّا، آسف جدًّا.

ليس هناك ما يُخزي في احتياجك إلى الشفاء، وليس هناك ما يُخزي في البحث عن شخص آخر من أجل القوة، وليس هناك ما يُخزي في شعورك بأنك صغير

وخائف في داخلك، فالخطأ ليس خطأك.

الدخول إلى الجرح

انتحر والد «فريدريك بويشنر» حين كان في العاشرة من عمره، تاركًا رسالة موجزة لأمه: «أعبدكِ وأحبكِ، ولا فائدة مني... أعطِ «فريدي» ساعتي، وأعطِ «جيم» قلمي المُرصَّع، لكِ كلُ حبي»، ثم جلس في الجاراج بينما ملأتِ السيارةُ الدائرةُ المكانَ بأول أكسيد الكاربون. حدث هذا في صباح أحد أيام السبت في الخريف، وكان من المفترض أن يأخذ «فريدريك» وأخاه إلى مباراة كرة القدم ذلك اليوم، وبدلًا من ذلك، أخذ نفسه بعيدًا عن حياتهم إلى الأبد. ما المفترض أن يفعل صبي في العاشرة من عمره حيال حدث كهذا؟

> يأخذ الطفلُ الحياة كيفما تأتي إذ ليست له أي طريقة أخرى ليتعامل مع الحياة. لقد وصل العالم إلى نهايته في صباح ذلك السبت، لكن في كل مرة كنا ننتقل إلى مكان آخر، كنتُ أرى عالما قد انتهى ويوجد عالمٌ آخر بديلٌ له. قال «مارك توين» إنه حين يموت أحدهم يكون الأمر مثل احتراق منزلك، إذ لا تدرك المدى الكامل للخسارة إلا بعد سنوات كثيرة. بالنسبة لي استغرق الأمر فترة أطول من معظم الناس، ولستُ على يقين ما إذا أدركتُ الأمر بالكامل بعد، وفي نفس الوقت دُفنتْ خسارتي في جزء عميق داخلي لدرجة أن بعد وقت لم أخرجها تقريبًا على الإطلاق لأنظر إليها، ناهيك بالحديث عنها. (The Sacred Journey)

نفس الأمر بالنسبة لجرحنا، خاصة نحن الرجال، إذ ندفنه في عُمق بعيد ولا نخرجه ثانيةً أبدًا، لكن ينبغي لنا أن نستخرجه، أو ندخل إليه. دخلتُ إلى جرحي عبر الباب المفاجئ لغضبي، فبعد أن انتقلنا إلى كولورادو منذ حوالي إحدى عشرة سنة وجدتُ نفسي أنفجر في أولادي بسبب أمور سخيفة، فمن الممكن لكوب حليب مسكوب أن يثير انفجارًا من الغضب. **ياه يا جون**، فكرتُ في نفسي، **هناك أمورٌ ما تحدث في الداخل، من الأفضل أن تلقي نظرة عميقة عليها**. وباستكشافي لغضبي بمساعدة صديقي العزيز «برينت» أدركتُ أني كنتُ غاضبًا بشأن شعوري بأني وحيد تمامًا في عالم يطلب مني بشكل متواصل أكثر

مما أشعر أن بإمكاني تقديمه، فقد كان شيءٌ ما بداخلي يشعرني بأني صغير - كأني صبي في العاشرة من عمره في عالم الرجل لكن بدون قدرة الرجال على النجاة. كان هناك الكثير من الخوف تحت السطح، الخوف من أني سأفشل، الخوف من أن أمري سيُفتضح، وفي النهاية الخوف أساسًا من أني بمفردي. **من أين أتى كل هذا الخوف؟** تساءلتُ، **لماذا أشعر بأني وحيد في العالم بهذا الشكل؟... وبأني صغير في داخلي؟ لماذا يشعر شيءٌ ما في قلبي باليُتم؟**

جاءت إجابتي عبْر عدة أفلام. صُدمتُ بفيلم (A River Runs Through It) من خلال قَصِّه حكاية الأولاد الذين لم يجدوا أباهم أبدًا سوى وقت رحلات الصيد، وكيف فقدوا حتى ذلك في النهاية. أدركتُ أني كنتُ قد فقدتُ أبي، وأن هذا الفقد، مثلما حدث مع «بويشنر»، دُفن في عمق بعيد فيَّ لدرجة أني لم أستخرجه تقريبًا قط. جُرحتُ من فيلم (A Perfect World) لأني رأيتُ هناك مدى ما يعنيه الأب للولد ومدى توقي لتلك الحميمية مع مصدر للقوة يحبني ويقدر أن يخبرني باسمي. تعاطفتُ مع «ويل هانتينج» لأني أنا أيضًا كنتُ محاربًا وكنتُ أرى نفسي ضد باقي العالم وكنتُ أنا أيضًا قد قبلتُ بجرحي ولم أحزن بسببه أبدًا، وكنتُ أظن أنني المخطئ.

ببعض الطرق كان على الله أن يأتي إليَّ عبر تلك القصص إذ لم أكن مستعدًا أن أقفز بسعادة عبْر الطريق إلى أعمق ألم في قلبي. نحن نقاوم هذا الجزء من الرحلة، فالذات المزيفة برمتها هي دفاعٌ مفصَّل ضد الدخول إلى قلبنا الجريح، فهي عَمَى نختاره. يقول «مانينج»، «تعمي ذاتُنا المزيفة بكل عنادٍ كلَّ واحد منا عن النور والحق الخاصين بفراغنا وتجرُّدنا.» هناك قراء ليست لديهم أدنى فكرة حتى عما هو جرحهم، ولا حتى عن الذات المزيفة التي ظهرت من هذا الجرح، ويا له من عمى مريح! يا لهناء الجُهال. لكن الجرح الذي لا يُشعر به هو جرح لم يشف بعد، فلا بد لنا من الدخول، وقد يكون البابُ هو غضبك، وقد يكون رفضًا اختبرتَه، ربما من قِبل فتاة، وقد يكون فشلًا، أو خسارة المضرب الذهبي، والطريقة التي يُبطل اللهُ بها ذاتك المزيفة. قد يكون الأمر صلاة بسيطة: يا يسوع، خذني إلى جرحي.

«هأنذا» يقول يسوع «واقف على الباب وأقرع».

شفاء الجرح

إن أردتَ أن تتعلم كيفية شفاء العميان، وظننتَ أن تبعية المسيح في كل مكان ومشاهدة كيف يفعل ذلك ستجعل الأمور واضحة، فسينتهي بك الأمر بخيبة الأمل، إذ لا يفعل الأمر أبدًا مرتين بنفس الطريقة، إذ يتفل على رجلٍ، أما مع آخر فهو يتفل على الأرض ويصنع طينًا ويضع ذلك على عينيه، ولثالث يتكلم ببساطة، ويلمس رابعًا، ومع خامسٍ يطرد شيطانًا. فليست هناك وصفة مع الله. الطريقة التي يشفي بها جرحنا هي عملية شخصية بشكل كبير، فهو شخصٌ، ويصرٌّ على العمل بطريقة شخصية، فللبعض يأتي الأمر في لحظة من اللمسة المقدسة، وللبعض الآخر يحدث الأمر عبْر زمنٍ ومن خلال مساعدة شخص آخر وربما عدة أشخاص آخرين. تقول «آجنس سانفورد»، «داخل الكثير منا جروحٌ عميقة جدًا لدرجة أن ما يشفينا هو فقط تدخُّل شخص آخر نستطيع أمامه أن نعرِّي حزننا.»

حدث الكثير جدًا من الشفاء في حياتي ببساطة عبْر صداقتي مع «برينت». كنا شريكين، لكن أكثر بكثير من ذلك، كنا صديقين، فقد قضينا ساعات معًا نصطاد، ونسافر، ونخرج معًا، فقط قضاء وقت مع رجل أحترمه حقيقةً، رجل حقيقي يحبني ويحترمني – ما من شيء يشفي مثل ذلك. في البداية كنت أخشى أن أكون خادعًا له، فيومًا ما سيرى ما يختبئ داخلي ويتركني، لكنه لم يفعل ذلك، وما حدث بدلًا من ذلك أنه أعطاني الشرعية. كنت أعرف في قلبي أنه رجل وكان يعتقد أني أنا أيضًا رجل، إذن فربما أكون رجلاً حقًّا. تذكَّر – تُمنح الذكورة بواسطة الذكورة. لكن كانت هناك طرق مهمة عمل اللهُ من خلالها – أوقات من الصلاة طلبًا للشفاء، أوقات من الحزن على الجرح والغفران لأبي، والأكثر من ذلك أوقات الاتحاد العميق مع الله. النقطة المحورية هي: لا يحدث الشفاء أبدًا بعيدًا عن الحميمية مع المسيح، إذ ينبع شفاء جرحنا من اتحادنا معه.

لكن هناك بعض النقاط المشتركة التي سأشاركها معك في سعيك نحو استعادة قلبك.

الخطوة الأولى: اخضع. تبدو أول خطوة بسيطة جدًا لدرجة يصعب معها أن نصدق أننا نغفلها، ولا نطلبها أبدًا، وحين نطلبها نصارع في بعض المرات لعدة

أيام حتى نُخرج الكلمات فقط.

يبدأ الأمر بالخضوع. يقول «لويس»: «إلى أن تقدم ذاتك له، لن تكون لك ذاتٌ حقيقية.» فنحن نعيد الغصن إلى جذعه، نسلِّم حياتنا إلى ذاك الذي هو حياتنا، وحين ندعو يسوع إلى جرحنا، نطلب منه أن يأتي ويلتقينا هناك، أن يدخل إلى الأماكن الكسيرة وغير المشفية من قلبنا. حين يخبرنا الكتاب المقدس أن المسيح جاء «ليفتدي البشرية»، يقدم أكثر جدًا من الغفران، فالمغفرة ببساطة لرجل كسيرٍ تشبه القول لشخص يجري في ماراثون: «لا توجد مشكلة أن رجلك مكسورة، لن أحمل هذا الأمر ضدك، والآن، هيا، أنهِ السباق»، من القسوة أن تتركه معاقًا بتلك الطريقة. لكن، هناك أكثر من ذلك في افتدائنا. فلبُّ رسالة المسيح يُذكَرُ في نبوة إشعياء ٦١: ١

روح السيد الرب عليَّ،
لأن الرب مسحني
لأبشر المساكين،
أرسلني لأعصب منكسري القلب،
لأنادي للمسبيين بالعتق،
وللمأسورين بالإطلاق

يقول هنا أن المسيح سيأتي ليعصب ويشفي، ليطلق ويعتق، ماذا؟ إنه **قلبك**، يأتي المسيح ليستعيدك وليطلقك، أنت، نفسك، أنت الحقيقيَّ، وهذه هي **الفقرة المركزية** في الكتاب المقدس كله عن يسوع، الفقرة التي يختار هو أن يقتبسها عن نفسه حين يخطو نحو دائرة الضوء في لوقا ٤ معلنًا وصوله، لذا فلتأخذ كلمته مأخذ الجد – اطلب منه أن يشفي كل الأماكن الكسيرة داخلك وأن يوحِّدها لتكوِّن قلبًا كاملًا صحيحًا. اطلب منه أن يطلقك من كل عبودية وأسر كما وعد أن يفعل. صلَّى «ماكدونالد» قائلًا: «اجمع الشظايا المنكسرة فيَّ لأصير كيانًا صحيحًا... وليكن قلبي بهيجًا مستقبِلًا للكل، لكن اصنعه كيانًا صحيحًا، يشع الضياء من كل جزء منه.»

لكن لا يمكنك أن تفعل ذلك عن بُعد، فلا يمكنك أن تطلب من المسيح أن يأتي إلى جرحك بينما تبقى أنت بعيدًا عنه، إذ ينبغي أن تذهب معه إلى هناك. أيها

الرب يسوع، أقدم لك حياتي بالكامل، بكل ما فيّ، أُخضع نفسي لك تمامًا، تعالَ وكُن ربي، اشفني، أعطيك قلبي الجريح، تعالَ وقابلني هناك، ادخل قلبي ونفسي، جراحي وانكساري، واجلبْ حبك الشافي إليَّ في هذه الأماكن الكسيرة ذاتها.

الخطوة الثانية: نحزن. ينبغي أن نحزن على الجرح، فلم يكن خطأك، والأمر مهمٌ. يا له من يوم محوري بالنسبة لي، ذلك اليوم حين سمحتُ لنفسي ببساطة أن أقول إن فقدان أبي كان **مهمًا**. وكانت الدموع التي انهمرت هي الدموع الأولى التي منحتُها لجرحي. كانت تلك الدموع شافية بشكل عميق. كل تلك السنوات من التحمُل ذابت تمامًا في حزني. من المهم جدًا لنا أن نحزن على جرحنا، فهو الأمر الأمين الوحيد الذي يمكننا عمله، إذ نعترف في حزننا بالحقيقة – أننا جُرحنا من شخص نحبه، وأننا فقدنا شيئًا عزيزًا جدًا، وأن الأمر سبب لنا جرحا كبيرًا. الدموع شافية، إذ تساعد على فتْح الجرح وتنطيفه. كتب أغسطينوس في كتاباته (Confessions)، «الدموع... انهمرتْ، وتركتُها تفيض بحرية كما عنَّ لها، صانعًا منها وسادة لقلبي، حيث ارتاح قلبي عليها.» النوح هو بمثابة إعطاء شرعية، إذ يقول النوحُ إن الجرح **مهمٌ**.

الخطوة الثالثة: ندَع الله يحبنا. ندع الله يحبنا، ندعه يقترب إلينا حقًا. أعرف أن الأمر يبدو جليًا لدرجة مؤلمة، لكني أقول لكم إن القليل جدًا من الرجال يتركون أنفسهم عرضةً ليحبوا من الله. بعد أن خسر «براد» خطته للفداء سألتُه: «براد، لمَ لا تدع الله يحبك؟» فتلوَّى في مقعده قائلًا: «أجد صعوبة كبيرة مع ذلك الأمر، فقط فكرة أن أُحَب، إذ يولِّد ذلك شعورًا بأني عريان، أفضِّل بالأحرى أن أمتلك زمام الأمر، أن يُعجبوا بي بسبب ما أحضر إلى المجموعة.» لاحقًا، كتب الآتي في خطاب لي:

> بعد أن انهار كلُّ شيء، غُمرتُ بالحزن والنوح، فالألم لا يُصدق. ووسط ذلك سألني اللهُ: «يا براد، هلا تدعني أحبك؟» أعرف ماذا يطلب، وأشعر بالقلق أني أحتاج أن أراسل كل تلك الأماكن الدراسية لتأمين مستقبل لي، لكني مُتعَبٌ من الهروب، وأريد العودة. قلَّبتُ في صفحات كتابي المقدس وأتيتُ إلى يوحنا ١٥: «كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي»، المعركة شديدة جدًا، ففي بعض الأوقات يكون الأمر كلُّه واضحًا، وفي

أوقات أخرى تكون الصورة ضبابية. كل ما يمكنني عمله الآن الالتصاق بيسوع بأفضل طريقة أعرفها وعدم الهرب من كل ما في قلبي.

الثبات في محبة الله هو رجاؤنا الوحيد، هو البيتُ الحقيقي الوحيد لقلوبنا. لا أن نعترف عقليًّا أن الله يحبنا، بل أن ندع قلوبنا ترجع إلى مكانها فيه، وتبقى في محبته. يقول «ماكدونالد» هذا بالطريقة التالية:

حين تتحول قلوبنا إليه، يكون هذا بمثابة فتْح الباب له... ثم يدخل، ليس فقط بفكرنا، ليس فقط في أفكارنا، لكنه يأتي بنفسه، وبإرادته الشخصية. إذن يصبح الربُّ، الروحُ، هو نفسُ نفوسنا... فتصبح هي بالحقيقة كينونتنا، ومن ثم بالحقيقة تكون لنا حياة، تصبح حياة يسوع حياةً فينا... ونكون واحدًا مع الله إلى أبد الآبدين. (The Heart of George MacDonald)

أو كما يكرر القديس يوحنا الصليبي: «يا للرقة والحب اللذين بهما تبقى مستيقظًا في عمق نفسي ومركزها، حيث تثبتُ سرًّا وفي صمت وحدك، كربٍّ نفسي الوحيد، لا فقط كأنك في بيتك الخاص أو في حجرتك الخاصة، بل أيضًا كما في حضني أنا الخاص، في اتحاد قريب وحميم.» (Living Flame of Love). هذا الاتحاد العميق الحميم مع يسوع ومع أبيه هو مصدر كل شفائنا وكل قوتنا، فهو كما تقول «ليان بين»، «الحقيقة المركزية والفريدة في المسيحية». بعد مؤتمر طرحتُ فيه رحلةَ الذكورة على مجموعة صغيرة من الرجال، تلقيتُ هذه الرسالة الإليكترونية:

لم يتركنا أبي أبدًا، لكن لم يكن لديه الوقت أبدًا لي ولا لكلمات التشجيع، فقد قضى حياته كلها جاعلًا من نفسه مركز الاهتمام. ولأول مرة أفهم سبب انسياقي الشديد، ولماذا لا أدع أحدًا يقترب مني – بما في ذلك زوجتي – ولماذا أعتبر نفسي نصابًا على معظم الناس. انهرتُ وبكيتُ. أشعر بحضور الله في قلبي كما لم أشعر به من قبل... بداية قلب جديد.

الخطوة الرابعة: نغفر. حان الوقت لكي نغفر لآبائنا ولكل الذين جرحونا. يحذرنا بولس إذ يمكن لعدم الغفران والمرارة أن يدمرا حياتنا وحياة الآخرين (أفسس ٤: ٣١، عبرانيين ١٢: ١٥). أشعر بالأسف حين أفكر في كل السنين التي تحمَّلتْ

فيها زوجتي الغضب والمرارة اللذين كنتُ أعيد توجيههما نحوها من والدي. قال أحدهم إن الغفران هو إطلاق سجين ثم اكتشاف أن السجين هو أنت. وجدتُ بعض المساعدة في اختبار «بلاي» في غفرانه لوالده، حين قال: «بدأتُ أفكر فيه لا باعتباره شخصًا حرمني من الحب أو الاهتمام أو الرفقة، بل شخصًا حُرم هو نفسه، من قِبل أبيه وأمه ومن قِبل الثقافة.» كان لأبي جرحه الخاص الذي لم يعرض عليه أحد الشفاء منه، كان أبوه مدمنًا على الكحوليات أيضًا لفترة من الزمن، وواجه أبًا بعض السنوات الصعبة وهو شاب، تمامًا مثلما واجهت أنا سنوات صعبة.

ينبغي أن تفهم الآن: الغفران اختيار، فهو ليس شعورًا، لكنه فعل إراديٌّ. كتب «نيل آندرسون»، «لا تؤخر الغفران إلى أن تشعر بالرغبة فيه، وإلا فلن تصل أبدًا، فالمشاعر تستغرق وقتًا لتُشفى بعد أن يكون اختيار الغفران قد اتُّخذ.» نسمح لله أن يجلب الإساءة من ماضينا، لأنه «إن لم يصل غفرانُك إلى العمق العاطفي من حياتك، فسيكون غير كاملٍ». نعلنُ أن الأمر تسبب في الألم، وأن الأمر مهمٌ، ونختار أن نقدم الغفران لأبينا. لا يقول: «لم يكن الأمر مهمًا»، ولا يقول: «كنتُ على الأرجح مستحقًّا لجزء من الأمر على أي حال»، بل يقول الغفران: «كان خطأً، وكان الأمر مهمًا، وأنا أُطلِقُك.»

ثم نسأل الله أن يكون هو أبانا، وأن يخبرنا باسمنا الحقيقي.

اسم اللّه لنا

لاحظتُ منذ بضع سنوات، في طريقي نحو رحلتي للذكورة، أني كنت متصلًا بشكل جيد بالله، لكن ليس بالله **كأب**. وليس صعبًا اكتشاف السبب، فقد كان الأب مصدرًا للألم وخيبة الأمل بالنسبة لي... وبالنسبة للكثيرين منا، ثم قرأتُ ما كتبه «ماكدونالد»:

> في فترة طفولتي وصباي كان أبي هو الملجأ من كل اضطرابات الحياة، بل والألم الحاد نفسه، لذلك أقول للابن والابنة اللذين لا يُسرانِ باسم **الأب**: «ينبغي أن تفسِّر الكلمة بكل ما افتقدتَه في الحياة، فكل ما يمكن للرقة الإنسانية أن تعطيه أو أن ترغبه يكمن في قُرب الحب والاستعداد له. كل

ذلك وأكثر إلى ما لا نهاية هو بالتأكيد حقيقيٌ بالنسبة للآب الكامل – صانع الأبوة.» (The Heart of George MacDonald)

كان توقيت الهدية مثاليًا، إذ كنتُ أعرف أن الوقت حان لأسمح لله أن يمارس أبوته لي. (وعلى مدار عملية انضمامي لفريق الرجال كان الله يزودني بكلمات مثل تلك، ورسائل، وأناس، وعطايا لتفتح الطريق للمرحلة التالية من الرحلة.) تُمرَّر الذكورة من الأب إلى الابن، ثم بعدها من الآب إلى الابن. آدم وإبراهيم ويعقوب وداود ويسوع – تعلموا كلهم مَن هم من خلال حميميتهم مع الله، مع الآب، فعلى أي حال، «من يمكنه أن يعطي رجلًا اسمه هذا؟ إنه الله وحده. فما من أحد سوى الله يرى من هو الرجل.». عادة ما يشغل هذا التفكير، مع إحساس بالذنب – **نعم، الله يراني... وما يراه هو خطيتي**. ذلك خطأ على مستويين.

أولًا، لقد تم التعامل مع خطيتك، فقد أبعدها عنك الآب، أبوك «كبعد المشرق عن المغرب» (مزمور ١٠٣: ١٢)، ولقد غُسلتْ خطاياك (١كورنثوس ٦: ١١)، وحين ينظر الله إليك لا يرى خطيتك، ولا يحمل حتى فكرة واحدة تحمل دينونة عليك (رومية ٨: ١)، لكن ليس هذا كل الأمر، إذ لك الآن قلبٌ جديد، وذلك وعد لعهد جديد: «وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعملون بها.» (حزقيال ٣٦: ٢٦ – ٢٧)، ليس غريبًا أن يُدعى هذا خبرًا سارًا.

يعيش الكثير جدًا من المسيحيين اليوم في العهد القديم، فقد تدربوا جيدًا على إرميا ١٧: ٩ ويسيرون هنا وهناك معتقدين أن **قلبي أخدع من كل شيء**، لا لم يعد كذلك، فلتقرأ باقي السفر، ففي إرميا ٣١: ٣٣ يعلنُ اللهُ عن علاج لكل ذلك: «أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا». سأعطيك قلبًا جديدًا، لذلك يقول بولس في رومية (٢: ٢٩): «بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح»، فليست الخطية هي أعمق شيء فيك، إذ لك قلبٌ جديد، هل سمعتني؟ قلبُك **صالحٌ**.

ما يراه اللهُ حين يراك هو ذاتك **الحقيقية**، أنت الحقيقي، الرجل الذي كان في فكره حين صنعك، وإلا فكيف يمكنه أن يعطيك الحصاة البيضاء وعليها اسمك

الحقيقي؟ لقد أخذتُك معي في قصة «ديف» – وكيف أصابه أبوه بجرح «ابن ماما»، وكيف سعى إلى شعوره بالذكورة من خلال النساء، وكيف كان يحتضن جرحه ورسالته باعتبارها رسالة نهائية وحقيقية. جلسنا معًا يومًا ما في مكتبي، وكانت حياته واضحة بتفاصيلها أمامنا، كما لو أننا أفرغنا حقيبة أسرار ووضعنا كل شيء في نور النهار، ماذا تبقى ليُقال؟ «لديك أملٌ واحد يا «ديف»... أن أباك كان مخطئًا بشأنك.»

ينبغي أن تسأل الله ماذا يظن بك، وينبغي أن تظل ملازمًا للسؤال إلى أن تحصل على إجابة. ستصبح المعركة شرسة هنا، فهذا **آخر** شيء يريدك الشريرُ أن تعرفه. سيلعب معك ويحدثك من الداخل، وسيهمس لك كما لو كان هذا هو صوت الله. تذكَّر، إنه المشتكي على الإخوة (رؤيا ١٢: ١٠). بعد أن شاهدتُ (Gladiator)، ازداد توقي لأن أكون رجلًا مثل «ماكسيموس»، إذ ذكَّرني بهنري الخامس من مسرحية شكسبير، وكان هنري رجلًا شجاعًا باسلًا. «ماكسيموس» قويٌّ وشجاع ويحارب جيدًا، ومع ذلك فقلبه متعلق بالأبدية، إذ يتوق إلى السماء لكنه يبقى ليحارب ليتحرر آخرون. بكيتُ في النهاية، متألمًا بتوق لأكون مثله، لكن الشيطان كان هناك قائلًا لي: "لا"، وأني في الحقيقة «كومودس» – الحقير المتواطئ الذي يلعب دور الشرير في الفيلم، وما صعَّب من تغلُّبي على هذه الضربة هو حقيقة أني كنتُ في يوم من الأيام «كومودس»، كنتُ رجلًا أنانيًا متواطئًا أتلاعب بكل شيء من أجل مصلحتي. كان ذلك منذ وقت بعيد لكن الاتهام لسعني لسعة شديدة.

ذهبتُ إلى إنجلترا لحضور أربعة مؤتمرات في خمسة أيام، وكانت رحلة شاقة إذ كنتُ تحت هجوم روحي شديد، ويا لها من راحة حين ألقيتُ بنفسي في مقعدي على الطائرة عائدًا. وفي تعبي وإنهاكي، كنتُ محتاجًا إلى سماع كلمات من الآب، أبي، فبدأتُ في سكْب قلبي له في مذكراتي.

> ماذا عني، يا ربي الحبيب؟ هل أنت راضٍ؟ ماذا رأيتَ؟ آسف أني مُضطرٌ للسؤال، فكم أتمنى لو كنتُ أعرف من دون سؤال. أعتقد أن الخوف هو ما يجعلني أشك، لكني لا أزال أتوق إلى أن أسمع منك – كلمة، أو صورة، أو اسمًا، أو حتى لمحةً منك.

وهذا ما سمعتُه:

أنت هنري الخامس بعد معركة أجينكور... الرجل في الميدان، الذي وجْهُه مغطى بالدم والعرق والتراب، الذي جاهد ببسالة... محارب عظيم... نعم، بل «ماكسيموس».

ثم

أنت صديقي.

لا أستطيع أن أعبر عن مدى ما تعنيه هذه الكلمات لي، وفي الحقيقة، أشعر بالخجل لأني أخبركم إياها، إذ يبدو الأمر غرورًا، لكني أشارك تلك الكلمات على أمل أن تساعدك لتجد كلماتك أنت. تلك الكلمات هي كلمات حياة، كلمات تشفي جرحي وتحطم شكاوى العدو، وأنا ممتنٌ بسببها، ممتنٌ بعمق. ياه، يا للقصص الرائعة التي يمكن أن أحكيها هنا عن عدد المرات التي تحدَّث فيها اللهُ لي ولرجال آخرين منذ أن طرحنا السؤال. ذهب صديقي «آرون» إلى حديقة عامة بالقرب من منزلنا ووجد مكانًا منعزلًا، وانتظر هناك ليسمع صوت الآب، وكان ما سمعه أولًا هو هذا: «الذكورة الحقيقية روحية». كان «آرون» يشعر لوقت طويل جدًا أن الروحانية أنثوية، وكان الأمر يضعه في مأزق رهيب لأنه رجل روحيٌّ جدًا، ومع ذلك يتوق إلى أن يكون رجلًا حقيقيًا. وتكلَّم اللهُ بالضبط بما كان يحتاج أن يسمعه – الذكورة روحية. ثم سمع: «الروحانية الحقيقية جيدة»، ثم، «أنت رجلٌ، أنت رجلٌ، أنت رجلٌ».

إنها لمعركة للوصول إلى هذا المكان، وبمجرد أن تُقال كلمات كهذه، يهرول العدوُ ليسرقها. تذكر كيف هاجم المسيحَ في البرية، مباشرة في أعقاب سماع الكلمات من الآب، أبيه. كنتُ أتكلم مع صديق آخر عن تلك القصص وقصص أكثر منها مثلها، فتنهد قائلًا: «نعم، أذكرُ مرة في الكنيسة حين سمعتُ اللهَ يقول لي 'أنت تبلي بلاء حسنًا، أنا فخور بك، في مكانك حيث أنت'، لكني لم أستطع تصديق الأمر، لأنه لا يبدو حقيقيًا.» لذلك نحن نبني دائمًا على الحقيقة الاقتراحية، ونستند على ما تقوله الكلمة المقدسة عنا، إذ غُفر لنا، وقلبنا قلبٌ صالح، وصوتُ الآب لا يدين أبدًا، ومن ذلك المكان نسأل الله أن يتحدث إلينا

شخصيًا، أن يكسر قوة الكذبة التي سُلمت مع جرحنا.

إنه يعرف اسمك.

يأتي مجدُنا من جرحنا

لديَّ لوحة مفضلة في مكتبي، نسخة من (My Bunkie) للرسام «تشارلز شريفوجل»، وهي مشهد لأربعة جنود فروسية مرسومٌ على النمط الغربي لريمنجتون، والمعركة هي معركة إنقاذ، ويبدو أن فارسًا منهم قد أُطلقتْ عليه النارُ فوقع من على حصانه، والرجال الثلاثة يرمحون بسرعة ليلتقطوه. في طليعة اللوحة يُرد الجندي الذي وقع إلى ظهر حصان زميله (ومن هنا كلمة (bunkie))، بينما يغطيه الاثنان الآخران. أحب هذا المشهد لأن هذا ما أُحب أن أفعله وأكونه، إذ أريد أن أركب جوادي لإنقاذ مَن يصابون. لكن بينما كنتُ جالسًا في مكتبي في يوم من الأيام بدأ اللهُ يتحدَّث إليَّ بشأن اللوحة ودوري فيها. **لا يمكنك أن تكون الرجل المنقذ يا جون إلى أن تكون الرجل الذي لا حصان له، الرجل الذي يحتاج إلى إنقاذ.**

نعم، لا تأتي القوة الحقيقية من التبجُّح، فإلى أن نُكسر ستكون حياتنا متمركزة حول الذات، ومعتمدة على الذات، وستكون قوتنا هي قوتنا الخاصة. طالما كنتَ تظن أنك حقًّا شيء في نفسك ومن نفسك، فلماذا تحتاج إلى الله؟ لا أثق في رجل لم يعان، ولا أدع رجلًا يقترب مني إن لم يكن قد واجه جرحه. فكِّر في المتصنعين الذين تعرفهم – هل هم من نوعية الرجل الذي يمكنك أن تتصل به في الثانية صباحًا حين تنهار الحياة من حولك؟ بالنسبة لي، لا. إذ لا أريد كلامًا مبتذلًا، بل أريد حقيقة عميقة معبرة، وذلك يأتي فقط حين يكون الرجل قد سار الطريق الذي أتحدث عنه. يقول «بويشنر»:

> أن تعمل أفضل شيء لنفسك، أفضل ما بوسعك – أن تصر على أسنانك وتقبض بيديك من أجل أن تبقى على قيد الحياة في أسوأ وأقسى ظروف العالم – هو أن تكون غير قادر، بهذا العمل نفسه، أن تدع أمرًا يُعمل من أجلك وفيك، حتى وإن كان أمرًا أعظم. المشكلة في أن تكسو نفسك بالفولاذ ضد قسوة الحقيقة هي أن نفس الفولاذ الذي يؤمِّن حياتك لكيلا تتدمر

يؤمِّن حياتك أيضًا ضد أن تتفتح وتتبدَّل. (The Sacred Journey)

فقط حين ندخل إلى جرحنا سنكتشف مجدنا الحقيقي، وهناك سببان لهذا، أولًا، لأن الجرح أُعطي في مكان قوتك الحقيقية، في محاولة للقضاء عليك. فإلى أن تذهب إلى هناك أنت لا تزال تتصنَّع، وتقدِّم شيئًا ضحلًا لا قيمة له، ومن ثم، ثانيًا، فإنه من خلال انكسارك ستكتشف ما لديك لتقدمه للمجتمع. الذات المزيفة ليست ذاتًا كاملة أبدًا، وتلك المواهب التي استخدمناها هي في الغالب مواهب حقيقية فيما يتعلق بنا، لكننا كنا نستخدمها لنختبئ وراءها، إذ كنا نعتقد أن قوة حياتنا هي في المضرب الذهبي، لكن القوة **فينا نحن**، وحين نبدأ في تقديم، ليس فقط مواهبنا بل نفوسنا الحقيقية، عندها نصبح أقوياء. عندها نكون مستعدين للمعركة.

حاشية

قبل أن ننتقل إلى الفصل التالي أريد أن أتوقف وأنبِّر على أنه لأمر حيوي ومصيري أن تجد شفاء لقلبك الجريح. استمع الآن منصتًا: الفهمُ لا يساوي الشفاء، والوضوح لا يعني التجديد، إذ لا يعني أنه بما أنك تفهم أن لديك جرحًا أو ربما يكون لديك جرحٌ أن ذلك ببساطة سيشفيه. أشجعك بكل قوة أن تسعى إلى المشورة أو خدمة صلاة الشفاء. اقرأ (Waking the Dead) خاصة الفصول من السادس إلى العاشر، واستمع إلى إحدى الوسائل السمعية التي نقدمها والمسماة (The Four Streams) (يمكنك أن تجدها على www.ransomedheart.com). كُن محددًا جدًا واجعل مقاصدك واضحة فيما يختص بشفائك، وخذ الأمر مأخذ الجد كما لو أن الطبيب قد أخبرك للتو بأن لديك سرطانًا وينبغي استئصاله فورًا.

الفصل الثامن

معركة تخوضها: العدو

أرضٌ يحتلها العدو – هذا هو العالم.

–سي. إس. لويس

لسنا سوى جنود عاديين،
صَدَأتِ المعادن اللامعة التي نرتديها
بسبب المسيرات المؤلمة في المطر...
لكن قلوبنا، بالكامل، في حالة طيبة.

–هنري الخامس

إنْ سَعَيْنا، مثل رجال شجعان، لنقف في المعركة، فبالتأكيد سنشعر بالعون من قِبل الله من السماء، إذ مَن يعطينا الفرصة لنحارب إلى النهاية لننتصر، مستعدٌ أن يعين أولئك الذين يحاربون برجولة، والذين يثقون في نعمته.

–توماس الكمبيسي

«هل لا تزال هناك قلاعٌ يا أبي؟» كنتُ أجلس أنا و«لوك» على مائدة الإفطار، بل في الحقيقة كان هو جالسًا وكنتُ أنا أخدم معاليه وأجهز له الخبز المحمص مع مربى المشمش. وبمجرد أن سأل السؤال عرفتُ ما يدور بقلبه الصغير، هل لا تزال هناك مغامرات عظيمة؟ هل هناك معارك عظيمة؟ أردتُ أن أشرح أن تلك الأمور موجودة حقيقةً، لكن قبل أن أتمكن من الرد لمعت عيناه وسأل: «وهل هناك تنانين؟» ياه، كم هو عميقٌ ذاك المكتوب في النفس الذكورية، فالولد ولدُ حربٍ، الولد اسمُه. يحتاج الرجلُ إلى معركة يحاربها، يحتاج إلى مكان للمحارب الذي بداخله لينتعش ويُشحذ، ويتدرب، ويُحنَّك. إن استطعنا إيقاظ تلك الميزة الجامحة في الرجل، وربطها بهدف أسمى، وإطلاق المحارب بداخله، فسيكبر الولدُ ويصبح رجلًا بحق.

بينما كنتُ أعمل على هذا الكتاب منذ بضعة أيام، جاءني «بلين» ومن دون كلمة أزاح نحوي لوحةً رسمها، لوحة مرسومة بالقلم الرصاص لملاكٍ ذي كتفين عريضتين وشعر طويل، ويمتد جناحاه حوله كما لو كانا مفرودين ليكشفا أنه يحمل سيفًا من نوعية السيوف التي تُستخدم باليدين الاثنتين مثل الكلايمور (السيف) الإسكوتلاندي. يحمل الملاكُ النصل في وضع قائم مستعدًا للمعركة، محدقًّا بشكل ثابت وعنيف، وتحت الرسم كلماتٌ كُتبت بيد ولد في التاسعة من عمره، «كل رجل محارب في داخله، لكن خيار الحرب خياره.» ويقودهم صبيٌّ صغيرٌ. يعرف «بلين» في أعماقه أن كل رجل محارب، ومع ذلك ينبغي لكل رجل أن يختار الحرب. ليست الحرب الدور الوحيد الذي على الرجل أن يلعبه، فهناك أدوار أخرى سنستكشفها لاحقًا، لكن دور المحارب مصيريٌّ في تحركنا نحو الاكتمال الذكوري، إذ هو جزء أساسي من تصميم كل رجل.

القلب المحارب

لديَّ في ملفاتي خطابٌ كتبه الرائد «سوليفان بالو»، ضابط الاتحاد في مجموعة

المشاة الثانية لرود أيلاند. يكتبُ لزوجته في ليلة معركة (Bull Run)، وهي معركةٌ يشعر أنها ستكون الأخيرة له، وفي الخطاب يتحدث برقة إليها عن حبه الخالد، وعن «ذكريات اللحظات السعيدة التي قضيتُها معكِ.» ينعي «بالو» فكرة أن عليه التخلي عن «الأمل في سنوات مستقبلية، إن أراد الله، كان من الممكن أن نعيش في حب معًا، ونرى أبناءنا ينمون إلى الرجولة الكريمة من حولنا.» وبرغم حبه فها المعركة تنادي ولا يمكن أن يتحوَّل عنها، «ليست لدي أي شكوك أو عدم ثقة في القضية المنخرط فيها، وشجاعتي لا تتوقف ولا تترنح... فيا له من دين عظيم ندين به لمن سبقونا عبر الدم والمعاناة في الثورة... يا سارة، حبي لك لا يعرف الموت، إذ يربطني بروابط قديرة لا يمكن أن يكسرها سوى القوة الإلهية الكاملة»، ومع ذلك فقضيةٌ أعظم «تغلبني مثل ريح قوية وتحملني دون مقاومة مع كل تلك القيود إلى ساحة القتال.»

ينبغي أن يكون للرجل معركة يحاربها، رسالة عظيمة لحياته تضمُّ، بل أيضًا تتخطى، بيته وأسرته. ينبغي أن تكون له قضية يعيش لها حتى إلى الموت، لأن هذا مكتوب في نسيج كيانه. استمع منصتًا الآن: **لديك كل هذا**. ولهذا خلقك الله – لتكون **حليفه** الحميم، لتنضم إليه في المعركة العظيمة، ولديك مكان محدد في الصفوف، ورسالةٌ صنعك الله من أجلها، لذلك فمن الأساسي أن تسمع من الله ما يتعلق باسمك الحقيقي، لأن في ذلك الاسم رسالة حياتك. دُعي «تشرشل» ليقود البريطانيين عبر الساعات العصيبة للحرب العالمية الثانية، وقال: «شعرتُ كما لو أني أسيرُ مع القدر، وأن كل حياتي السابقة لم تكن سوى تحضيرًا لهذه الساعة ولهذه التجربة.» كذلك الأمر بالنسبة لك، فقد كانت كل حياتك تحضيرًا.

«كم أود أن أكون «ويليام والاس»، أقود المهمة وفي يدي سيف كبير»، قالها صديق متنهدًا: «لكني أشعر كأني الرجل الواقف هناك في الصف الرابع حاملًا مجرفة.» تلك كذبة من العدو – مكانك ليس مهمًا بحق، لستَ مسلحًا للمعركة على أي حال. في حياتك أنت **بالفعل** «ويليام والاس» – مَن غيرك يمكنه أن يكون كذلك؟ ما من رجل آخر يمكن أن يكون بديلًا لك في حياتك، في الميدان الذي دُعيتَ إليه، إن تركتَ مكانك في الصفوف، فسيظل فارغًا، وما من أحد آخر يمكنه أن يقوم بما قُصد لك أن تقوم به. أنت بالفعل بطل قصتك، ولا تقوم بدور ثانوي، لست «كومبارس»، بل أنت رجل رئيسي. هذه هي المرحلة التالية في رحلة ضمك للعضوية، عندما يدعو اللهُ رجلًا ليتقدم إلى الصفوف الأمامية. هو يريد

أن يطوِّر ويطلق فينا الصفات التي يحتاجها كل محارب – بما في ذلك الوعي الثاقب بالأعداء الذين سنواجههم.

وفوق الكل، للمحارب **رؤية**، فلديه ما هو أسمى من حياته، قضية أعظم من الحفاظ على الذات. إن أصل كل مشاكلنا وذاتنا المزيفة هو هذا: كنا نسعى إلى إنقاذ حياتنا لكننا خسرناها، ويدعو المسيحُ الرجلَ إلى ما هو أكبر من ذلك، «من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها» (مرقس ٨: ٣٥)، ومرة أخرى لا يتعلق هذا فقط بالاستعداد للموت من أجل المسيح، فالأمر يوميٌّ أكثر من ذلك. لسنوات طويلة كانت كل طاقتي اليومية تُصرف محاولًا أن أهزم التجارب في حياتي وأن أرتب من أجل بعض المتعة. كانت الأسابيع تُهدر إما في الجهاد أو في الاستمتاع. كنتُ مرتزقًا، يحارب المرتزق لقاء أجرٍ، لمصلحته الخاصة، فحياته مكرسة لنفسه، أما المحارب الحقيقي فيخدم شيئًا – أو شخصًا – أعلى من نفسه. تلك هي الميزة المؤثرة في خطاب «بالو»، وذلك هو سرُّ القلب المحارب قلب يسوع.

ثانيًا، المحارب **ماهر**، يعرف متى يحارب ومتى يفرُّ، يمكنه الشعور بفخ ولا يهاجم بتهور، يعرف أي الأسلحة يحمل وكيف يستخدمها. أيًّا كانت الساحة التي تُدعى إليها – في البيت، في العمل، في حقل الفنون أو الصناعة أو سياسة العالم – فستواجه دائمًا ثلاثة أعداء: العالم، الجسد، والشيطان. إنهم يكوِّنون ما يمكن تسميته الثالوث غير المقدس، ولأنهم دائمًا يتآمرون معًا فمن الصعب إلى حد ما التكلُّم عنهم فرادى، ففي أي معركة سيكون هناك على الأقل اثنان منهم، لكن عادةً يكون ثلاثتهم معًا. ومع ذلك، فلكل منهم شخصيته الخاصة، لذا سآخذهم واحدًا تلو الآخر، ثم أحاول أن أظهر كيف يتآمرون ضدنا. فلنبدأ بالعدو الأقرب.

الخائن من الداخل

أيًا كانت قوة القلعة، فإن كان هناك فريقٌ خائن مقيم بداخلها (مستعدٌ للخيانة في أول فرصة متاحة)، فلا يمكن أن تكون القلعة آمنة من العدو. يحتلُّ الخونة قلوبنا، ويكونون مستعدين لاتخاذ صفِّ كل تجربة والاستسلام لها. («جون أوين»، (Sin and Temptation))

منذ ذلك اليوم المصيري الذي تخلى آدم فيه عن جوهر قوَّته، ظل الرجال يصارعون مع جزء من ذواتهم مستعدٍ لعمل نفس الأمر دون تردد أو سبب منطقي. فلا نريد أن نعبِّر عما بداخلنا إلا لو عرفنا أن الأمر سيسير على ما يرام، ولا نريد التحرُّك إلا إن كان النجاح مضمونًا. ما تسميه الكلمة المقدسة الجسد، أو الإنسان العتيق، أو الطبيعة الخاطئة، هو ذلك الجزء من آدم الساقط الموجود في كل رجل، الجزء الذي يريد دائمًا أسهل مَخرجٍ. فمن الأسهل كثيرًا أن تمارس العادة السرية عن أن تمارس الجنس مع زوجتك، خاصة إن لم تكن الأمور على ما يرام بينكما، وإن كان استهلال الجنس معها يبدو محفوفًا بالمجازفة. ومن الأسهل كثيرًا الذهاب إلى مكان لعب التنس ومهاجمة دلوٍ من الكرات عن مواجهة الناس الغاضبين عليك في العمل. ومن الأسهل كثيرًا أن تنظف الجاراج أو ترتب ملفاتك، أو تقطع الحشائش، أو تعمل على إصلاح سيارتك عن أن تتكلم إلى ابنتك المراهقة.

بصراحةٍ، جسدُك خنزيرٌ مراوغ متصنع وأناني، وجسدُك **ليس هو أنت**، هل كنتَ تعرف ذلك؟ جسدك ليس هو أنت الحقيقي. حين يقدم لنا بولس فقرته الشهيرة عن طبيعة الصراع مع الخطية (رومية ٧) يخبرنا بقصة مألوفة لدينا كثيرًا:

> أقرر أن أفعل صلاحًا، لكني لا أفعله **حقًا**، وأقرر ألا أفعل السوء، لكني أفعله على أي حال، فقراراتي بالوضع الذي هي عليه لا تُنتج أفعالًا. فأمرٌ ما قد فسد في أعماقي، هذا الأمر يغلبني في كل محاولاتي. يحدث ذلك بانتظام لدرجة أنني أتوقعه، ففي اللحظة التي أقرر فيها أن أفعل صلاحًا، تكون الخطية موجودة لتعثرني. أبتهج حقًا بوصايا الله، لكن من الواضح جدًا أن ليس كل ما فيَّ يشارك في هذا الابتهاج، فأجزاءٌ مني تتمرَّد خِفيةً، وحين لا أتوقع، تأخذ هذه الأجزاء زمام الأمر. (ترجمة للترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس (The Message))

حسنًا، لقد اختبرنا جميعًا هذا الأمر مرات كثيرة، لكن ما يخلص إليه بولس مذهلٌ: «فلستُ بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ» (رومية ٧: ٢٠). هل تلاحظ الفارق الذي يطرحه؟ يقول بولس: «نعم، أعرف أني أصارع مع الخطية، لكني أعرف أيضًا أن **خطيتي ليست هي أنا** – فليس هذا قلبي الحقيقي.» فأنت لستَ خطيتك، وليستِ الخطية بعد أدقَّ أمر بشأن الرجل الذي اتحد مع يسوع،

فقلبك صالحٌ. «وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدةً في داخلكم...» (حزقيال ٣٦: ٢٦). الكذبة الكبيرة في الكنيسة اليوم هي أنك لستَ سوى «خاطئ أنقذته النعمة»، فأنت أكثر بكثير من ذلك. أنت خليقة جديدة في المسيح، ويدعوك العهدُ الجديد قديسًا، شخصًا مقدسًا، ابنًا لله. ففي لُبِّ كيانك أنت رجلٌ صالحٌ. نعم، هناك حربٌ بداخلنا، لكنها حربٌ **أهلية**، فالمعركة ليست بيننا نحن والله، لا، فهناك خائن داخلنا يحارب ضد قلبنا الحقيقي الذي يحارب في صفوف روح الله فينا:

> قوة جديدة تعمل الآن، فقد نقَّى روحُ الحياة في المسيح الهواءَ بطريقةٍ رائعة، مثل ريح قوي، محررًا إياكم من حياة محتومة من الطغيان القاسي على يدي الخطية والموت... وبالطبع، كل من لم يقبل اللهَ هذا غير المرئي، مع إنه الحاضر بوضوح، روحَ المسيح، فلن يعرف ما نتكلم عنه، ولكن أنتم يا من تقبلونه، من يسكن فيكم... إذا انتقل اللهُ الحيُ الحاضرُ الذي أقام يسوع من بين الأموات إلى حياتكم، فسيفعل نفس الأمر فيكم الذي فعله مع يسوع... حين يعيش الله ويتنفس فيكم (وهو يفعل، كما فعل بكل تأكيد مع يسوع)، فستُحررون من هذه الحياة المائتة. (رومية ٨: ٢ – ٣، ٩ – ١١ ترجمة للترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس (The Message))

أنت **الحقيقي** في صف الله ضد الذات المزيفة، ومعرفة ذلك تصنع كل الفرق في العالم. الرجل الذي يريد الحياة ببسالة سيفقد الأمل سريعًا إن كان يؤمن أن قلبه ما هو إلا خطية، فلِم المحاربة؟ تبدو المعركة خاسرة قبل حتى أن تبدأ. لا، جسدُك هو **ذاتك المزيفة** – المتصنعة، الظاهرة في الجُبن والحفاظ على الذات – والطريقة الوحيدة للتعامل معها هي صلّبها. والآن تابع ما أقوله بعناية: لا يطلب منا أبدًا أن نصلب قلوبنا، ولا أن نقتل الرجل الحقيقي داخلنا، ولا أن نتخلص من تلك الرغبات العميقة للمعركة والمغامرة والأميرة. بل أن نطلق النار على الخائن، كيف؟ اختر عكس ما يختاره كل مرة، فستراه يرفع رأسه القبيح، سِر مباشرة نحو تلك المواقف التي تهرب منها عادةً، تكلم مباشرة إلى الأمور التي عادةً ما تصمت عنها. إذا كنتَ تريد أن تنمو في القوة الذكورية الحقيقية، فعليك أن تتوقف عن تخريب ما لديك.

التخريب

«ريتش» شابٌ مفعم بالعاطفة، يحاول حقًا تعلُّم معنى أن يكون رجلًا. منذ بضعة أسابيع كانت لديه خطط للخروج مع بعض الأصدقاء، الذين وعدوه أن يتصلوا به قبل الخروج ثم يأتوا ليأخذوه، لكنهم لم يتصلوا به. بعد ذلك ببضعة أيام، حين أثار أحدهم الأمر، قال «ريتش»: «حسنًا، لا توجد مشكلة، الأمر بسيط»، لكنه كان **غاضبًا** من الداخل. ذلك تخريبٌ، فقد اختار قاصدًا أن يدفع بقوته الحقيقية إلى الداخل، وأن يعيش الذات المزيفة. افعل ذلك مرات كافية ولن تصدق بعدها أن لديك أي قوة على الإطلاق. لاحظتُ أنه حين أُنكر الغضب الذي أشعر به يتحول إلى خوف، فإن لم نسمح لما يسميه «سام كين» «النار بداخلنا»، فسيأخذ مكانها أمرٌ أضعف. كانت لي فرصة منذ بضع سنوات أن أخبر رئيسي في العمل بما كنت أومن به، لا بغضب، ولا لأجرحه، بل لأساعده. في الحقيقة هو الذي سألني أن أفعل ذلك، واتصل بي ليرى إن كان لدي وقت للدردشة للحظات. كنت أعرف سبب اتصاله وهربتُ، قلت له إني مشغول، ولمدة أيام بعدها شعرتُ بأني ضعيف، شعرتُ كما لو كنت متصنعًا، فقد خرَّبتُ قوتي برفضي إياها.

يحدث التخريب أيضًا حين نتخلى عن قوتنا، فأخذ الرشوة أو السماح لنفسك بأن تُشترى، وقبول المديح مقابل نوع ما من الولاء هو تخريبٌ. رفْض مواجهة أمر ما لأنك إن التزمتَ الصمت ستحصل على ترقية أو ينصبونك شيخًا أو ستحتفظ بوظيفتك يفسدُك في أعماقك. ممارسة العادة السرية تخريبٌ، فهي عمل أناني بطبيعته، وسيمزِّقك. لقد تحدثتُ مع الكثير من الرجال الذين جرَّف إدمانُهم على العادة السرية إحساسَهم بالقوة. كذلك الأمر في التورط الجنسي مع امرأة ليست زوجتك. «كارل» شابٌ آخر يبدو أن النساء يجدونه جذابًا بشكل خاص، وأنا أُذهَل مما تقدمه الشابات حين تعانين من الجوع إلى الحب والتقدير اللذين لم تحصلن عليهما أبدًا من آبائهن، فيرمين أنفسهن على رجلٍ ليذوقن طعمَ أن يكُن مرغوباتٍ، مطلوبات. جاءني «كارل» لأنه لم يستطع السيطرة على نشاطه الجنسي، فقد عرضت العشرات والعشرات من النساء أنفسهن عليه، وفي كل مرة استسلم شعر بالضعف، وكان قراره للمقاومة أقل في المرة التالية.

بدأت الأمور تتغير بالنسبة لكارل عندما رأى الصراع الجنسي برمته لا باعتباره خطية بشكل كبير **لكن باعتباره معركة من أجل قوته**، إذ يريد أن يكون قويًا،

ويريد ذلك بشكل ماسٍّ، فبدأ ذلك في تدعيم اختياره للمقاومة. قال «توماس الكمبيسي»: «ينبغي للرجل أن يجاهد طويلًا وبقوة داخل نفسه، قبل أن يمكنه تعلُّم ترويض نفسه بشكل كامل.» قضيتُ أنا و«كارل» ساعات في الصلاة عبر كلٍّ من تلك العلاقات، مع الاعتراف بالخطية، وكسر الروابط التي تكوِّنها الاتصالات الجنسية بين نفسين، مع تطهير قوته، والطلب من الله أن يرده. بالفعل ردَّه اللهُ، وأشعر بالامتنان أن أقول أن تلك الأيام قد ولَّت بالنسبة لكارل. لم يكن الأمر سهلًا، لكنه كان حقيقيًا، وهو متزوج وسعيد في زواجه الآن. لقد ضمَّنتُ تلك الصلاة في الملحق.

الأمر الحقيقي

ابدأ في اختيار أن تعيش ممارسًا قوتك وستكتشف أنها تنمو في كل مرة. كان «ريتش» يبحث عن فرامل لسيارته، واتصل بمتجر قطع غيار السيارات وأعطوه سعر ٥٠ دولارًا للقطعتين، لكن حين ذهب إلى هناك، قال له الرجل أن السعر ٩٠ دولارًا، إذ ظن أن «ريتش» مغفل. واستفز ذلك شيئًا ما في «ريتش». كان في العادة يقول: «حسنًا، لا توجد مشكلة، الأمر بسيط»، ويدفع السعر الأعلى، لكن ليس هذه المرة. أخبر الرجلَ أن السعر ٥٠ دولارًا وأصر على موقفه، فتراجع الرجلُ وتوقف عن محاولة نهبه. «كان شعورًا عظيمًا» قالها لي «ريتش» فيما بعد: «شعرتُ أني أخيرًا أتصرف كرجل». قد تبدو هذه كقصة بسيطة، لكن هذا هو المكان الذي ستكتشف فيه قوتك، في التفاصيل اليومية لحياتك. بمجرد أن تبدأ في تذوُّق قوتك الحقيقية وسترغب في **المزيد**، وسينبت شيء من شعور ما في مركز صدرك بأنه مهمٌّ وعظيم الشأن.

ينبغي أن ندع قوتنا تظهر. يبدو الأمر غريبًا جدًا، بعد كل ذلك، إن لم يسمح الرجل لقوته أن تصل، لكن الكثيرين منا يفقدون الثقة بسبب ذكوريتنا نفسها. ماذا سيحدث، لو حقًّا سمحنا لها بالخروج؟ في (Healing the Masculine Soul) يحكي «جوردون دالبي» قصة رائعة عن رجل ابتُلي بحلم متكرر، كابوس، «حيث كان يطارده باستمرار أسدٌ متوحش حتى يسقط الرجل منهكًا ويصحو صارخًا.» كان الرجل في حيرة، فلم يكن يعرف معنى الحلم، فهل كان الأسد رمزًا للخوف؟ أم أمرًا غامرًا في حياته؟ في يوم من الأيام ساعده راعيه (صديق لدالبي) ليولي

الحلم بعض التفكير في الصلاة:

> بينما كانا يصليان، دعا [الراعي] الرجلَ فجأة ليتذكر الحلم، حتى بكل ما فيه من خوف. وافق الرجلُ بتردد وأخبره مباشرة أن الأسد في الحقيقة على مرأى منه ويتجه ناحيته. فأرشده [الراعي] قائلًا: «حين يقترب منك الأسد، حاول ألا تهرب بعيدًا، لكن بدلًا من ذلك، قف هناك واسأله مَن أو ما هو، وماذا يفعل في حياتك... هل يمكنك محاولة ذلك؟» وافق الرجلُ، وهو يغير من جلوسه على مقعده في عدم راحة، ثم أخبره بما يحدث: «الأسد يزأر ويهز رأسه، واقفًا أمامي مباشرة... أسأله من هو... و – ياه! لا أستطيع تصديق ما يقوله! يقول، «أنا شجاعتك وقوتك، لماذا تهرب مني بعيدًا؟»

كان يأتيني حلم متكرر لعدة سنوات يشبه هذا الحلم – خاصة في فترة المراهقة، إذ كان هناك خيل وحشي عظيم يقف على حافة تل، وكنتُ أشعر بالخطر، لكن ليس بالخطر المليء بالشر، فقط بشيء قوي وباسل وأعظم مني. حاولتُ التسلل بعيدًا، لكن الخيل كان دائمًا يستدير في الوقت المناسب ليراني ويأتي مندفعًا هابطًا من على التل. كنتُ أستيقظ حين كان يصل إليَّ. يبدو الأمر جنونًا أن يتسلل رجلٌ بعيدًا عن قوته، وأن يخاف من ظهورها، ولكن هذا هو السبب وراء تخريبنا، فقوتنا جامحة وشرسة، ونضطرب اضطرابًا شديدًا لما يمكن حدوثه إن تركناها لتصلَ. أمرٌ واحد نعرفه: لن يبقى شيء كما كان. قال لي عميلٌ: «أخشى أن أفعل شيئًا سيئًا إن تركتُ كل هذا يظهر» لا، العكس صحيح، فستفعل شيئًا سيئًا **إن لم تفعل ذلك**. تذكر – إدمانات الرجل هي نتيجة لرفضه قوته.

قدم لي «برينت» منذ سنوات نصيحةً غيرت حياتي: «دع الناس يشعرون بثِقَل من تكون» ثم قال: «ودعهم يتعاملون مع الأمر». ويحضرنا ذلك إلى ساحة عدونا التالي.

العالم

ما هذا العدو الذي تسميه الكلمة المقدسة «العالم»؟ هل هو الشُرب والرقص والتدخين؟ هل هو الذهاب إلى السينما أو لعب الكوتشينة؟ ذلك منهاج سطحي وسخيف إلى القداسة، إذ يخدرنا عن حقيقة أن الخير والشر أكثر جدية

من ذلك. تتحدث الكلمة المقدسة عن شُرب الكحوليات مانعة السُكّر، وكان الرقص جزءًا حيويًا من حياة الملك داود. بينما هنالك بعض الأفلام التقية جدًا فهناك أيضًا بعض الكنائس غير التقية. لا، ليس «العالم» مكانًا أو مجموعة من السلوكيات – بل هو أي منظومة مبنية بخَطِيَّتنا الكُلية، كل ذواتنا المزيفة مجتمعة معًا لتكافئ وتدمر بعضها البعض. خُذ كل أولئك المتصنعين الموجودين، وضعهم معًا في مكتب أو نادٍ أو كنيسة، وما ستحصل عليه هو ما تقصده الكلمة المقدسة بالعالم.

العالم كرنفال من الأشياء المزيفة – المعارك المزيفة، والمغامرات المزيفة، والأميرات المزيفة. وعلى الرجال أن يفكروا في الأمر باعتباره فسادًا لقوتهم. حارب لتصل إلى القمة، هذا ما يقوله العالم، وستكون رجلًا. لماذا إذن الرجال الذين يصلون إلى القمة هم غالبًا المتصنعون والأكثر فراغًا وخوفًا وتكبُّرًا؟ هم مرتزقة، يحاربون ليبنوا ممالكهم فقط، فما من شيء يسمو فوق حياتهم. نفس الأمر بالنسبة لمدمني المغامرات، فأيًا كان مقدار ما تصرفه، وأيًا كان المدى الذي تأخذ إليه هوايتك، فهي مجرد هواية. وفيما يتعلق بالأميرات المزيفات، فالعالم يحاول باستمرار أن يخبرنا أن المرأة ذات الشعر الذهبي موجودة فاسعَ إليها.

يقدم العالمُ للرجل إحساسًا مزيفًا بالقوة وإحساسًا مزيفًا بالأمن، فلتكُن أمينًا بصرامة الآن – من أين يأتي إحساسك أنت بالقوة؟ هل من مدى جمال زوجتك – أو السكرتيرة التي تعمل لديك؟ هل من عدد من يحضرون كنيستك؟ هل هي **المعرفة**؟ – أم أن لديك خبرةً ما وذلك يجعل الآخرين يأتون إليك، منحنين؟ هل هو منصبك، درجتك العلمية، أو لقبك؟ معطف أبيض، دكتوراه، منصة، أو مكتب مفروش، كلها من الممكن أن تجعل الرجل يشعر بالأناقة. ماذا يحدث داخلك حين أقترح أن تتخلى عنها؟ ضع الكتاب بعيدًا لبضع لحظات وفكر، ماذا ستظن عن نفسك إن خسرتَ غدًا كل شيء كافأك به العالمُ. «من دون المسيح، يفشل الرجلُ بالضرورة فشلًا ذريعًا» يقول «ماكدونالد» ويكمل: «أو حتى ينجح نجاحًا فائقًا». يحذرنا يسوعُ من أي شيء يعطينا إحساسًا مزيفًا بالقوة، فحين تدخل إلى عشاء الشركة أو نشاط للكنيسة، قال يسوع، اتخذ المقعد الأخير، اختر طريق الاتضاع، لا تكُن مروجًا لذاتك، سعيدًا لتحية هذا وذاك، متصنعًا. تسلَّق السلم **نازلًا**، ادعُ موظف البريد في شركتك إلى العشاء، وعامل سكرتيرتك كما لو

كانت أهم منك، ابحث عن أن تكون خادم الكل. **من أين أستمد إحساسي بالقوة والسلطة؟** سؤال جيدٌ أن تسأله لنفسك... من وقت لآخر.

إن كنتَ تريد أن تعرف كيف **حقًا** يفكر العالم بشأنك، فقط ابدأ العيْش من خلال قوتك الحقيقية، قُل ما تعتقده، ودافع عن المهضوم حقه، وتحدَّ السياسات الغبية. سيتحولون إليك مثل أسماك القرش. هل تذكر فيلم (Jerry McGuire)؟ «جيري» هو وكيل لرياضيين محترفين، ويصل إلى ما يمكن أن يُسمى إعلانًا شخصيًا بشأن الفساد في شركته، فيحرر مذكرةً، إعلانًا لرؤية الشركة، حاثًّا العاملين على التعامل بأكثر إنسانية مع عملهم. يقول فيها، لنتوقف عن معاملة الناس كالماشية، ولنتوقف عن خدمة المكاسب ولنخدم عملاءنا خدمة حقيقية. يشجعُّه كل رفقائه، ولكن حين تطرده الشركة (الأمر الذي كان يعلم أنه سيحدث) يهرول رفقاؤه ليحصلوا على عملائه. رأيتُ هذا يحدث مرارًا وتكرارًا. واجه أحدُ أصدقائي راعيه بشأن بعض التصريحات المزيفة التي كان قد قدمها الراعي ليحصل على وظيفته، فبدأ راعي الرعية هذا في نشْر شائعات مفادها أن صديقي هذا مثليٌّ، وحاول تدمير سمعته.

يهتزُّ عالم المتصنعين بسبب رجلٍ حقيقي، فسيفعلون كل ما يتطلبه الأمر ليستردوك إلى الصفوف ثانية – سيهددونك، يرشونك، سيغوونك، ويقوضونك. لقد صلبوا يسوع، لكن الأمر لم ينجح، أليس كذلك؟ ينبغي لك أن تدع قوتك تظهر. هل تذكُر المسيح في البستان، والقوة الكاملة لحضوره؟ يخاف الكثير منا أن يظهروا قوتهم، إذ ليس في العالم مكانٌ لها. بالفعل، العالم مضطربٌ، فلتدع الناس تشعر بالثقل الخاص بمن تكون ودعهم يتعاملون مع الأمر.

الشيطان

كنتُ أنا وزوجتي عائدين إلى المنزل يومًا ما بعد قضاء فترة ما بعد الظهيرة معًا، وكنا متأخرين إلى حد ما للوصول إلى المباراة الأخيرة لابننا لهذا الموسم. كنتُ أقود أنا السيارة وكنا مستمتعين بمحادثة طويلة بشأن بعض الأحلام المستقبلية التي لدينا، وبعد عدة دقائق أدركنا أننا عالقان في ازدحام مروري لا يبدو له انفراجٌ. مرت لحظات غالية بينما بدأ التوتر يزيد داخل السيارة، وفي محاولة منها للمساعدة اقترحت «ستاسي» طريقًا بديلًا: «إذا أخذتَ يمينًا

هنا إلى (First Street) يمكننا قطع هذا الجزء واختصار خمس دقائق من الطريق». كنتُ مستعدًا لأن أطلِّقها، أنا جادٌّ، وفي حوالي عشرين ثانية كنتُ مستعدًا للانفصال، وإن كان هناك قاضٍ في السيارة كنت سأوقِّع على الأوراق مباشرة هنا. يا للهول – بسبب تعليق بشأن قيادتي؟ هل هذا كل ما كان في الأمر في تلك اللحظة؟

بقيتُ جالسًا أمام عجلة القيادة صامتًا وأستشيط غضبًا، كنت أبدو من الخارج باردًا، لكن من الداخل هذا ما كان يحدث: **يا إلهي، ألا تظن أني أعرف كيف أصل إلى هناك؟ أكره الأمر حين تفعل ذلك.** ثم يقول صوتٌ آخر، **هي تفعل ذلك دائمًا**، وأقول أنا (داخليًا – حدث كلُّ الحوار داخليًا، في غمضة عين)، **نعم، تفعل ذلك دائمًا... دائمًا تقول أشياء مثل ذلك، أكره ذلك فيها**، ويجتاحني شعور بالاتهام والغضب والبر الذاتي، ثم يقول الصوتُ، **يا جون، لن يتغير هذا أبدًا**، وأقول أنا، **لن يتغير هذا أبدًا**، ويقول الصوتُ، **أتعرف يا جون، هناك الكثيرات من النساء اللاتي ستشعرن بالامتنان العميق أن تكون أنت رجلها**، وأفكِّر أنا، **نعم – هناك الكثيرات من النساء**... أعتقد الصورة واضحة. غيِّر الشخصيات والخلفية وستجد أن ذات الأمر قد حدث لك، الاختلاف قد يكون فقط أنك ربما ظننتَ أن الأمر برمته كان خطأك أنت.

ما من شك أن للشيطان مكانًا في عقيدتنا اللاهوتية، لكن هل هو فئة نفكر حتى بشأنها في الأحداث اليومية من حياتنا؟ هل فكرت أبدًا أن ليس كل فكرة تردِ إلى فكرك تأتي منك؟ ما اختبرتُه أنا في وسط الازدحام المروري في ذلك اليوم يحدث طول الوقت في الزيجات، وفي الخدمات، في أي علاقة. يُكذبُ علينا طول الوقت، ومع ذلك فلا نتوقف أبدًا لنسأل: «انتظر دقيقةً... مَن أيضًا يتحدث هنا؟ من أين تأتي تلك الأفكار؟ من أين تأتي تلك **المشاعر**؟» إذا قرأتَ ما كتبه القديسون من كل عصر ما قبل العصر الحديث – ذلك العصر المليء بكبرياء المنطق والعلم والتكنولوجيا ونتعلم كلنا فيه – فستجد أنهم يأخذون الشيطان مأخذ الجد حقيقةً. يقول بولس: «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كورنثوس ٢: ١١)، لكن لنا، نحن المستنيرين، منهاجًا نحو الأمور يتسم بالفطرة السليمة أكثير بكثير من أي شيء آخر، إذ نبحث عن تفسير نفسي أو جسدي أو حتى سياسي لكل مشكلة نقابلها.

من جعل الكلدانيين يسرقون قطيع أيوب ويقتلون خدامه؟ الشيطان، بالتأكيد (أيوب ١ : ١٢، ١٧)، ومع ذلك فهل نعطيه حتى تفكيرًا عابرًا حين نسمع عن الإرهاب اليوم؟ من جعل تلك المرأة المسكينة تظل منحنية لثماني عشرة سنة، تلك التي شفاها يسوعُ يوم السبت؟ الشيطان، بالتأكيد (لوقا ١٣ : ١٦)، لكن هل نفكر فيه حين يعترينا صداعٌ يمنعنا عن الصلاة أو قراءة الكلمة المقدسة؟ من حرَّك حنانيا وسفيرة ليكذبا على الرسل؟ الشيطان ثانيةً (أعمال الرسل ٥ : ٣)، لكن هل نرى يده حقًّا وراء التهدم أو الشقاق في الخدمة؟ من كان وراء تلك الإساءة الوحشية على قوتك أنت، تلك الجراح التي أصابتك؟ قال «ويليام جورنال»: «إنها صورة الله المنعكسة فيك التي تُغضِبُ الجحيمَ، إنها تلك الصورة التي يقذف عليها الشياطين بأعتى أسلحته.»

هناك الكثير والكثير الذي يدور خلف مشاهد حياتنا، أكثر مما قِيد معظمنا لنعتقده. فلتأخذ الكريسماس كمثال.

ما وراء المَشاهد

في الأغلب لدى معظمكم مشهد المهد الذي تخرجونه في فترة الأعياد وتضعونه على رفٍ أو على منضدة القهوة، وتشترك معظم هذه المشاهد في مجموعة دائمة من الشخصيات: رعاة، حكماء، وربما بعض حيوانات الإسطبل، يوسف، مريم، وبالطبع الطفل يسوع. نعم، المشهد خاصتنا به ملاك أو اثنان، وأتخيل أن مشهدك به ملائكة أيضًا، ولكن ذلك تقريبًا هو كل ما يختص بما فوق الطبيعي. ما **الجو** العام للمشهد؟ ألا تحمل كلُّها جوًّا دافئًا ريفيًا، وشعورًا هادئًا حميميًا مثل ذلك الشعور الذي تشعر به حين تغني (Silent Night) (ليلةً) أو (Away in a Manger) (في مذود البقر)؟ وبينما كل هذا صحيح، فهو أيضًا **خادعٌ** لأنه ليس الصورة الكاملة لما يحدث حقًّا. وللحصول على الصورة الكاملة عليك أن تتحول إلى رؤيا ١٢:

> وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا. وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد. وظهرت آية أخرى في السماء: هوذا تنين عظيم أحمر، له

> سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان. وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد، حتى يبتلع ولدها متى ولدت. فولدت ابنا ذكرًا عتيدًا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد... وحدثت حرب في السماء: ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته. ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطرح التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يضل العالم كله، طرح إلى الأرض، وطرحت معه ملائكته (أعداد ١ - ٥، ٧ - ٩)

يقول «فيليب يانسي»، لم أرَ قط هذه النسخة من القصة على بطاقة تهنئة بالكريسماس، ومع ذلك فهي القصة الأصدق، باقي الصورة لما كان يحدث في تلك الليلة المصيرية. يدعو «يانسي» ميلاد المسيح الغزوَ العظيم: «غارة جريئة من قِبل رئيس قوات الخير إلى كرسيِّ الشر لهذا الكون.» ومن وجهة النظر الروحية، ليست هذه ليلة هادئة أو (Silent Night)، بل يومًا تاريخيًا: «يصعب عليَّ فهم الأمر أيضًا، ومع ذلك أقبل أن يكون هذا المفهوم مفتاحًا لفهم الكريسماس وهو في الحقيقة المحك الحقيقي لإيماني، فكمسيحيٍّ أومن أننا نعيش في عالمين متوازيين، يتكوَّن عالمٌ من تلال وبحيرات وحظائر وسياسيين ورعاة يسهرون على قطعانهم ليلًا، والآخر يتكون من ملائكة وقوات شريرة» وكل المجال الروحاني. يولدُ الطفلُ، وتهرب المرأة، وتستمر القصة كما يلي:

> فغضب التنين على المرأة، وذهب ليصنع حربًا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله، وعندهم شهادة يسوع المسيح. (رؤيا ١٢: ١٧)

وراء العالم والجسد هناك عدوٌّ مميت أكثر منهما... عدو نتحدث عنه نادرًا، بل حتى على استعداد أقل لمقاومته، ومع ذلك فهذا هو المكان حيث نعيش الآن - في الصفوف الأمامية من حرب روحية شرسة هي سببٌ لمعظم الخسائر التي تراها من حولك ولمعظم الإساءة الموجهة نحوك. حان الوقت لنعدَّ أنفسنا من أجلها. نعم، يا «لوك» هناك تنين، وها هي الطريقة لذبْحه.

الفصل التاسع

معركة لنخوضها: الإستراتيجية

كانت على حق بشأن أن الحقيقة يمكنها أن تكون قاسية وأنك حين تغلق عينيك عنها يكون ذلك فقط على مسؤوليتك، لأنك إذا لم تواجه عدوك بكل قوته السوداء، فسيأتيك من الخلف في يوم أسود وسيدمرك بينما يكون انتباهك متجهًا إلى الناحية الأخرى.

—فريدريك بويشنر

تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار،
جلالك وبهاءك،
وبجلالك اقتحم.

—مزمور ٤٥: ٣ — ٤

كجزء من جيش المسيح، تسير في صفوف الأرواح الباسلة، وكلُّ واحد من زملائك الجنود هو ابنٌ لملك، والبعض، مثلك، محاصرون في وسط معركة، من كل ناحية بالمِحن والتجارب، والبعض الآخر، بعد إساءات كثيرة، يغلبون، وباستجماع قوتهم بإيمانهم هم بالفعل واقفون على سور السماء كمنتصرين، ومن هناك ينظرون إليكم ويحثونكم، أنتم رفقاءهم على الأرض، لتسيروا صاعدين التلَّ وراءهم، وهذه هي صرختهم: «حاربوا حتى الموت وستكون المدينة لكم، مثلما هي الآن لنا!»

—ويليام جيرنال

بدأ بالفعل غزو فرنسا ونهاية الحرب العالمية الثانية. ليلة قبل أن يضرب الحلفاء السواحل في نورماندي، حين أُنزِلت الكتيبتان المحمولتان جوًا ٨٢، ١٠١ خلف خطوط العدو لقطع تعزيزات هتلر. إذا كنتَ قد شاهدتَ (Band of Brothers) أو (The Longest Day) أو (Saving Private Ryan) ستتذكر المخاطر التي واجهها جنود المظلات. وسواء كانوا فرادى أو في مجموعات صغيرة تحركوا في جوف الليل عبر بلدٍ لم يذهبوا إليه من قبل، ليحاربوا عدوًا لم يقدروا على رؤيته أو توقعه. كانت لحظة من الشجاعة الفريدة... والجُبن أيضًا، إذ لم يلعب كلُّ جندي دور الرجل في تلك الليلة المصيرية، فبالتأكيد قفزوا جميعًا، لكن اختبأ بعضهم بعد ذلك، وحققت مجموعة منهم رقمًا قياسيًا في الجُبن.

> كان الكثير جدًا منهم قد ركعوا مختبئين وراء الأسوار العشبية لينتظروا الفجر، وبعضهم خلد إلى النوم. ورأى الجنديُّ «فرانسيس باليز» من المجموعة ٥٠٦ ما قد يوصف بأسوأ تقصير عن أداء الواجب، إذ كان قد جمَّع فرقة بالقرب من «فيرفيّ»، وحين سمع «كل أنواع الصخب والغناء من على بُعد»، تسلل هو ورجاله إلى بيت ريفي، كانت فيه مجموعة مختلطة من كلا الكتيبتين الأمريكيتين، فقد وجد جنود المظلات [خمورًا] في القبو... وكانوا سكارى أكثر من مجموعة من الريفيين الأغبياء في ليلة من ليالي السبت في إحدى الحفلات الصاخبة. أمر لا يُصدَّق. (D-Day)

أمرٌ لا يصدق فعلًا. كان هؤلاء الرجال **يعلمون** أنهم في حرب، وبالرغم من ذلك رفضوا أن يتصرفوا على هذا الاعتبار، وعاشوا في إنكار خطيرٍ – إنكار لم يعرضهم هم فقط للخطر بل عرض للخطر أعدادًا لا تُحصى ممن اعتمدوا عليهم ليقوموا بدورهم. هذه صورة **مثالية** للكنيسة في الغرب حين يتعلق الأمر بالحرب الروحية. خلال اجتماع عُقد مؤخرًا للعاملين بالكنيسة، طرح صديق لي اقتراحًا بأن بعض الصعاب التي كانوا يواجهونها قد تكون عمل العدو، وسأل:

«ماذا تظنون؟»، فأجاب واحد من الرعاة الآخرين: «حسنًا، أتصوَّر أن هذا النوع من الأمور يحدث بالفعل» أكمل: «في العالم الثالث، ربما، أو ربما لإبطال حملة كبيرة، أعني... في الأماكن حيث تحدث خدمةٌ متطورة وحديثة.»

المرحلة الأولى: «لستُ هنا»

أمرٌ لا يُصدَّق، يا له من اتهام للذات، «ما من أمر خطر يحدث هنا». دُمِّر أولئك الرجال بالفعل لأنهم ابتلعوا أول هجوم من العدو: «لستُ هنا – بل أنت فقط.» لا يمكنك المحاربة في معركة لا تدرك وتصدق وجودها. وفي اقتباس مباشر من كتاب (The Screwtape Letters) حيث يرينا «سي. إس. لويس» الشيطان الكبير معلمًا للمتدرب لديه في هذا الأمر على وجه الخصوص:

> عزيزي «وورموود»، أتعجب إن سألتني بشأن ما إذا كان من الضروري أن يظل المريضُ جاهلًا وجودك أساسًا. تمت الإجابة على هذا السؤال على الأقل في المرحلة الحالية من الصراع من قبل القيادة العليا، فسياستنا، حاليًا، هي إخفاء أنفسنا.

أما بخصوص الذين يريدون أن يكونوا خطرين (وفي حالة متطورة وحديثة)، فانظر جليًّا إلى ١بطرس ٥: ٨ – ٩ «اصحوا واسهروا. لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتمسًا من يبتلعه هو، فقاوموه، راسخين في الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجري على إخوتكم الذين في العالم.» ماذا يفترض الروح القدس هنا، على لسان بطرس، بشأن حياتك؟ **أنك أمام هجوم روحي.** هذا الكلام لا يخص غير المؤمنين، فهو يتكلم عن «إخوتكم»، ويعتبره بطرس أمرًا مسلمًا به، أن كل مؤمن يواجه نوعًا ما من الإساءة غير المرئية. وعلام يصرُّ أن تفعل؟ **قاوم** الشيطان، وقاتِله كما يقاتلك، آخذًا موقفًا.

انحلَّتْ هذا الأسبوع شراكة في الخدمة وكان بعض الأصدقاء الأعزاء جزءًا أساسيًا من هذه الشراكة، وأشعر بالأسف من أجل هذا الأمر. تعاونوا مع هيئة أخرى للكرازة في عدة مدن عبر الولايات المتحدة، وكانت مؤتمراتهم قوية جدًا، بل لم أرَ أبدًا أي شيء تأثيره يقترب حتى من التأثير الذي لهذه المؤتمرات، فعبّر

دموع الامتنان يتكلم حاضرو هذه المؤتمرات عن الشفاء والحرية والإطلاق الذي اختبروه، إذ تتعافى قلوبهم وينجذبون نحو حميمية مع الله لم يختبرها معظمهم من قبل، أمرٌ جميل ومهوبٌ. والآن، هل تظن أن العدو سيدع أمرًا من هذا النوع يمر بنجاح دون أي تدخُّل؟

واجهتْ هذه الشراكة بعض المياه العاصفة، لكن لم يكن الأمر بالغريب إطلاقًا، لم يكن أمرًا غير معتاد في أي علاقة، ومع ذلك قرر الأعضاء الآخرون ببساطة إنهاء التحالف والانصراف في منتصف الموسم. هل كانت هناك أمورٌ شخصية؟ بالتأكيد، فهناك دائمًا أمورٌ شخصية، لكنها كانت ثانوية، فقد كان الأمر في الأعم سوءَ فهم وكبرياء مجروحًا. ولم تكن هناك كلمة واحدة ولا فكرة واحدة، على حسب علمي، بشأن العدو وما يمكن أن يفعله ليفصل تحالفًا إستراتيجيًا مثل هذا. وحين أثرتُ حقيقة أن عليهم تفسير الأمور بعيون مفتوحة، واضعين هجمات الشرير في الاعتبار، لم يؤخذ ما قلته في الاعتبار. أراد أولئك الناس الصالحون ذوو القلوب الجيدة تفسيرَ كل شيء على مستوى «بشري»، ودعوني أخبركم – حين تتجاهل العدو، ينتصر هو. إذ يحب ببساطة الإلقاء باللوم بشأن كل شيء علينا نحن، ونشعر أنفسنا بالجُرح، وبسوء الفهم، ونشكُّ في بعضنا البعض ونستاء من بعضنا البعض.

عليك أن تتغلب على خط اتصال الجيش المعادي، قبل أن يمكن لضربة حربية فعالة أن تتم. ويفعل الشريرُ ذلك طول الوقت – في الخدمة وبشكل خاص مع الأزواج، فالزواج صورة رائعة لما يقدمه الله لشعبه. تخبرنا الكلمة المقدسة أن الزواج استعارة حية، مثلُ حياتي، لوحةٌ للبشارة السارة كلوحات «رمبرانت». يعلم العدوُّ ذلك، **ويكره هذا الأمر** من كل قلبه الخبيث، فلا نية له لترْك تلك الصورة الفنية الجميلة لتُعاش أمام العالم بما فيها من جاذبية عميقة لا يمكن أمامها لأي شخص أن يقاوم عرْض الله. فمثلما حدث في الجنة تمامًا، يدخل الشيطانُ ليفرِّق ويهزم. وكثيرًا ما أشعر بهذا الإحساس من الشكاية حين أكون مع زوجتي، ومن الصعب وصفه وفي الغالب لا يمكن التعبير عنه بكلمات، لكني فقط أتلقى هذه الرسالة بأني **أفسدُ الأمر تمامًا**. أخيرًا أثرتُ الأمر مع «ستاسي» وامتلأت عيناها بالدموع، وقالت: «لا أستطيع تصديق ذلك!» واستطردَت: «أشعر ذات الشعور تمامًا، وكنتُ أظن أنك تشعر بخيبة الأمل فيَّ» ففكرت: لننتظر لحظة هنا، إن لم أكن أنا من يرسل هذه الرسالة، ولا أنتِ ترسلينها...

معظم ما سيحاول العدو عمله هو تشويش التواصل مع المقر الرئيسي. التزم بالصلاة كل صباحٍ لمدة أسبوعين وشاهد ما سيحدث. لن ترغب في الاستيقاظ، وستُدعى إلى اجتماع هام سيتعارض مع وقت صلاتك، وسيطوف ذهنك لما ستتناول في إفطارك وكم ستدفع لإصلاح سخان الماء وأي لون جوارب سيتناسب مع بدلتك الرمادية. ستقع في الكثير من المرات تحت عباءة من **التشويش** الشديد لدرجة أني أجد نفسي فجأة أتساءل لماذا أومن بيسوع أساسًا. ذلك التواصل الجميل الذي أستمتع به عادة مع الله انقطع، ذهب، اختفى كاختفاء الشمس وراء سحابة. إن لم تعرف ماذا يحدث فستظن أنك فقدتَ إيمانك أو أن الله تركك، أو أي كذبة أخرى يبتكرها العدوُّ. يحذرنا «أوزوالد تشيمبرز» قائلًا، «في بعض المرات لا يوجد ما تطيعه، فالأمر الوحيد الذي تحتاج أن تعمله هو الاحتفاظ باتصال حيوي مع يسوع المسيح، والتيقن أن ليس هناك أي شيء يتداخل مع هذا الاتصال.»

يلي ذلك الدعاية، مثلما حدث مع (Tokyo Rose) سيئات السمعة، يبث العدو باستمرار رسائل ليحاول إضعاف معنوياتنا. وكما حدث معي خلال التكدس المروري، يبتكر العدوُّ دائمًا **تفسيراته الكاذبة** للأمور، فعلى أي حال تدعوه الكلمة المقدسة «المشتكي على إخوتنا» (رؤيا ١٢ : ١٠). فكِّر فيما يحدث – ما تسمع وتشعر به – حين تُفسد الأمر تمامًا. **كم أنا غبي، دائمًا أفعل ذلك، لن أساوي أي شيء أبدًا**. يبدو ذلك بالنسبة لي كشكاية. ماذا عن الوقت الذي تحاول أن تخطو فيه إلى الأمام كرجل؟ أضمن لك ما سيحدث حين أكون مزمعًا أن أتكلم في محاضرة ما. كنتُ أقود سيارتي إلى المطار لأذهب في رحلة إلى الساحل الشرقي للتحدث إلى رجال عن (Wild at Heart)، وعلى مدى الطريق كنتُ تحت هذه السحابة من الثقل، وكنتُ على وشك أن أُغمر بإحساس عميق من أمر يقول لي: **كم أنت متصنع يا جون، فليس لديك ما تقوله على الإطلاق، فلتستدر بالسيارة وتعُد إلى المنزل، وقُل لهم إنك لن تستطيع الذهاب**. الآن، في لحظاتي الأكثر وضوحًا أعلم أنها كانت هجمة، لكن عليك أن تفهم أن ذلك كله يأتي بشكل ضمني غير مباشر بحيث يبدو حقيقيًا في ذلك الوقت. لقد كنتُ على وشك الاستسلام والعودة إلى المنزل.

حين هوجم المسيح من قِبل الشرير في البرية، كان الهجوم أساسًا على هويته، «إن كنتَ ابن الله،» قالها الشرير ساخرًا ثلاث مرات، واستطرد متحديًا المسيح

أن يثبت ذلك (لوقا ٤ : ١- ١٣). عاد «براد» من حقل الخدمة السنة الماضية لقضاء فترة راحة، فبعد سبع سنوات في الخارج كان معظم وقته من دون أي رفقة حقيقية، كان متعَبًا حقًا، وشعر بالإخفاق. قال لي إنه كان «يسمع» صوتًا في أفكاره حين يستيقظ صباحًا قائلًا له، **صباح الخير... يا فاشل**. يعيش الكثير جدًا من الرجال تحت شكاية مشابهة. دخل «كريج» بالفعل إلى المعركة وكان يحارب بشجاعة في الشهور الماضية، ثم جاءه كابوس، حلمٌ قويٌ جدًا ومخيفٌ اعتدى فيه على فتاة صغيرة، واستيقظ شاعرًا بالقذارة والإدانة. في نفس الأسبوع جاءني حلمٌ اتُهمتُ فيه بالزنا، ولم أكن قد زنيتُ فعلًا، لكن لم يصدقني أحدٌ في الحلم. ركِّز في الآتي: طالما أن الرجل لا يمثِّل تهديدًا حقيقيًا للعدو، تكون الجملة التي يستخدمها الشيطان معه هي **أنت على ما يرام**، لكن بعد أن تتخذ موقفًا تصبح الجملة **قلبك فاسدٌ وأنت تعلم ذلك**.

وأخيرًا، يجول باحثًا عن نقطة ضعف، وها هي الكيفية التي يعمل بها: يلقي الشيطان بفكرة أو تجربة نحونا على أمل أننا سنبتلعها. هو يعلم قصتك ويعلم ما ينجح معك، لذا فالجملة المستخدمة مفصَّلة لموقفك. هذا الصباح في وقت صلاتي كان الأمر هو الكبرياء، ثم القلق، ثم الزنا، ثم الطمع، ثم النهم، وإن ظننتُ أن السبب كان كله أنا، وما في قلبي، لتثبطت عزيمتي، فمعرفتي بأن قلبي صالحٌ سمحتْ لي بمقاومة الفكرة في التو واللحظة. حين يحاول الشيطانُ فحص الأمر، لا توافق على الإطلاق، لأنه إن وافقنا وإن قال قلبنا شيئًا مثل هذا الكلام، **نعم، كلامك صحيح**، فسيستكمل عمله بكل ما أوتي من قوة. فسترى امرأة جميلة وسيقول شيء ما داخلك، **أنت تريدها**، هذا هو الشرير مناشدًا الخائن الذي يقطن في الداخل، فإن قال الخائن، **نعم، أريدها**، تبدأ الشهوة في التمكُّن، وإن تركتَ ذلك يحدث لسنوات فستكون قد أعطيته حصنًا. من الممكن أن يجعل هذا رجلًا صالحًا يشعر بأنه شنيعٌ إذ يظن أنه رجلٌ شهوانيٌ بينما هو ليس كذلك، إنها هجمة بكل معنى الكلمة.

من فضلك لا تسئ فهمي، فلستُ ألقي باللوم على الشيطان فيما يختص بكل شيء، ففي كل موقف تقريبًا هناك أمور بشرية يتعلق الأمر بها. لكل رجل صراعاته ولكل زواج نقاطٌ شائكة، ولكل خدمة نزاعات شخصية، لكن تلك الأمور تشبه نار المخيَّم التي يلقي عليها العدوُّ البنزينَ ويحولها إلى حريق هائل، وتتحول ألسنة اللهب سريعًا إلى جحيم محتدمٍ ونجد أنفسنا فجأة مغمورين

بما نشعر به. حينها يصبح سوء التفاهم البسيط أساسًا للطلاق. في كل هذه الأوقات نعتقد أن الأمر يتعلق بنا، فنحن نفسد الأمور، واللوم يقع علينا، ويضحك العدو في هذه الحالة لأننا ابتلعنا الكذبة القائلة: «لستُ هنا، الأمر كله يتعلق بك أنت.» علينا أن نكون أبرع من ذلك كثيرًا.

التعلّق بالحق

في أي قتال عن قُرب، هناك دائمًا ضربات من هنا ومن هناك، تفادٍ للضربات، منع للضربات، هجمات عكسية، وهكذا. وهذا تمامًا ما يحدث في الأمور غير المنظورة من حولنا، الفارق فقط هو أن القتال يحدث في البداية على مستوى أفكارنا. وحين نكون تحت هجوم علينا أن نتعلق بالحق، تفادَ الضربة وامنعها برفض عنيد، وعاود الهجوم بما هو حقٌّ. هذه هي الكيفية التي أجاب بها المسيحُ الشيطانَ – فلم يدخل في جدال معه، ولم يحاول اكتشاف طريقته، بل ببساطة استند إلى الحق. أجاب بالكلمة المقدسة وعلينا أن نفعل نفس الأمر. لن يكون هذا سهلًا، خاصة حين يخرج الأمر عن السيطرة من حولك، إذ يبدو الأمر كما لو كنتَ ممسكًا بحبل بينما تُسحب وراء شاحنة، أو تحاول الاحتفاظ بتوازنك في وسط إعصار. لا يلقي الشيطانُ بفكرته علينا فقط، بل يلقي **بمشاعر** أيضًا، فلتدخل بيتًا مظلمًا في وقت متأخر من الليل وسيجتاحك الخوفُ فجأة، أو قِفْ في طابور البقالة منتظرًا دورك للدفع، ومِن حولك كل تلك الصحف الصفراء التي تصرخ نحوك بالجنس وفجأةً ستجد لديك شعورًا من الفساد.

هذا هو المكان الذي تظهر فيه قوتك، بل أيضًا تزيد – عبْر التمرين. فلتقف على ما هو حق وتشبَّث جيدًا. فقط! سيحاول الخائن القاطن داخل القلعة أن يُخفض من الجسر المتحرك، لكن لا تدعه يعمل ذلك. حين يخبرنا أمثال ٤ : ٢٣ أن نحفظ قلوبنا، لا يقول: «أغلق عليهم إذ هم مجرمون حتى النخاع»، بل يقول، «دافع عنهم كما تدافع عن قلعة، عن كرسي قوتك الذي لا تريد التخلي عنه». يقول «توماس الكمبيسي»: «ومع ذلك علينا أن نحترس، خاصة في بداية التجربة، إذ حينها يكون من الأسهل التغلب على العدو. إن لم يُسمح له بالدخول إلى قلوبنا بل قاومناه على البوابة الخارجية حيق يقرع أول مرة.»

أتذكر المشهد في (Braveheart) حيث يهمس الوالد الشرير «لروبرت بروس»

بأكاذيب له عن الخيانة والقبول بالحل الوسط؟ يقول لروبرت ما يقوله العدوُّ لنا بألف طريقة وطريقة: «كل الرجال يخونون، وكل الرجال يفشلون»، كيف يجيب روبرت؟ يصرخ رادًّا:

لا أريد أن أفشل!
أريد أن أومن، مثلما يؤمن [والاس]
لن أكون على الجانب الخطأ ثانيةً.

تلك هي نقطة التحوُّل في حياته... وفي حياتنا، حيث تنتقل المعركة إلى مستوى جديد.

المرحلة الثانية: التهديد

عاشت «ستاسي» تحت سحابة من الاكتئاب لسنوات كثيرة، وكنا قد رأيناها تجد بعض الشفاء عبّر المشورة، لكن الاكتئاب استمر، وكنا قد عالجنا الجوانب الجسدية التي استطعنا معالجتها بالدواء، ومع ذلك استمر الأمر. ففكرتُ في نفسي قائلًا حسنًا، **يخبرني الكتاب المقدس بأن لدينا جسدًا ونفسًا وروحًا، وقد عالجنا أمور الجسد والنفس... بالتأكيد ما تبقّى هو روحي**. بدأتُ أنا و«ستاسي» في القراءة قليلًا عن التعامل مع العدو، وفي مسار دراستنا، قابلتها فقرةٌ تشير إلى أعراض مختلفة ترافق أحيانًا الاضطهاد، وأحد هذه الأعراض كان الدوار، وبينما كانت تقرأ الفقرة بصوت مسموع بدت مندهشة، فسألتُ: «ماذا هنالك؟»، «حسنًا... تأتيني نوباتٌ من الدوار كثيرًا.» «فعلًا؟ كم مرة؟» «كل يوم.» «كل يوم؟؟!!» وقتها مضى على زواجنا عشر سنوات ولم تكن قد ذكرت أبدًا هذا الأمر لي، كانت المسكينة تظن ببساطة أن تلك النوبات عادية للكل لأنها كانت عادية لها.

«ستاسي، لم تأتني نوبة دوار واحدة في حياتي، أعتقد أننا بصدد أمرٍ ما هنا.» بدأنا في الصلاة ضد الدوار، آخذين سلطانًا ضد أي هجمة في اسم يسوع، فهل تعلمون ما حدث؟ **ساء الحال!** بمجرد أن يُكتشفَ العدوُّ، لا يستدير بعيدًا ويذهب دون عراكٍ. لاحظ أن في بعض المرات ينتهر يسوعُ روحًا شريرًا «بصوت صارمٍ» (انظر لوقا ٤: ٣٥). في الحقيقة، حين يلتقي بالرجل الذي يسكن في قبور

الجدريين، المعذَّب من قِبل لجئون من الأرواح، لا يبدو للانتهار الأول من يسوع أن يحل الأمر، إذ فقط بعد الانتهار الثاني تهرب الشياطين (لوقا ٨: ٢٦ – ٣٣). والآن، إن كان على يسوع أن يتعامل بصرامة مع أولئك، ألا تفترض أن علينا عمل نفس الأمر أيضًا؟ ثبتنا أنا و«ستاسي» على موقفنا، مقاومين الهجوم، «راسخين في الإيمان» مثلما يقول بطرس، وهل تعرف ما حدث؟ انتهتّ نوبات الدوار، هي ماضٍ الآن، ولم تأتِها ولا نوبة واحدة لمدة سبع سنوات.

ذلك هو المستوى التالي من إستراتيجية عدونا. حين نبدأ في التشكيك فيه، ونقاوم أكاذيبه، ونرى يده في «التجارب العادية» لحياتنا، حينها يُصعِّد من الهجوم، ويتحوَّل إلى التهديد والخوف. وفي الحقيقة، ربما بدأتَ في نقطة ما في الصفحات الأخيرة في الشعور بأمر ما مثل **هل أريد حقًا أن أدخل في كل هذه الخزعبلات الفوق-الروحية؟ فالأمر يبدو مخيفًا على أي حال.** سيحاول الشيطان أن يجعلك توافق بالتهديد **لأنه يخشاك**. فأنت تهديدٌ ضخم له، ولا يريدك أن تقوم وتحاربه لأنه حين تفعل ذلك ينهزم. «قاموا إبليس» يقول يعقوبُ، «**فيهرب منكم**» (يعقوب ٤: ٧). لذا سيحاول أن يجعلك لا تأخذ موقفًا، وسينتقل من الإغواء الماكر إلى الاعتداء الواضح، إذ تأتي الأفكار في تطفل هجومي، وتبدأ كل الأشياء في الانهيار في حياتك، ويبدو إيمانك بلا قيمة.

لماذا يتمزق الكثير من أولاد الرعاة غضبًا؟ هل تعتقد أن الأمر صدفة؟ تبدأ الكثير جدًا من الكنائس في حيوية ونماء فقط لتنتهي في انقسام أو ببساطة تذبل وتموت، كيف يمكن أن يحدث هذا؟ لماذا كانت صديقة لي على وشك الإغماء حين حاولتْ أن تشارك اختبارها في أحد الاجتماعات؟ لماذا تعاق رحلاتي بالطائرة كثيرًا حين أحاول أن آخذ الإنجيل إلى مدينة أخرى؟ لماذا يبدو كلُّ شيء في العمل وكأنه ينهار حين تحرز تقدمًا في البيت، والعكس صحيح؟ لأننا في حرب، وها هو الشرير يحاول استخدام تكتيك قديم – اضرب أولًا، فربما يجري الخصم هاربًا. أنت تعلم أنه لا يمكنه الانتصار. قال «فرانكلين روزفيلت»، «ليس لدينا ما نخاف منه سوى الخوف نفسه.»

اللّه معنا

تشدد وتشجع، لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لآبائهم أن

> أعطيهم. إنما كن متشددًا، وتشجع جدًا... أما أمرتك؟ تشدد وتشجع! لا ترهب ولا ترتعب لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب. (يشوع ١: ٦ — ٧، ٩)

كان يشوع يعلم معنى أن يكون الإنسان خائفًا، فقد كان الثاني في القيادة، الذراع الأيمن لموسى، لكنه الآن يقوم بدور القائد. لم يكن بنو إسرائيل مزمعين أن يدخلوا بكل بساطة وثقة ليأخذوا أرض كنعان كما لو كانوا يلتقطون كرتونة من الحليب، فقد كان من اللازم أن يحاربوا من أجلها، ولم يكن موسى معهم. إن كان يشوع واثقًا تمام الثقة بشأن الموقف، فلماذا كان على الله أن يخبره مرارًا وتكرارًا ألا يخاف؟ بل ويعطيه كلمة تشجيع خاصة: «كما كنتُ مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك» (يشوع ١: ٥). كيف كان الله «مع موسى»؟ كمحارب قدير. أتذكُر الضربات؟ أتذكُر كل أولئك الجنود المصريين الغارقين مع خيولهم ومركباتهم الحربية هناك في البحر الأحمر؟ بعد هذا الاستعراض لقوة الله غنَّى شعب إسرائيل: «الربُّ رجل الحرب. الرب اسمه» (خروج ١٥: ٣). لقد حارب الله من أجل موسى ومن أجل بني إسرائيل، ثم قطع عهدًا مع يشوع ليفعل نفس الأمر وأسقطوا أريحا وكل عدو آخر.

عرف إرميا معنى أن يكون الله «معه» أيضًا. وغنَّى «الرب معي كجبار قدير. من أجل ذلك يعثر مضطهديَّ ولا يقدرون.» (إرميا ٢٠: ١١)، بل سار يسوع في هذا الوعد حين حارب من أجلنا هنا على الأرض:

> أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئًا من الجليل، بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا. يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيرًا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس، **لأن الله كان معه**. (أعمال الرسل ١٠: ٣٧ — ٣٨)

كيف انتصر يسوع في معركته ضد الشيطان؟ كان الله **معه**. يفتحُ هذا حقًا الغِنى الموجود في الوعد الذي يعطيه لنا المسيح حين يتعهد قائلًا، «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» و«لا أهملك ولا أتركك» (متى ٢٨: ٢٠، عبرانيين ١٣: ٥). لا يعني ذلك ببساطة أنه سيكون هناك، ولا حتى أنه سيعزينا في آلامنا، بل يعني أنه **سيحارب من أجلنا**، ومعنا، تمامًا كما حارب من أجل شعبه عبْر كل العصور. طالما نسير مع المسيح، ونثبت فيه، فليس لدينا ما نخاف منه.

يحاول الشيطان مناشدة التزام الخائن بحفظ الذات حين يستخدم الخوف والتهديد، فطالما ظللنا في القصة القديمة من محاولة الهروب لحياتنا، باحثين عن ذواتنا باعتبارها ذات الأهمية الأولى، فستنجح تلك التكتيكات، وسنتراجع. لكن العكس صحيحٌ أيضًا، فحين يقرِّر الرجل أن يصبح محاربًا، وحين تُعطَى حياته من أجل قضية تفُوق ذاته، فلن يمكنه الخوف من الذئب الكبير الذي يهدد بهدم بيته. بعد وصْف الرؤيا لتلك الحرب الدائرة في السماء بين الملائكة وسقوط الشيطان إلى الأرض، يخبرنا السفر عن الكيفية التي بها غلب القديسون الشيطان:

وهم غلبوه
بدم الخروف
وبكلمة شهادتهم،
ولم يحبوا حياتهم
حتى الموت (١٢: ١١)

أخطر رجل على الأرض هو الرجل الذي حسب حساب موته. «يموت كلُّ الرجال، لكن القليل جدًا منهم **يعيش** حقًّا.» بالطبع يمكنك خلْق حياة آمنة لنفسك... منهيًا أيامك في بيت للمسنين مترثرًا بشأن سوء حظ منسي. بالنسبة لي أفضِّل أن أحاول حتى النهاية رافضًا الاستسلام. بالإضافة إلى ذلك، كلما قلَّت محاولاتنا «لإنقاذ أنفسنا»، نكون أكثر فعالية كمحاربين. استمع إلى ما يقوله «ج. ك. تشيستيرتون» عن الشجاعة:

> تبدو الشجاعة وكأنها تناقض في المصطلحات، إذ تعني رغبةً قوية في الحياة الآخذة شكل الاستعداد للموت. «من أضاع حياته... يجدها» هي ليست نوعًا من التصوُّف للقديسين والأبطال، بل هي نصيحة يومية للبحَّارة أو متسلقي الجبال، ومن الممكن أن نجدها مطبوعة في دليل إرشادي عن جبال الألب أو كتيب تدريبات. المفارقة هنا هي مبدأ الشجاعة برمته، حتى في الشجاعة الأرضية أو الوحشية، فالرجل الذي اقتُطع من قِبل البحر يمكنه أن ينقذ حياته إن كان يخاطر بها على الجرف، فيمكنه الابتعاد عن الموت فقط عن طريق أن يخطو باستمرار على مقربة منه. والجندي المحاط بالأعداء، إن أراد قطع طريقه للخروج، يحتاج إلى دمج رغبة قوية

في الحياة مع لا مبالاة غريبة بشأن الموت، إذ لا ينبغي عليه مجرد التعلق بالحياة، إذ حينها سيكون جبانًا ولن يهرب، ولا ينبغي عليه مجرد انتظار الموت، إذ حينها سيكون منتحرًا ولن يهرب. عليه أن يسعى إلى حياته في روح من عدم الاكتراث الغاضب بشأنها، عليه أن يرغب في الحياة كالماء ومع ذلك يشرب الموتَ كالخمر.

المرحلة الثالثة: إبرام اتفاق

المستوى الثالث للهجوم الذي يشنه الشرير، بعد أن نكون قد قاومنا الخداع والتهديد، هو أن يحاول ببساطة أن يجعلنا نبرم اتفاقًا. فالكثير جدًا من الرجال قد اشتُروا بطريقة أو بأخرى. دق جرسُ الهاتف للتو، وها قد اتصل بي صديقٌ ليخبرني أن قائدًا مسيحيًا آخر وقع في فساد جنسي. وتهز الكنيسةُ رأسها قائلة: «أترى؟ لم يستطع الحفاظ على نفسه نقيًّا.» يا للسذاجة! هل تعتقد أن رجلًا، تابعًا للمسيح، في عمق قلبه **أراد** أن يسقط؟ أي رجل هذا الذي يبدأ رحلته متمنِّيًا: «أعتقد أن يومًا ما، بعد عشرين سنة من الخدمة، سأنسف الأمر كله عن طريق علاقة غرامية»؟ لقد **نُسِفَ**، وكان الأمر كله مدبرًا. في حالته كان الأمر مهمةً طويلة ماكرة لإنهاك دفاعاته، لا عبّر معركة بل عبّر **الملل**. كنتُ أعرف ذلك الرجل، لم يكن لديه قضية عظيمة يحارب من أجلها، كان لديه فقط رتابة «الخدمة المسيحية المهنية» التي كان يكرهها لكنه لم يستطع الخروج منها إذ كان يحصل على راتب سخي منها. لقد نُصب له الفخُّ ليسقط. وإن لم تدرك أنت أن الأمر كذلك، ستؤخذ أنت أيضًا.

لاحظ هذا – متى سقط الملك داود؟ ماذا كانت ظروف علاقته الغرامية مع بثشبع؟ «وكان عند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل» (صموئيل الثاني ١١: ١)، لم يكن داود محاربًا فيما بعد، فقد أرسل آخرين ليقوموا بالمحاربة من أجله. وبينما هو شاعر بالملل، ومتخمٌ، وبدينٌ، يتمشَّى على سطح القصر باحثًا عن شيء يسليه، إذا بالشرير يلفت الانتباه إلى بثشبع، وباقي القصة تاريخٌ يعيد نفسه، كما نعرف. يحذرنا «ويليام جورنال»:

سيكون الثبات إلى النهاية هو اللدغة تحت سرجك – الشوكة في جسدك – حين يبدو الطريق أمامك بلا نهاية، وحين تتوسل نفسُك من أجل انصراف مبكر، ويثقِل ذلك من كل صعوبة أخرى في دعوتك. لقد عرفنا الكثيرين ممن انضموا إلى جيش المسيح وكجندي في معركة أو اثنتين، لكنهم سريعًا ما شعروا بالضجر وانتهى بهم الأمر فارين من الجندية. يتجندون باندفاع من أجل الواجب المسيحي... وبنفس السهولة يقتنعون بترك الأمر برمته. مثل ظهور الهلال الجديد، يسطعون قليلًا في أول المساء لكن ينخفضون قبل أن تنتهي الليلة. (The Christian in Full Armor)

أسلحة الحرب

في مواجهة الجسد، الخائن الذي بداخلنا، يستخدمُ المحاربُ الانضباطَ. ولدينا نسخة ثنائية الأبعاد من هذا الآن، ما نسميه «الخلوة»، لكن يجد معظم الرجال صعوبة في استدامة أي نوع من الحياة التأملية إذ ليس لها أي صلة حيوية باستعادة قوتهم وحمايتها، فيبدو الأمر في نفس أهمية تنظيف الأسنان باستخدام الخيط الطبي. لكنك إن اعتبرتَ حياتك معركة عظيمة وعرفتَ احتياجك للوقت مع الله من أجل بقائك نفسه، فستفعل الأمر. قد لا تفعله بشكل مثالي – فما من أحد يفعل ذلك وعلى أي حال ليس هذا بيت القصيد – لكن سيكون لديك سببٌ للسعي إلى الله. محاولاتنا للتدريبات الروحية تعوزها الحماسةُ حين يكون السبب الوحيد من ورائها أن «علينا» القيام بها، لكننا سنجد الطريقة لإنجاح الأمر حين نقتنع أننا بدونها نكون في خبر كان.

لا يتعلق الوقتُ مع الله كل يوم بالدراسة الأكاديمية أو بإنهاء كمية معينة من الكلمة المقدسة أو أي شيء مثل هذا، بل يتعلَّق الأمر بالاتصال بالله، فعلينا الاحتفاظ بخطوط التواصل مفتوحة، لذلك استخدم أي طرق تساعدك على ذلك. في بعض الأوقات أستمع إلى الموسيقا، وفي أوقات أخرى أقرأ الكلمة المقدسة أو فقرة من كتاب، وفي أغلب الأحيان أكتب في دفتر يومي، وربما أذهب للجري بعض الوقت. وهناك أيام أحتاج فيها إلى الصمت والعزلة والشمس المشرقة. الأمر كله ببساطة هو فعل **أي شيء يردني إلى قلبي وقلب الله**. لقد حماني اللهُ في الكثير من المرات من فخ لم تكن لديَّ أدنى فكرة بشأنه، إذ حذرني في

وقتي معه في الصباح الباكر بشأن ما سيحدث في ذلك اليوم. في يوم قرأت فقرة من كتاب عن الغفران، وشعرتُ أن الله يقول لي شيئًا بشكل شخصي. **يا رب، هل أنا شخص لا يغفر؟** قال، لا. وبعد ذلك بساعة تلقيتُ اتصالًا هاتفيًا مؤلمًا جدًا – خيانة. آه، **نعم، كنتَ تقول لي أن أستعد لأغفر، أليس كذلك؟ نعم.**

الانضباط، بالمناسبة، ليس هو بيت القصيد أبدًا، فكل ما يتعلق «بالحياة التعبدية» هو **الاتصال مع الله**، وهذا هو ترياقنا الأساسي ضد الأمور الزائفة التي يقدمها لنا العالم. إن لم يكن لديك الله وإن لم يكن لديك الله بعمق فسيتحول نظرك إلى محبين آخرين. يقول «موريس روبيرتس»:

> النشوة واللذة أمران أساسيان لنفس المؤمن، وهما يعززان التقديس. ليس المقصود من حياتنا أن نعيش دون ابتهاج روحي... المؤمن في خطر روحي إن سمح لنفسه بالاستمرار لأي مدى من الوقت دون تذوُّق حب المسيح... حين يتوقف المسيح عن ملء القلب بالشبع، فستذهب نفوسُنا في بحث صامت عن محبين آخرين. (The Thought of God)

سيكرِّس الرجلُ ساعات طويلة لمالياته حين يكون لديه هدفٌ للخروج إلى المعاش المبكر، وسيتحمَّل التدريب الصارم حين يهدف إلى الجري مسافة عشرة كيلومترات أو حتى ماراثون، فالقدرة على ضبط نفسه موجودة، لكنها كامنة لدى الكثيرين منا.

لصد الشرير نلبس سلاح الله، وفكرة أن الله قد زودنا بأسلحة حرب فكرة منطقية إن كانت أيامنا تشبه مشهدًا من (Saving Private Ryan). كم من مسيحيين قرأوا تلك الفقرات عن ترس الإيمان وخوذة الخلاص ولم يعرفوا أبدًا ماذا يفعلون بها. **يا لها من صورة شعرية جميلة، أتساءل ماذا تعني.** تعني أن الله قد أعطاك سلاحًا وأن من الأفضل لك أن تلبسه، كل يوم. المعدات موجودة فعلًا، في المملكة الروحية غير المنظورة. لا نراها، لكن الملائكة وأعداءنا يرونها. ابدأ ببساطة بالصلاة عبّر ما جاء في رسالة بولس الرسول لأهل أفسس كما لو كنتَ تستعد للميدان بارتدائك للزي المناسب:

> «من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم

بالحق...» **يا رب، ألبسُ منطقة الحق، وأختار أسلوب حياة من الأمانة والنزاهة. أرني الحقائق التي أحتاج إليها احتياجًا ماسًا اليوم، واكشف الأكاذيب التي لستُ أنا حتى بواعٍ بتصديقي لها.** «... ولابسين درع البر...» **نعم، يا رب، أرتدي برَّك اليوم ضد كل دينونة وفساد، زودني بقداستك وطهارتك – دافع عني ضد كل الإساءات الموجهة إلى قلبي.** «... وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام...» **أختار بالفعل أن أحيا من أجل الإنجيل في كل لحظة، فأرني أين تتوالى أحداث القصة الأكبر واحمني من أن أكون متراخيًا لدرجة اقتناعي بأن أهم أمر اليوم هو مسلسلات وقصص هذا العالم.**

«حاملين فوق الكل ترس الإيمان، الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة...» **يا يسوع، ضد كل كذبة وكل إساءة أتمسك بالثقةِ بأنك صالح، وأن لديك صلاحًا معدًا لي، وما من شيء سيأتيني اليوم ويغلبني لأنك أنت معي.** «... وخذوا خوذة الخلاص...» **أشكرك، يا رب، من أجل خلاصي، وها أنا أستقبله منك بطريقة جديدة نضرة وأعلن أنه ما من شيء يمكنه أن يفصلني الآن عن محبة المسيح والمكان الذي سيكون لي في ملكوتك.** «... وسيف الروح الذي هو كلمة الله...» **أيها الروح القدس، أرني على وجه التحديد اليوم حقائق كلمة الله التي سأحتاجها لأصد إساءات العدو وكمائنه، فتجلب هذه الحقائق لذهني عبْر اليوم.** «... مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة، لأجل جميع القديسين.» **وأخيرًا، أيها الروح القدس، أقرُّ أني سأسير معك خطوة بخطوة في كل شيء – في كل صلاة بينما يتشارك روحي معك طوال اليوم.** (٦: ١٣ – ١٨)

ونسير في سلطان المسيح. لا تهاجِم في غضبٍ، ولا تختال في كِبْرٍ، فستُسمَّر. أحب المشهد في (The Mask of Zorro) حين ينقذُ المبارز الرئيسي كبيرُ السن تلميذَه الصغير – الذي شرب الكثير من الخمر وقتها – من الاندفاع نحو عدوه. «كنتَ ستحارب بشجاعة» قالها له ثم استطرد «وتموتُ سريعًا.» لقد دُفع كلُ سلطان في السماء وعلى الأرض إلى يسوع المسيح (متى ٢٨: ١٨)، ويخبرنا بذلك قبل أن يكلفنا بالإرسالية العظمى، الأمر بنشر ملكوته. لماذا؟ لم نفكر أبدًا في العلاقة ما بين الاثنين. يكمن السبب في أنه إذا كنتَ ستخدم الملك الحقيقي فستحتاج إلى سلطانه. لا نجسر أن نتحدى أي ملاك، ناهيك بملاك ساقط، بقوتنا الشخصية. ولهذا يقدم المسيح سلطانه إلينا، «وأنتم مملوؤون

فيه، الذي هو رأس كل رياسة وسلطان» (كولوسي ٢ : ١٠). انتهر العدو باسمك أنت وسيضحك، أما إن أمرته باسم المسيح فسيهرب.

أمر آخر: لا تفكر حتى في الذهاب إلى المعركة وحدك، ولا تحاول حتى أن تأخذ رحلة الذكورة دون رجل واحد على الأقل بجانبك. نعم، هناك أوقات حين ينبغي للرجل أن يواجه المعركة بمفرده، في الساعات الأولى من الفجر، ويحارب بكل ما لديه، لكن لا تجعل من ذلك أسلوب حياة من الانعزال، فقد تكون هذه هي أضعف نقاطنا، وها هو «ديفيد سميث» يلفت الانتباه إلى ذلك في (The Friendless American Male): «إحدى المشكلات الخطيرة هي حالة انعدام الأصدقاء لدى الذكر الأمريكي المتوسط، إذ يجد الرجالُ صعوبة في قبول احتياجهم إلى صحبة رجال آخرين.» بفضل حركات الرجال تفهم الكنيسةُ الآن أن الرجل يحتاج إلى رجال آخرين، لكن ما قد قدمناه هو حلٌّ آخر ثنائي الأبعاد: مجموعات أو شركاء من أجل «المساءلة». أُفٍّ! يبدو هذا مثل تعهدٍ قديم جدًا: «أنت جاهلٌ حقًّا وتنتظر فقط للاندفاع نحو الخطية، لذا من الأفضل أن نعيِّن حارسًا بجانبك ليضمن أن تظل تصرفاتك في القالب الصحيح.»

لا نحتاج إلى مجموعات للمساءلة، بل نحتاج إلى زملاء من المحاربين، شخص ما نحارب بجانبه، شخص ما يحمي ظهرنا. أوقفني مرةً شابٌ في الشارع ليقول: «أشعر بأني محاطٌ بالأعداء وأني بمفردي تمامًا.» حدثت كلُّ الأزمة في الرجولة اليوم بسبب أنه ليس لدينا ثقافة المحارب، ليس لدينا مكانٌ للرجال ليتعلموا أن يحاربوا مثل الرجال. لا نحتاج إلى اجتماع للرجال اللطفاء جدًا، بل نحتاج إلى تجمُّع للرجال الخطرين جدًا. هذا ما نحتاج إليه. أفكر في هنري الخامس في معركة أجينكور، فقد اختُزل رجاله إلى فرقة صغيرة من رجال مُتعَبين ومنهَكين، والكثير منهم كانوا جرحى، وعددهم أقل من الجهة الأخرى بمعدل واحد إلى خمسة. لكن هنري يحشد قواته إلى جانبه حين يذكِّرهم أنهم ليسوا مرتزقة، بل «فرقة من الإخوة».

نحن القليلين، القليلين السعداء، نحن فرقة من
الإخوة،
إذ ذاك الذي يسفك دمه اليوم معي
سيكون أخي...

والنبلاء في إنكلترا، الذين في أسرَّتهم الآن
سيبغضون أنفسهم لأنهم ليسوا هنا،
وسيشعرون بالرعب إذا تكلَّم
أيٌّ ممن حاربوا معنا.

نعم، نحتاج إلى رجال يمكننا أن نعرِّي نفوسنا أمامهم، لكن هذا لن يحدث مع مجموعة من الرجال الذين لا نثق بهم، مَن ليسوا مستعدين أن يذهبوا إلى المعركة معنا. إنها لحقيقة قديمة قدم الدهر أنه ما من مجموعة من الرجال أكثر إخلاصًا من الذين حاربوا جنبًا إلى جنب، رجال دُفعتك، الرجال الذين كانوا في نفس خندقك. لن يكون الأمر أبدًا مجموعة كبيرة، لكننا لسنا نحتاج إلى مجموعة كبيرة، بل نحتاج إلى فرقة من الإخوة على استعداد أن «يسفكوا دماءهم» معنا.

جراح الشرف

تحذيرٌ قبل أن نترك هذا الفصل: ستُجرحُ. فلمجرد أن هذه المعركة روحية لا يعني أنها ليست حقيقية، فهي حقيقية، والجراح التي من الممكن أن يأخذها الرجلُ هي بطريقة ما أقبحُ من تلك التي تحدث في المعركة. ففقدان قدم لا شيء مقارنةً بفقدان القلب، وأن تُعاق بسبب شظايا لن يدمر نفسك بالضرورة، لكن أن تُعاق بالخزي والذنب قد يؤدي إلى ذلك. ستُجرحُ من قِبل العدو، وهو يعلم جراح ماضيك وسيحاول أن يجرحك ثانية في نفس المكان، لكن تلك الجراح مختلفة فهي جراح الشرف. يقول «ريك جوينر»: «إنه لشرف أن يُجرح المرء في خدمة الرب.»

كان «بلين» يريني آثار جراحه في إحدى الأمسيات على مائدة العشاء. «هذه كانت حين ألقى صموئيل بحجر وارتطم بجبهتي، وهذه من جبال التيتون حين سقطتُ على قطعة من الخشب الحاد. لا أستطيع تذكُّر من أين جاءت هذه، آه، ها أثر جيد – هذه حين سقطتُ في البِركة بينما كنتُ أطارد «لوك»، وهذه قديمة جدًا حين تعرضتُ لحرق في رجلي في الموقد في المخيم.» إنه فخورٌ بجراحه، فهي شارات من الشرف للولد... وللرجل. ليس لدينا الآن ما يعادل

'القلب الأرجواني' للحرب الروحية، لكن سيكون لدينا في المستقبل، فواحدة من أنبل اللحظات التي تنتظرنا ستكون في عُرس الخروف. سيقوم ربنا ويدعو الذين جُرحوا في المعركة من أجل اسمه وسيُكرَّمون، وستكافأ شجاعتُهم. أفكر فيما قاله هنري الخامس لرجاله،

> ذاك الذي سيغلب اليوم، ويعود إلى بيته آمنًا،
> سيقف منتبهًا حين يُذكر اسم اليوم،
> وسيقوم عند ذكر اسم «كريسبيان»...
> ثم سيكشف عن أكمامه عارضًا آثار جراحه،
> ويقول: «نلتُ هذه الجراح في يوم «كريسبين»»
> ينسى كبارُ السن كثيرًا، مع ذلك سيُنسى الكل،
> لكنه سيذكر بالتفاصيل الدقيقة
> المفاخر التي فعلها في ذلك اليوم،
> ثم بعد ذلك ستظل أسماؤنا...
> تُذكر وتُذكر ولا يعتليها القِدمُ.

«ملكوت السماوات يُغصب» قال يسوع: «والغاصبون يختطفونه» (متى ١١ : ١٢). هل ذلك أمر جيد أم سيئ؟ أتمنى أن تكون قد رأيتَ الآن العمق والصلاح المقدس للعنف الذكوري وأن ذلك سيساعدك على فهم ما يقوله المسيح. قارن ذلك مع هذا: «ملكوت السماوات مفتوحٌ للرجال السلبيين الجبناء، الذين سيدخلون هذا الملكوت عن طريق الاستلقاء على الكنبة أمام شاشة التلفاز.» إذا كنتَ بصدد أن تعيش في ملكوت الله، يقول يسوع، فسيحتاج الأمر إلى كل جرامٍ من الشغف والقوة التي لديك، فستصبح الأمور ضارية، ولذلك فقد أُعطيتَ قلبًا ضاريًا. أحب الصورة التي يقدمها لنا عن هذه الآية «جون بانيان» في (Pilgrim's Progress):

> ثم أخذ المفسِّرُ [المسيحيَّ] واقتاده نحو باب القصر، وهوذا على الباب كانت تقف مجموعة من الرجال الراغبين في الدخول، لكنهم لم يجسروا. كان هناك أيضًا رجلٌ جالس على مسافة قليلة من الباب وراء منضدة، ومعه كتابٌ ودواة حبر أمامه، ليكتب أسماء الذين يدخلون، ورأى أيضًا الكثير من الرجال واقفين على مدخل الباب مسلَّحين لحمايته ومستعدين لإلحاق

الأذى والضرر بالرجال المزمعين الدخول ما استطاعوا. فكان المسيحي في اندهاش. وأخيرًا، حين تراجع الجميع خائفين من الرجال المسلحين، رأى المسيحي رجلًا شجاع الطلعة جدًّا وقد أتى إلى الرجل الجالس ليكتب قائلًا: «اكتب اسمي، يا سيد»، وبعد أن فعل ذلك، رأى الرجل يتقلد سيفه ويضع خوذة على رأسه ويهرع نحو الباب حيث الرجال المسلحين، الذين انقضوا عليه بقوة قاتلة، لكن الرجل لم تثبط همته قط، وتلقى الكثير من الجراح لكنه جرحهم أيضًا، أولئك الذين حاولوا منعه من الدخول، وقطَع طريقه عبْرهم كلهم، وواصلتُ أنا نحو القصر.

إذا كان من الممكن أن أحثك على تجربة أمر واحد سيغير حياتك الروحية بشكل ملحوظ، فمن فضلك صلِّ «الصلاة اليومية» التي ضمَّنتُها في الملحق. لقد طوَّرتُ هذه الصلاة عبْر السنين بينما كنتُ أتعلَّم أكثر بشأن كيفية أخْذ مكاني في المسيح كل يوم، وكيفية صد الهجمات القادمة ضدي. وأثبتت هذه الصلاة كونها قوية جدًا، ليس فقط معي لكن مع أعداد لا تُحصى من الرجال الذين قد جعلوها جزءًا من حياتهم.



الفصل العاشر

أميرةٌ تنقذ

ليس الجمالُ أمرًا رهيبًا فحسب، بل هو أيضًا أمرٌ غامض، حيث يجاهدُ اللهُ والشيطانُ من أجل السيادة عليه، وأرضُ المعركة هي قلب الرجال.

–فيودور دوستوييفسكي

ستسعدُ أنت كل ليلة
أنك عاملتها معاملة حسنة

–جورج ثوروجود
"Treat Her Right"
من أعمال «رود هيد» و«جين كيرتس»

يا راعي البقر خذني بعيدًا
إلى مكان أقرب للسماء وأقرب لقلبك.

–ديكسي تشيكس
"Cowboy Take Me Away"
(من أعمال «مارتي سيدل» و«ماركوس هامون» ١٩٩٩)

كان ياما كان (كما تقول القصة) كانت هناك فتاة جميلة، ساحرة بكل ما في الكلمة من معانٍ. قد تكون ابنة ملك أو فتاة من العوام، لكننا نعرف أنها أميرة في الداخل. صغيرةٌ وشبابها يبدو أبديًا، شعرها منساب، وعيناها عميقتان، وشفتاها فاتنتان، وقوامها منحوت – تحمرُّ الوردةُ خجلًا أمامها، وتبدو الشمسُ باهتة إذا قورنتْ بضيائها. قلبها ذهبي، وحبها حقيقي كسهم معتدل. لكن هذه الفتاة الرائعة يتعذر الوصول إليها، فهي سجينة لقوة شريرة تجعلها أسيرة في برج مظلم، يمكن فقط لبطل أن يفوز بها، هناك فرصة فقط للمحارب الأكثر شجاعة وجرأة وبسالة ليحررها. على عكس كل الآمال يأتي، بشجاعة ماكرة صافية يحاصر البرج وذاك الشرير الذي يأسرها. تراق الكثير من الدماء على الجانبين، ويلقّى بالفارس ثلاث مرات، لكنه يقوم من جديد ثلاث مرات. أخيرًا يُهزم الساحر، ويسقط التنين، ويُذبح العملاق. والفتاة الآن له، فقد فاز بقلبها بسبب بسالته. يركبان على ظهر الحصان، ذاهبين إلى كوخه المطل على جدول من الماء في الغابة من أجل لقاء غرامي يعطي للعاطفة والرومانسية معاني جديدة.

لماذا توجد هذه القصة بعمق في نفوسنا؟ تعرف كل بنت صغيرة الأسطورة من دون أن تُخبر بها، وتحلمُ أن يومًا ما سيأتي أميرها. ويتدرب الأولاد الصغار على دورهم باستخدام سيوف خشبية وتروس من الورق المقوى. ويومًا ما يدرك الولدُ، الذي هو شابٌّ الآن، أنه يريد أن يكون الفائز بالأميرة. الحكايات والأدبيات والموسيقا والأفلام كلها تستعير من هذه الفكرة الأسطورية. الجمال النائم، سيندريلا، هيلين، روميو وجولييت، أنطونيو وكليوباترا، آرثر وجينيفر، تريستان وإيزولده. بدءًا من القصص العتيقة إلى أحدث الأعمال ذائعة الصيت، تتسم فكرة الرجل القوي الآتي لإنقاذ امرأة جميلة بأنها فكرة عالمية متصلة بالطبيعة البشرية، فهي مكتوبة في قلوبنا، وهي واحدة من الرغبات الجوهرية لكل رجل ولكل امرأة.

التقيتُ «ستاسي» في المدرسة الثانوية، لكن لم تبدأ قصة حبنا حتى وقت متأخر في الجامعة، فحتى تلك النقطة كنا ببساطة صديقين. وحين كان أحدنا يرجع إلى البلدة في عطلة نهاية الأسبوع، كنا نتصل أحدنا بالآخر «لنخرج سويًا» – لنشاهد فيلمًا، أو نذهب إلى حفلة. ثم تغيَّر شيء ما في إحدى ليالي الصيف. مررتُ ببيت «ستاسي» لأراها، وجاءت إلى الطابق السفلي من منزلها وهي تسير بتؤدة وكانت حافية القدمين، ترتدي بنطالًا من الجينز الأزرق وبلوزة بيضاء برباط حول الياقة والأزرار العلوية للبلوزة مفتوحة. كانت الشمسُ قد أضاءت شعرها وبشرتها الداكنة، وأتعجب كيف لم ألحظ قبل ذلك أبدًا أنها هي الفتاة الجميلة؟ قبَّلنا أحدنا الآخر في تلك الليلة، وعلى الرغم من أني كنتُ قد قبَّلتُ بضع فتيات لكني لم أكن قد ذقتُ قبلة مثل تلك أبدًا. وبالطبع لا داعي لقول أني انتهيتُ، فقد تحولت صداقتنا إلى حبٍ من دون معرفتي حقًا كيف أو لماذا، أردتُ فقط أن أكون مع هذه المرأة لبقية حياتي. وبالنسبة لستاسي كنتُ أنا فارسها.

لماذا تساءلت بعد ذلك بعشر سنوات إن كنتُ حتى أريد أن أتزوجها فيما بعد؟ بدا الطلاق كاختيار لائق جدًا لكلينا. يستيقظ الكثير جدًا من الأزواج يومًا ما ليكتشفا أن حبهما انتهى. لماذا يتوه معظمنا في مكانٍ ما بين «كان ياما كان» و«عاشوا في تبات ونبات»؟ يبدو أن معظم قصص الحب تنتهي بأمسيات أمام التلفاز. لماذا يبدو الحلم متعذرًا جدًا، متلاشيًا من المشهد حتى وإن اكتشفناه بأنفسنا؟ لقد أصبحتْ ثقافتنا ساخرةً بشأن الأسطورة. يقول «دون هينلي»، «سممونا بهذه القصص الخيالية.»، وهناك العشرات من الكتب التي تدحض الأسطورة، كتب مثل ما وراء سندريلا (Beyond Cinderella)، وموت سندريلا (The Death of Cinderella).

لا، لم يسممونا بالقصص الخيالية وهذه القصص ليست مجرد «أساطير»، بل الأمر بعيد كل البعد عن ذلك. الحقيقة هي أننا لم نأخذ هذه القصة بعين الجد كما يجب. يقول «رولاند هاين»، «الأساطير قصص تواجهنا بأمر فائق وأزلي.» في حالة فتاتنا الجميلة، فاتَنا جانبان حيويان جدًا من تلك الأسطورة. فعلى الجانب الأول، ما من أحد منا صدَّق أبدًا أن الساحر حقيقي، فقد ظننا أن بإمكاننا الحصول على الفتاة من دون عراك. للأمانة، ظن معظمنا نحن الرجال أن معركتنا الكبرى هي طلب الخروج معها. وثانيًا، لم نفهم البرج وعلاقته بجرحها، فالآنسة في محنة. فإن كانت الذكورة قد تعرضت للإساءة، فالأنوثة

قد هوجمت بضراوة. حواء هي تاج الخليقة، أتذكر ذلك؟ فهي تجسِّدُ الجمال المتقن والغموض الغريب لله بطريقة مميزة لا يقاربها حتى أي شيء آخر في كل الخليقة، لذلك فهي الهدف الخاص للشرير، إذ يوجه ضدها أشرَّ خبثه، فإن استطاع تدميرها أو الاحتفاظ بها أسيرة، يمكنه أن يفسد القصة.

جرح حواء

تستطيع كل امرأة أن تخبرك بشأن جرحها، فقد أتت بعض الجراح بالعنف، وأتت جراح أخرى بالإهمال. وتمامًا مثلما يسأل كل ولد صغير سؤالًا واحدًا، تسأل كل بنت صغيرة أيضًا سؤالًا واحدًا، لكن سؤالها لا يتعلق كثيرًا بقوتها، لا، فالصرخة العميقة لقلب البنت الصغيرة هي **هل أنا رائعة؟** تحتاج كل امرأة إلى أن تعرف أنها رائعة وغريبة **ومختارة**، وهذا أساسي لهويتها، والطريقة التي تحمل بها صورة الله. **هل ستسعى نحوي؟ هل تبتهج بي؟ هل ستحارب من أجلي؟** ومثل كل ولد صغير، هي أيضًا جرحت، ويضرب الجرح مباشرة في لبِّ قلب جمالها تاركًا رسالة مدمرة معه: **لا، لستِ جميلة ولن يحارب حقًا من أجلك أي شخص.** وكجرحك أنت، يأتي جرحها دائمًا تقريبًا على يد أبيها.

تنظر البنت الصغيرة إلى أبيها لتعرف إن كانت رائعة، والقوة التي لديه ليسبب إعاقة أو بركة هي قوة في نفس الأهمية لها كما هي مهمة لابنه. إذا كان رجلًا عنيفًا فقد يشوهها لفظيًا أو جنسيًا. القصص التي سمعتُها من سيدات تعرضن للإساءات تمزق القلوب. اعتُدي على «جانيت» من قِبل أبيها حين كانت في الثالثة من عمرها، وحين كانت في السابعة تقريبًا بيَّن لإخوتها كيفية فعل الأمر، واستمرتِ الإساءة إلى أن انتقلت بعيدًا للدراسة. فماذا لامرأة منتَهَكة أن تفكر بشأن جمالها؟ هل أنا رائعة؟ الرسالة هي، **لا... أنتِ قذرة، فأي شيء جذاب بشأنك هو مظلم وشرير.** تستمر الإساءة بينما تكبر هي، بسبب رجال يتسمون بالعنف ورجال يتسمون بالسلبية. قد يلاحقها البعض، وقد يتجاهلها البعض، لكن في كلتا الحالتين قلبها منتَهَكٌ وتذهب الرسالة إلى عمق أبعد: **لستِ مرغوبة، لن تكوني محميَّة، ولن يحارب أي شخص من أجلك.** يُبنى البرجُ طوبة تلو الأخرى، وحين تكون امرأة ناضجة من الممكن أن يكون هذا البرج حصنًا.

إذا كان أبوها سلبيًّا، فستعاني البنت الصغيرة من الهجْر الصامت. تذكُر «ستاسي»

لعب الاستغماية في منزلها وهي في الخامسة أو السادسة من العمر، وكانت تجد مكانًا مثاليًا للزحف والاختباء هناك وهي ممتلئة من التوقع الحماسي للمطاردة القادمة. بينما كانت تختبئ في دولاب كانت تنتظر أن يجدها شخص ما، ولم يحدث ذلك أبدًا، ولا حتى بعد أن كانت غائبة لمدة ساعة كاملة. وأصبحت تلك الصورة هي الصورة المحدِّدة لحياتها، فما من أحد لاحظ، وما من أحد سعى ليجدها. ولأنها كانت الصغرى في أسرتها بدت وكأنها تتوه في زحام الأسرة. كان أبوها يسافر كثيرًا، وحين كان في المنزل كان يقضي معظم وقته أمام التلفاز. وكان أخوها وأختها الكبرى أسباب مشاكل في فترة مراهقتهما، ففهمتْ «ستاسي» الرسالة، «فقط لا تكوني السبب في مشكلة، فلدينا الكثير من المشاكل للتعامل معها.» لذا فخبَّأتْ أكثر – خبَّأت رغباتها، وخبَّأت أحلامها، وخبَّأت قلبها. وفي بعض المرات كانت تتظاهر بالمرض فقط من أجل أن تحصل على نقطة أو نقطتين من الاهتمام.

ومثل الكثير جدًا من الشابات غير المحبوبات، تحوَّلت «ستاسي» إلى الأولاد لتحاول أن تسمع ما لم تسمعه قط من أبيها. رفيقها في المدرسة الثانوية خانها في ليلة حفلة التخرج، وقال لها أنه كان يستخدمها للاستفادة منها فقط وأنه كان يحب أخرى. والرجل الذي كانت تواعده في الجامعة أصبح يسيء إليها لفظيًا، ولكن حين لا تسمع امرأةٌ قط أنها تستحق المحاربة من أجلها، تأتي إلى تصديق أن ذلك هو نوع المعاملة التي تستحقها هي. وهو نوع من الاهتمام، بشكل ملتوٍ، فربما يكون ذلك أفضل من لا شيء. ثمَّ وقعنا في الحب في تلك الليلة الساحرة من الصيف، لكن «ستاسي» تزوجتْ رجلًا خائفًا ذا دافعية قوية كان على علاقة بعمله إذ لم يكن ليخاطر بالارتباط بامرأة يرى أنه ليس بكافٍ لها. لم أكن قاسيًا، ولم أكن شريرًا، كنتُ لطيفًا، ودعني أقول لك إن الرجل المتردد هو آخر شيء في العالم تحتاج إليه المرأة، فهي تحتاج إلى عاشقٍ ومحاربٍ، لا إلى رجل لطيف حقًا. وتحقَّق أسوأ مخاوفها – لن أُحَبَّ حقًا أبدًا، ولن يحارَب من أجلي أبدًا. لذا اختبأتْ أكثر.

بعد مرور سنوات من زواجنا وجدتُ نفسي مصدومًا من الأمر برمته، فأين الأميرة التي رأيتها يومًا ما؟ ماذا حدث للمرأة التي وقعتُ في حبها؟ لم أكن حقًا متوقعًا إجابة على سؤالي، إذ كان الأمر صرخة غضب أكثر من كونه نداءَ يائسٍ، لكن يسوع أجابني على أي حال، **لا تزال موجودة، لكنها أسيرة، هل أنت**

مستعد للذهاب وراءها؟ أدركتُ أني – مثل الكثير جدًا من الرجال – قد تزوجتُ من أجل الأمان، تزوجتُ امرأة ظننتُ أنها لن تتحداني كرجل أبدًا، و«ستاسي» كانت تعبدني فما الذي احتجت لعمله أكثر؟ أردت أن أظهر بمظهر الفارس، لكني لم أرد أن أنزف مثل فارس. كنتُ مخطئًا بشأن الأمر برمته، فلم أكن أعلم بشأن البرج أو التنين أو لأجل ماذا كنت قويًا. المشكلة الأولى بين الرجال وزوجاتهم هي أننا نحن الرجال حين يُطلب منا أن نحارب حقًا من أجلها... نتردَّد. لا نزال نسعى لننقذ أنفسنا، وقد نسينا المتعة العميقة لسكب حياتنا من أجل آخر.

تقديم قوتنا

ثلاثة عجيبة فوقي،
وأربعة لا أعرفها:
طريق نسر في السماوات،
وطريق حية على صخر،
وطريق سفينة في قلب البحر،
وطريق رجل بفتاة (أمثال ٣٠: ١٨ – ١٩)

وهنا نجد أن أجور ابن متقية مسا يشير إلى أمر هام، فهناك أمر أسطوري في طريق رجلٍ بامرأة، إذ تقدم دوافعنا الجنسية مثالًا للعمق المدهش حين يتعلق الأمر بالذكورة والأنوثة، فالرجل يأتي ليقدم قوته وتدعو المرأةُ الرجل إلى داخلها، وهو عملٌ يتطلب الشجاعة والمجازفة ونكران الذات لكليهما. لاحظ أولًا أنه إن لم يرتفع الرجلُ إلى مستوى الحدث فلن يحدث أي شيء. إذ عليه أن يتحرك، وينبغي لقوته أن تنتفخ قبل أن يمكنه الدخول إلى زوجته، لكن لن يتحقق الحبُّ أيضًا إن لم تفتح المرأةُ نفسها في قابلية مذهلة للتعرُّض، وحين يعيش الاثنان كما قُصد لهما أن يعيشا، يأتي الرجلُ إلى زوجته ويقدم لها قوته، **ويسكب نفسه هناك**، فيها، ولها، وهي تجذبه إلى داخلها وتحتضنه غامرة إياه. وحين ينتهي الكلُّ يكون منهَك القوى، لكن ياه، يا له من موت عذْب.

هكذا تُخلَق الحياة، إذ يُثير جمالُ المرأةِ الرجلَ ليلعب دور الرجل، وتسمح قوةُ الرجل، المقدَّمة برقة إلى امرأته، تسمح لها بأن تكون جميلة، إذ تجلب حياةً

لها ولكثيرين. هذا الأمر بعيدٌ، أبعد بكثير عن الجنس ورعشة الجماع، فالأمر حقيقة تمتد إلى كل جانب من حياتنا. حين يُمسك الرجل بنفسه عن امرأته، يتركها بدون الحياة التي يستطيع هو وحده أن يجلبها، ويظهر هذا في أجلى صوره حين يقدم الرجل – أو لا يقدم – كلماته. الموت والحياة هما في سلطان اللسان كما يقول سفر الأمثال (١٨ : ٢١)، فهي مصنوعةٌ من أجل كلماتٍ منه وتحنُّ إليها. ذهبتُ للتو إلى الدور العلوي في منزلنا لأحصل على كوب ماء من المطبخ، وكانت «ستاسي» هناك تخبز بسكويت الكريسماس. كان المكان في حالة فوضى، وللأمانة كانت ستاسي أيضًا، فقد كانت مغطاة بالدقيق مرتدية شبشبًا قديمًا، لكن كان هناك شيء ما في عينها، شيء ناعم ورقيق. قلتُ لها، «تبدين جميلة»، فذهب الشدُّ من كتفيها، ولمع أمرٌ ما في روحها، وتنهَّدتْ وابتسمتْ قائلة «أشكرك» في شبه خجلٍ.

إذا رفض الرجل أن يقدم نفسه، فستظل زوجته فارغة وقاحلة. يدمرُ الرجلُ العنيف بكلماته، ويجوِّعُ الرجل الصامتُ زوجته. «إنها تذبلُ» قالها لي صديقٌ وهو يتحدث عن عروسه الجديدة، فقلتُ: «إذا كانت تذبلُ، إذن أنت ممسكٌ عنها شيئًا». في الحقيقة كانت عدة أشياء – كلماته، لمسته، لكن في المقام الأول **بهجته**. هناك الكثير جدًا من الطرق الأخرى التي يحدث بها هذا في الحياة، فالرجل الذي ترك زوجته مع الأطفال والفواتير ليذهب ويجد حياة أخرى أسهل قد تنكَّر من قوته من ناحيتهم. قد ضحى بهم في حين أنه كان عليه أن يضحي بقوته **من أجلهم**. ما يجعل «ماكسيموس» أو «ويليام والاس» بهذه البطولة هو ببساطة الآتي: أنهما مستعدان للموت ليطلقا آخرين أحرارًا.

هذا النوع من البطولة هو ما نراه في حياة يوسف، زوج مريم، زوج أم يسوع المسيح. لا أعتقد أننا قد قدَّرنا ما فعله من أجلهما حق التقدير. فها مريم، شابة مخطوبة، تقريبًا فتاة صغيرة، يُكتَشَف أنها حبلى والقصة قصة لا تُصدق: «أنا حبلى بابن الله». فضيحة! فماذا ليوسف أن يظن؟ ماذا له أن يشعر؟ مجروحًا، ومرتبكًا، ومخدوعًا لا شك. لكنه رجلٌ صالح، فلن يجعلها تُرجم، بل ببساطة سيختار «تخليتها سرًا» (متى ١ : ١٩).

يأتي إليه ملاكٌ في حلم (الأمر الذي يرينا ما يتطلبه الأمر في بعض المرات لجعل رجل صالح يفعل الأمر الصائب) ليقنعه أن مريم تقول الحقيقة وأن عليه

أن يستمر في أمر الزواج. سيكلِّفه هذا الأمر، فهل تعرف ما سيتحمله إن تزوج من امرأة يظن المجتمع بأكمله أنها زانية؟ سيتجنبه شركاؤه في العمل ومعظم عملائه، وبالتأكيد سيخسر منصبه في المجتمع بل وربما مكانه في المجمع. لترى الألم المُعدَّ له لاحظ الإهانة التي يستخدمها الحشود لاحقًا ضد يسوع: «أليس هذا هو ابن مريم ويوسف؟» يقولونها في سخرية مع الغمز واللمز، فبكلمات أخرى، نعرفُ من أنت – طفلٌ غير شرعي من تلك الداعرة ونجَّارها المغفَّل. سيتكلف يوسف الكثير والكثير بسبب هذا التصرف، فهل يمتنع؟ لا، يقدم لمريم قوته، يخطو مباشرة بينها وبين كل تلك الفوضى ويقبل الأمر بشجاعة وبطولة. ينفقُ نفسه من أجلها.

«فيُدعون أشجار البر» (إشعياء ٦١ : ٣). هناك، تحت ظل قوة الرجل تجد المرأةُ الراحة. تأخذ رحلةُ الذكورة الرجلَ بعيدًا عن المرأة **لكي يمكنه أن يرجع إليها**. يذهب ليجد قوته، ويعود ليقدمها، وبكلماته وأفعاله يهدم جدران البرج الذي أبقاها تحت السيطرة، يتكلم إلى أعمق سؤال في قلبها بألف طريقة وطريقة، **نعم، أنتِ رائعة، نعم، هناك من سيحارب من أجلك**. لكن بسبب أن معظم الرجال لم يحاربوا المعركة بعد، لا تزال معظم النساء في البرج.

استغلالها

يريد معظم الرجال الفتاةَ بدون أي نوع من التكلفة من جانبهم، فيريدون كل أفراح الجميلة دون أي من ويلات المعركة، وهذه هي الطبيعة الشريرة للإباحية – الاستمتاع بالمرأة على حسابها هي. الإباحية هي ما يحدث حين يصرُّ رجلٌ أن يُشحذ من قِبَل امرأة، **فيستخدمها** ليحصل على الشعور برجولته. هذه قوة زائفة كما قلتُ لأنها تعتمد على مصدر خارجي بدلًا من أن تنبثق من أعماقه، من داخله. وهي نموذج مثاليٌّ للأنانية، فهو يقدم لا شيء ويأخذ كل شيء. يُقدَّم إلينا التحذير بشأن هذا النوع من الرجال في قصة يهوذا وثامار، القصة التي إن لم تكن في الكتاب المقدس لكنتَ تظن أني استعرتُها مباشرة من مسلسل تليفزيوني.

يهوذا هو الابن الرابع المولود ليعقوب، وربما تذكر أنه هو من أتى بفكرة بيْع أخيه يوسف عبدًا، وليهوذا نفسه ثلاثة أبناء. حين يصبح أكبرهم رجلًا يجد له

يهوذا زوجة تُدعى ثامار، ولأسباب غير مشروحة لنا بالكامل يكون عمر زواجهما قصيرًا. «وكان عير بكرُ يهوذا شريرًا في عيني الرب، فأماته الرب» (تكوين ٣٨: ٧). يعطي يهوذا ابنَه الثاني إلى ثامار بحسب الناموس والعادة في ذلك الوقت. والآن، إنها مسؤولية أونان ليقيم نسلًا على اسم أخيه، لكنه يرفض عمل ذلك، فهو رجل متكبر وأناني ويغضِب الربَّ. «فأماته أيضًا» (٣٨: ١٠). ها قد بدأتم تفهمون الفكرة هنا: رجال أنانيون، نساء مظلومات، والربُّ غاضبٌ.

يبقى ليهوذا ابنٌ واحد – شيلة، والولدُ هو آخر قوته وليستْ لدى يهوذا أي نية لصرف هذه القوة بالنيابة عن ثامار، فيكذب على ثامار مخبرًا إياها أن ترجع إلى بيتها وأنه حين يكبر شيلة سيعطيه إياها زوجًا لها، لكنه لا يفعل ذلك، ويصعبُ تصديقُ ما يحدث بعد ذلك، خاصة باعتبار أن ثامار امرأة بارة. تتنكَّر كزانية وتجلس على جانب الطريق المعروف أن يهوذا يمر منه. يمارس الجنس معها (يستخدمها)، لكنه غير قادر على الدفْع، فتأخذ ثامار خاتمه وعصابته وعصاه كرهنٍ. لاحقًا، يُكتشَف أن ثامار حبلى، يمتلئ يهوذا بما يصر هو على أنه غضبٌ مبرَّر أخلاقيًا، ويأمر بأن تُحرَق حتى الموت. في اللحظة التي تُقدِّم فيها ثامار الدليلَ ضده: «حقِّق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه»، بالطبع يتسمر يهوذا في مكانه، إذ يتعرف عليهم جيدًا – يدرك ما قد صنعه طول الفترة، «هي أبرُّ مني، لأني لم أعطها لشيلة ابني» (٣٨: ٢٥ – ٢٦).

قصة تقدم حكمة عما يحدث حين يرفض الرجال في أنانيتهم أن يصرفوا قُوَّتهم بالنيابة عن المرأة. لكن نفس الأمر يحدث بشتى الطرق الأخرى. تتحمل النساء الجميلات هذه الإساءة طول الوقت، إذ يُسعى إليهن، لكن ليس حقًّا، فهن مطلوبات لكن فقط سطحيًّا، فيتعلمن تقديم أجسادهن لكن ليس نفوسهن أبدًا أبدًا. إذا لاحظتَ فستجد أن معظم الرجال يتزوجون من أجل الأمان، فيختار الرجل المرأة التي ستجعله يشعر برجولته، لكنها لن تتحداه أبدًا ليكون رجلًا. يصارعُ شابٌّ أكنُّ له الإعجاب ما بين المرأة التي يواعدها وأخرى كان يعرفها لكنه لم يستطع اغتنامها منذ أعوام مضت، المرأة التي يواعدها حاليًا، «ريتشيل»، تطلب منه الكثير، وللحقيقة يشعر هو أن الأمر فوق طاقته، أما المرأة التي لم يسعَ وراءها، «جولي»، فتبدو أكثر جمالًا وهدوءًا، وفي تخيله كانت شريكةً مثالية. الحياة مع «ريتشيل» صاخبة، أما الحياة مع «جولي» فتبدو هادئة وساكنة. قلتُ له: «أنت تريد الباهاماس» واستطردتُ: «وريتشيل هي المحيط الأطلسي الشمالي، أيهما

يتطلب رجلًا حقيقيًا؟» في منعطف رائع من الرواية يقلب الله علينا خطتنا للأمان، طالبًا منا أن نلعب دور الرجل.

لماذا لا يقدم الرجال ما لديهم لنسائهم؟ لأننا نعرف في أعماقنا أنه لن يكون كافيًا. هناك خواءٌ في حواء بعد السقوط، ومهما كان قدر ما تسكبه داخلها فلن تمتلئ، وهنا يخور الكثير جدًا من الرجال، فإما يرفضون إعطاء ما يستطيعون، أو يواصلون السكب والسكب داخلها ومع ذلك يشعرون بالفشل إذ لا تزال تحتاج إلى المزيد. «ثلاثة لا تشبع»، يحذرنا أجور ابن متقية مسا: «أربعة لا تقول: 'كفا': الهاوية، والرحم العقيم، وأرض لا تشبع ماء، والنار لا تقول: 'كفا'» (أمثال ٣٠: ١٥ – ١٦)، عُقم حواء لا يمكنك أبدًا أن تأْمَلَ في إشباعه، فهي تحتاج إلى الله أكثر مما تحتاج إليك، تمامًا مثلما تحتاج أنت إليه أكثر مما تحتاج إليها.

فماذا تفعل؟ قدِّم ما لديك. «أخشى ألا ينجح الأمر»، قالها لي عميلٌ حين اقترحتُ أن يتحرك راجعًا نحو زوجته، واعترف: «يئِستُ من قدومي لنجدتها، وذلك أمر جيد» فقلتُ له: «لا، ليس أمرًا جيدًا»، واستطردتُ: «ذلك أمر بشع». كان في اتجاهه إلى تجمُّع عائلي في الشرق واقترحتُ أن يحضر زوجته معه، جاعلًا من الأمر إجازة لكليهما. «عليك أن تتحرك نحوها»، فسألني: «ماذا لو لم ينجح الأمر؟» يسأل الكثير جدًا من الرجال نفس السؤال. ينجح في ماذا؟ في إعطائك شرعية كرجل؟ في بعْث قلبها إلى الحياة في يوم واحد؟ هل ترى الآن أنه لا يمكنك أن تُحضر سؤالك إلى حواء؟ مهما كنتَ رجلًا صالحًا فلن يمكنك أن تكون كافيًا أبدًا، وإن كانت هي بمثابة التقرير المدرسي عن قوتك فسينتهي بك الأمر حاصلًا على درجة 'راسب'، لكن ذلك ليس سبب حبك لها – لكي تحصل على تقدير جيد، بل تحبها لأن هذا ما قد صُممتَ أنت لتفعله، هذا ما يفعله الرجل الحقيقي.

حواء إلى آدم

يقول صديقي «جان» إن المرأة التي تحيا بحسب التصميم الحقيقي الذي صُممتْ عليه ستكون «شُجاعة، وهشة، ومُخزية». ذلك أبعد بكثير عن «سيدات الكنيسة» اللاتي نعتبرهن نماذج للأنوثة المسيحية. تلك النساء المنشغلات والمتعَبات والجامدات اللاتي قد اختزلن قلوبهن إلى بضع رغبات معتدلة، ويتظاهرن بأن

كل شيء على ما يرام. قارن أنوثتهن بتلك الأنوثة الخاصة بالنساء المذكورة أسماؤهن في سلسلة نسب يسوع. يذكر متى في قائمة كلها تقريبًا رجال، يذكر هؤلاء النساء: ثامار وراحاب وراعوث و«التي لأوريا» (١ : ٣، ٥ – ٦)، (ومريم في عدد ١٦). كون بتشبع مذكورة من دون ذكر اسمها يخبرنا بخيبة أمل الله فيها، وببهجته باللاتي يجعل منهن استثناءً بذكرهن بأسمائهن في مجموعة كلها من الذكور. ثامار وراحاب وراعوث... توقف هنا! فسيفتح هذا لك مجالًا جديدًا من «الأنوثة الكتابية».

نعرف الآن عن ثامار. راحاب هي في قائمة «أبطال الإيمان» في الرسالة إلى العبرانيين ١١ بسبب ارتكابها للخيانة. نعم، هذا صحيح – لقد خبَّأتِ الجواسيس الذين كانوا قد جاؤوا لاستكشاف أريحا قبل المعركة. لم أسمع قط بمجموعة نساء يدرسْن ثامار أو راحاب، لكن ماذا عن راعوث؟ تُعتَبَر في الغالب نموذجًا في حلقات الدراسة والمؤتمرات للسيدات – لكن ليس بنفس الطريقة التي يعتبرها الله. فسفر راعوث مُكرَّس لسؤال واحد: كيف تساعد امرأة صالحة رجلها ليلعب دور الرجل؟ الإجابة: تُلهمه، إذ تستخدم كل ما لديها كامرأة لتستحثه ليكون رجلًا. راعوث، كما تذكرون، هي كنة امرأة من يهوذا تُدعى نُعمي، وقد فقدت كلتاهما زوجها وكانتا في حالة صعبة جدًا، فلم يكن لهما رجلٌ يرعاهما وكانت حالتهما المالية تحت خط الفقر، وكانتا معرضتين للخطر بطرق أخرى كثيرة. تبدأ الأمور في التحسن حين تجذب راعوث انتباه رجل أعزب ثري اسمه بوعز. نعلم أن بوعز هذا رجل صالح، فيقدم لها بعض الحماية وبعض الطعام، لكن بوعز لا يعطي لراعوث ما تحتاجه حقًّا – خاتمًا.

إذن ماذا تفعل راعوث؟ «تلهمه». ها هو المشهد: كان الرجال يعملون منذ الفجر وحتى الغسق ليحضروا حصاد الشعير، وكانوا قد انتهوا من ذلك والآن وقت الحفل. تأخذ راعوث حمَّامها، وترتدي فستانًا مبهرًا، ثم تنتظر من أجل اللحظة المناسبة. تأتي تلك اللحظة في وقت متأخر من المساء بعد أن قد انتهى بوعز من الاحتفال: «فأكل بوعز وشرب وطاب قلبه ودخل ليضطجع في طرف العرمة. فدخلت سرًا وكشفت ناحية رجليه واضطجعت.» (راعوث ٣ : ٧). لاحظ العبارة الرقيقة «طاب قلبه»، وتصفها ترجمة (King James) بأن «كان قلبه مبتهجًا»، كنتيجة للخمر في الحفل.

لا توجد قراءة لهذه الفقرة يمكن أن نصفها بأنها قراءة «آمنة» أو «لطيفة». نعم، هناك البعض ممن سيحاولون أن يخبروك بأن الأمر معتاد تمامًا لامرأة جميلة عزباء «في تلك الثقافة» أن تقترب من رجل أعزب (كان قد شرب الكثير من الخمر) في وسط الليل من دون وجود أي شخص آخر هناك (في طرف العرمة) وتغطي نفسها تحت الأغطية. هم نفس الناس الذين سيخبرونك أن نشيد سليمان ما هو إلا «استعارة لاهوتية تشير إلى المسيح وعروسه، الكنيسة». اسألهم ماذا يفعلون بفقرات مثل «قامتُكِ هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد. قلتُ: 'إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها'» (نشيد الأنشاد ٧: ٧ - ٨). يشير ذلك إلى دراسة الكتاب المقدس، أليس كذلك؟!

لا، لا أظن أن راعوث وبوعز مارسا الجنس في تلك الليلة، ولا أظن أنه قد حدث أيُّ شيء غير ملائم على الإطلاق، لكنها أيضًا ليست فترة شركة. أخبركم أن الكنيسة قد أعاقت النساء حين تخبرهن أن جمالهن عبثٌ وأنهن في أفضل حالات أنوثتهن حين «يخدمن آخرين». تكون المرأة في أفضل حالاتها حين تكون امرأة. يحتاج بوعز إلى بعض المساعدة ليستمر، ولدى راعوث بعض الخيارات، فيمكنها مضايقته باستمرار: **كل ما تفعله هو العمل... العمل... العمل، لماذا لا تنهض هكذا وتكون رجلاً؟**، ويمكنها الولولة بشأن الأمر: **يا بوعز، من فضلك أسرع وتزوجني**، ويمكنها سلب رجولته: **كنتُ أظن أنك رجلٌ بحق، أعتقد أني كنتُ على خطأ**. كما يمكنها استخدام كل ما هي عليه كامرأة لتجعله يستخدم كل ما لديه كرجل. يمكنها حثُّه، إلهامه، تنشيطه... جذب اهتمامه. اسألي رجلك ماذا يفضل هو.

إنها معركة

هل ستحارب من أجلها؟ ذلك هو السؤال الذي سألني إياه يسوعُ منذ سنوات كثيرة، مباشرة قبل عيد زواجنا العاشر، في الوقت ذاته حين كنت أتساءل ماذا حدث للمرأة التي تزوجتُها. **أنت على الحياد يا جون**، قالها لي، واستطرد **إما تدخل أو تخرج**. كنتُ أعرف ما كان يقوله - توقَّف عن كونك رجلًا لطيفًا وتصرَّف كمحارب، العب دور الرجل. أحضرتُ لها الزهور وأخذتها للعشاء وبدأتُ في التحرُّك نحوها ثانيةً في قلبي، لكني كنتُ أعرف أن هناك المزيد. في تلك

الليلة قبل أن نذهب إلى الفراش، صلَّيتُ من أجل «ستاسي» بطريقة لم أصلِّ لها بها من قبل. بصوت مسموع، وأمام كل الجند السماوي، أخذتُ خطوة واقفًا بينها وبين قوى الظلام التي كانت تأتي ضدها. للأمانة، لم أكن أعلم ما كنت أفعله، فقط كنت أعلم أني في احتياج إلى محاربة التنين. وفجأة بدأ الهرج والمرج، فقد بدأ في تلك الليلة كلُّ ما تعلمناه عن الحرب الروحية. أتعلمون ماذا حدث؟ تحرَّرتْ «ستاسي»، حيث انهار برجُ اكتئابها حين بدأتُ في المحاربة من أجلها بحق.

والأمر ليس فقط مرة واحدة، لكنه يحدث مرارًا وتكرارًا، وهنا تحيِّرُنا الأسطورة حقًّا، فبعض الرجال على استعداد ليدخلوا مرة واحدة، مرتين، بل حتى ثلاث مرات، لكن المحارب منخرطٌ في هذا إلى الأبد. يسأل «أوزوالد تشيمبرز» قائلًا: «سكَبَ اللهُ حياة ابنه لكي يُنقِذ العالمُ، فهل نحن مستعدون لسكب حياتنا؟». «دانيال» في وسط معركة صعبة جدًا وغير واعدة من أجل زوجته، فقد مرت سنوات من دون تقدم كبير ومن دون الكثير من الأمل، وبينما جلسنا في مطعم في إحدى الأمسيات والدموع في عينيه، هذا ما قاله لي: «لستُ ذاهبًا إلى أي مكان، فهذا هو مكاني في المعركة، هذا هو التل الذي سأموت فوقه.» وصل إلى نقطة ينبغي لجميعنا الوصول إليها، إن آجلًا أو عاجلًا، حين لا يتعلق الأمر بالفوز أو الخسارة. فزوجته قد تستجيب وقد لا تستجيب، لكن ذلك لم يعد الأمر المهم، فالسؤال ببساطة هو: أي نوع من الرجال تريد أنت أن تكونه؟ ماكسيموس؟ والاس؟ أم يهوذا؟ كتب طيَّارٌ شاب في سلاح الجو الملكي مباشرة قبل سقوطه في ١٩٤٠: «الكون شاسع جدًا ولا يبدو أنه يشيخ لدرجة أن حياة رجل واحد يمكن أن تثبتَ أهليتها فقط عن طريق مقدار تضحيته».

بينما أكتب هذا الفصل، عدتُ أنا و«ستاسي» للتو من فرح صديق لنا، وقد كان ذلك أفضل عُرسٍ ذهب إليه أي منا، فقد كان رائعًا ورومانسيًا ومقدسًا. كان العريس شابًا قويًا شجاعًا وكانت العروس جميلة جمالًا فاتنًا. وهذا ما جعل الأمر مُعذِّبًا لي، ياه! لو أني أبدأ من جديد، لو أني أبدأ من جديد لكن بالطريقة الصحيحة، لو أني أتزوج وأنا شاب صغير لكن بالمعرفة التي لديَّ الآن. كان من الممكن لي أن أحب «ستاسي» أفضل كثيرًا، وكان من الممكن أن تحبني هي أفضل كثيرًا أيضًا. لقد تعلمنا كل درس بصعوبة على مدار سنواتنا الثماني عشرة، فأي حكمة مُضمَّنة في هذه الصفحات قد دُفِع فيها ثمنٌ... ثمنٌ غالٍ.

وفوق ذلك كنتُ أنا و«ستاسي» في مكان صعب في عطلة نهاية الأسبوع، وكان ذلك حول النار في المخيم، ورأى الشيطان فرصته وحول المخيم إلى نيران **من دون حتى كلمة واحدة بيننا**، وبوصولنا إلى حفل الاستقبال في العرس لم أكن أريد أن أرقص معها، بل لم أرِد أن أكون في نفس الغرفة، إذ قد بدت كل جراح السنين وخيبة الأمل – لديها ولديَّ – هي الأمر الوحيد الحقيقي بشأن زواجنا.

كان ذلك إلى أن سمعتُ لاحقًا جزء السيناريو من وجهة نظر «ستاسي»، لكن ها هي الكيفية التي يلتقي فيها الاثنان معًا: ستاسي: **يشعر بخيبة الأمل فيَّ، شيء متوقَّع، انظر إلى كل هذه النساء الجميلات، أشعر أني بدينة وقبيحة.** أنا: **أشعر بالإعياء من الصراع من أجل زواجنا، كم أود لو كنا نستطيع أن نبدأ الأمر من البداية، لن يكون الأمر بهذه الصعوبة إن فعلنا ذلك. هناك اختياراتٌ أخرى، انظر إلى كل هذه النساء الجميلات.** استمر الأمر هكذا، مثل موجة تغمر الشاطئ. وبينما كنتُ أجلس على الطاولة مع مجموعة من الأصدقاء شعرتُ أني على وشك الاختناق، فاضطررتُ إلى الخروج من هناك للحصول على بعض الهواء النقي. وللحقيقة، حين غادرتُ صالة استقبال العرس لم تكن لديَّ أي نية للرجوع، فإما ينتهي بي الأمر في حانةٍ ما أو عائدًا إلى غرفتنا لمشاهدة التلفاز. لحُسن الحظ وجدتُ مكتبة صغيرة بجانب صالة الاستقبال، وبينما كنتُ وحدي في ذلك الملاذ صارعتُ مع كل ما كنتُ أشعر به لمدة بدت وكأنها ساعة كاملة. (ربما كانت عشرين دقيقة)، أمسكتُ بكتاب لكني لم أستطع القراءة، وحاولتُ أن أصلي لكني لم أرِد ذلك، وفي النهاية بدأتْ بعض الكلمات في الظهور من قلبي:

> **يا يسوع، تعالَ وأنقذني. أعرف ماذا يحدث، وأعرف أنها هجمةٌ، لكن الأمر كله يبدو الآن حقيقيًا تمامًا. يا يسوع، خلِّصني. أخرِجني من تحت هذا الشلال، تكلَّم إليَّ، وأنقِذ قلبي قبل أن أفعل شيئًا غبيًا. خلصني، يا رب.**

ببطء، وبشكل تدريجي، بدأتِ الموجة في الانقشاع، وهدأتْ أفكاري ومشاعري إلى أن أصبحت أكثر طبيعية، وبدأ الجلاءُ في الرجوع. كان المخيم مجرد مخيم من جديد. **يا يسوع، أنت تعلم الألم وخيبة الأمل في قلبي، فماذا تقترح عليَّ أن أفعل؟** (لم تعد الحانة اختيارًا، لكني لم أزل أخطط للذهاب مباشرة إلى غرفتي لأقضي باقي الأمسية.) **أريدك أن تعود إلى هناك وتطلب من زوجتك الرقص معك.** كنتُ أعرف أنه على حق، كنتُ أعرف في أعماقي أن هذا ما يريد قلبي

الحقيقي أن يفعله، لكن الرغبة لم تزل تبدو بعيدة جدًا. تريَّثتُ لخمس دقائق أخرى، آملًا أن يكون لديه اختيارٌ آخر لي، لكنه ظل صامتًا، أما الهجمة فولت والنيران المشتعلة أصبحت مجرد جمرات. مرةً أخرى عرفتُ أي رجل أريد أن أكونه.

ذهبتُ راجعًا إلى صالة الاستقبال وطلبتُ من ستاسي الرقص معًا، وللساعتين التاليتين استمتعنا بواحدة من أفضل الأمسيات التي قضيناها منذ وقت طويل. كنا على وشك الخسارة أمام الشرير، لكن بدلًا من ذلك ستستمرُّ هذه الذكرى التي سنشاركها مع أصدقائنا لوقت طويل جدًا.

خاتمة

أعطتني «ستاسي» عددًا من الهدايا الرائعة على مدار السنين، لكن الكريسماس الماضي لا يُنسى. كنا قد انتهينا من فقرة الهجمات المجنونة التي يسميها الأولاد فتْح الهدايا، وانسلَّتْ «ستاسي» خارجةً من الغرفة قائلةً: «أغلِق عينيك... لديَّ مفاجأة لك.» وبعد الكثير من الحفيف والهمسات أخبرتني أن بإمكاني النظر. كان أمامي صندوق طويل مستطيل الشكل موضوع على أرض غرفة العائلة. قالت لي: «افتحه»، فنزعتُ الشريط ورفعتُ الغطاء. كان في الداخل كلايمور كامل الحجم، سيفٌ إسكوتلندي عريض النصل يشبه تمامًا السيف الذي استخدمه ويليام والاس. كنتُ أبحث عن سيف مثله لبضعة شهور، لكن ستاسي لم تكن تعرف ذلك، ولم يكن على قائمة هدايا الكريسماس التي كنتُ أريدها، لكنها فعلت ذلك بسبب رؤية قلبها كوسيلة لشُكري على المحاربة من أجلها.

وهذا ما كتبته على بطاقة الهدية:

> لأنك القلب الشجاع، الذي يحارب من أجل قلوب الكثير جدًا من الناس... وبخاصة من أجل قلبي أنا. بفضلك، أعرفُ الآن حريةً لم أكن أظن أبدًا أنها ممكنة. أتمنى لك كريسماس سعيدًا.



الفصل الحادي عشر

مغامرة تعاش

قد نكون في ظلام وبرد،
لكن هذا ليس بعد شتاء،
فها البؤس المثلج للقرون،
ينكسر، يتصدَّع، ويبدأ في الحركة،
والرعد هو رعد الجليد الطافي،
الذوبان، الطوفان، النبّع الربيعي المنبثق،
الشكرُ لله أن وقتنا هو الآن حين يأتي الخطأ
ليواجهنا في كل مكان،
ولا يتركنا أبدًا إلى أن نأخذ أوسع خطوة للنفس
أخذها بشر على الإطلاق.

–كريستوفر فراي

المكانُ الذي يدعوك اللهُ إليه، هو المكان الذي تلتقي فيه بهجتك العميقة مع جوع العالم العميق.

–فريدريك بويشنر

هناك نهرٌ يمتد عبر جنوب أوريجون، جاريًا من منطقة الشلالات إلى الساحل. امتد هذا النهر أيضًا عبّر طفولتي، ناحتًا طريقًا في جغرافيا ذاكرتي. كصبي صغير قضيتُ الكثير من أيام الصيف على نهر «الروج» أو «الشقي»، وقد كنتُ أتصيد وأسبح وألتقط العليق، لكن في المقام الأول أتصيد. كنتُ أحب اسم النهر الذي أطلقه عليه الصيادون الفرنسيون، النهر الوغد، فقد منح ذلك الاسم برَكةً شقية لمغامراتي هناك - فقط كنتُ شقيًّا على النهر الشقي. تلك الأيام الذهبية لصباي هي ضمن أكثر الذكريات التي أعتز بها، لذلك ففي الصيف الماضي أخذتُ «ستاسي» والأولاد هناك، لأشارك معهم نهرًا وموسمًا من حياتي. يجري الجزء السفلي من النهر «الشقي» عبّر بعض المناطق الريفية الجافة ذات الحرارة العالية في الشهور الصيفية، خاصة في أواخر شهر يوليو، وكنا متطلعين إلى التجديف كعُذر لكي نبتل حقًّا ونجد القليل من المغامرة.

هناك صخرة تبرزُ فوق ذلك النهر في مكان ما بين «موريسونز لودج» و«فوستر بار»، حيث يضيق الوادي هناك ويتعمق نهر الروج ويتوقَّف للحظة في اندفاعه إلى البحر. تظهر الجدران الصخرية العالية على كلا الجانبين، وعلى ناحية الشمال - وهو الجانب الذي يمكن الوصول إليه فقط بالقوارب - هناك صخرة القفز. القفز من على الجرف هو أحد الأشياء المفضلة لدى أسرتنا، خاصة حين يكون الجو ساخنًا وجافًا والقفزة عالية بحيث تحبس الأنفاس إذ تغطس تحت المياه الأكثر دفئًا على السطح، إلى حيث الظلام والبرودة، البرودة التي ترسلك لاهثًا عائدًا نحو السطح والشمس. توجد صخرة القفز فوق النهر على حوالي ارتفاع منزل من طابقين وأكثر، وهو الارتفاع الكافي لأن تقوم ببطء بالعد من واحد إلى خمسة قبل أن ترتطم بالماء (مقارنةً بالعد من واحد إلى اثنين من نقطة النط العالية في حمام السباحة العادي). هناك قدرة عقلية بشرية تجعل كل جرف يبدو وكأنه ضعف ارتفاعه حين تنظر إلى أسفل من القمة، ويقول كلُّ شيء فيك، **لا تفكر في الأمر**.

ولذلك لا تفكر في الأمر، بل ترمي بنفسك إلى منتصف الوادي الضيق، ثم تسقط سقوطًا حرًا لزمن يبدو وكأنه كافٍ لتسميع خطاب جيتسبيرج الطويل، وكل حواسك منتبهة أقصى انتباه بينما تندفع بسرعة نحو الماء البارد. حين تصعد ثانيةً تجد الحشود تهتف مبتهجة وشيئًا ما فيك أيضًا يهتف مبتهجًا لأنك **فعلتها**. قفزنا كلنا في ذلك اليوم، أنا أولًا، ثم «ستاسي» و«بلين» و«سام» وحتى «لوك». ثم كان هناك رجلٌ ضخم كان سيتراجع بمجرد أن رأى كيف كان المنظر من أعلى، لكنه اُضطر للقفز لأن «لوك» قد فعلها ولم يقدر هذا الرجل أن يعيش مع معرفته بأنه فشل بينما ألقى ولدٌ في السادسة من عمره بنفسه. بعد تلك القفزة الأولى ينبغي لك أن تفعلها ثانيةً، جزئيًا لأنك لا تستطيع تصديق أنك فعلتها، وجزئيًا لأن الخوف قد أفسح الطريق للإثارة التي في هذه الحرية، فلنستدفئ في الشمس ثانية وبعدها... ننطلق!

أريد أن أحيا حياتي كلها بهذه الطريقة، أريد أن أحب بإقدام أكثر وأن أتوقف عن انتظار الآخرين ليحبوني أولًا. أريد أن ألقي بنفسي إلى العمل الخلاق اللائق بالله. أريد أن أنقض في المعركة في «بانوكبيرن»، وأن أتبع بطرس بينما يتبع المسيحَ على البحر، وأن أصلي من قِبل **الرغبة** الحقيقية لقلبي. قال الشاعر «جورج تشابمان»:

> أعطني روحًا تحبُّ في البحر القاسي لهذه
> الحياة
> أن تمتلئ أشرعتها بالريح الشديدة
> لدرجة أن يرتعش صاريها، وتتصدع زانتها،
> وأن تميل سفينتها السابحة، على جانبها لدرجة
> منخفضة جدًا
> حتى تشرب ماءً، وترتفع في الهواء عارضتها.

ليست الحياة مسألة لتُحل، بل مغامرة لتعاش. تلك طبيعتها وقد كانت على هذا النحو منذ البداية حين أعد اللهُ المسرح الخطِر من أجل هذه الدراما العالية المخاطر، ودعا المشروع الوحشي بأكمله **جيدًا**، فقد جهز العالم بحيث يعمل فقط حين نتبنى **المخاطرة** باعتبارها فكرة حياتنا، الأمر الذي يعني أنه يعمل فقط حين نحيا بالإيمان. لن يكون الرجل سعيدًا إلى أن تكون لديه مغامرة في

عمله، في حبه، وفي حياته الروحية.

طرْح السؤال الصحيح

منذ بضع سنوات كنت أقلب صفحات مقدمة أحد الكتب حين صادفتُ جملة غيرتْ حياتي، فالله يتعامل معنا بشكل شخصي حميمي ويتحدث إلينا بطرق غريبة على قلوبنا الملتوية – ليس فقط من خلال الكتاب المقدس، لكن من خلال كلِّ الخليقة. يتحدث إلى «ستاسي» عبْر الأفلام، ولكريج يتحدث عبر «الروك آند رول» (وقد اتصل بي يومًا ما بعد استماعه إلى (Running Through the Jungle) ليقول لي عن حماسه ليذهب لدراسة الكتاب المقدس). تأتي إلي كلمة الله بطرق كثيرة – من خلال غروب الشمس والأصدقاء والأفلام والموسيقى والصحراء والكتب، لكن لديه شيء ما يتسم بالفكاهة بشكل خاص يتعلق بي أنا والكتب، فبينما أقلِّب نظري عبْر الكتب في مكتبة لبيع الكتب المستعملة أجد كتابًا من وسط ألف مجلد يقول: «اخترني أنا» – تمامًا مثلما حدث مع «أغسطينوس» في كتاباته (Confessions)، (Tolle lege) بمعنى خذ واقرأ. مِثْلَ كبير صيادين، ألقى اللهُ بطُعمه إلى هذه السمكة المبحرة. في مقدمة الكتاب الذي تفاعلتُ معه في هذا اليوم، يشارك المؤلف «جيل بيلي» نصيحةً كانت قد قُدمت إليه قبلها بسنوات من مدرب روحي «هاوارد ثيرمان»:

> لا تسأل نفسك ماذا يحتاج العالمُ، بل اسأل نفسك ماذا يجعلك مفعمًا بالحياة، واذهب افعل ذلك، لأن ما يحتاج إليه العالم هو أناسٌ مفعمون بالحياة.

لم أستطع النطق! كما لو أن الأمر كان حمار بلعام، ففجأة ظهرت حياتي حتى تلك النقطة بصورة كريهة، فقد أدركتُ أني كنت أحيا بحسب سيناريو مكتوب لي من قِبل شخص آخر. فقد كنتُ على مدار حياتي كلها أسأل العالم ليخبرني ماذا أفعل بنفسي، وهذا مختلف عن السعي إلى المشورة أو النصح، فما أردتُه كان التحرر من المسئولية وخاصةً التحرر من المخاطرة. كنتُ أريد أن يخبرني شخصٌ آخر مَن أكون، وأشكر الله أن الأمر لم ينجح، فببساطة لم أستطع أن

أجعل نفسي ألعب أدوار السيناريوهات التي سلمت لي لفترة طويلة. مثل سلاح شاول، لم تكن تلك السيناريوهات بالمقاس المناسب لي. هل من الممكن لعالم من المتصنعين أن يخبرك بعمل أي شيء سوى أن تتصنع؟ يقول «بويشنر» إننا في خطر مستمر من أن نكون لا فاعلين في دراما حياتنا بل ممارسين لردة الفعل، «أن نذهب حيث يأخذنا العالم، وأن ننجرف مع أي تيار يصادف أن يجري أقوى من تيارات أخرى». بينما كنتُ أقرأ المشورة التي قدمها «ثيرمان» إلى «بيلي» كنتُ أعرف أن الله يتكلم إليَّ، فقد كانت دعوةً أن أخرج من أور. وضعتُ المجلد جانبًا دون أن أقلب صفحة أخرى وخرجتُ من تلك المكتبة لأجد حياةً تستحق العيْش.

قدمتُ للدراسات العليا وقُبلتُ، وسيتضح لاحقًا أن ذلك البرنامج كان أكثر بكثير من مجرد خطوة في المسار الوظيفي، فمن خلال التحول الذي حدث هناك أصبحتُ كاتبًا ومشيرًا ومتحدثًا، وتغير مسار حياتي بأكمله ومعه تغيرت حياة الكثيرين والكثيرين من الناس، لكني كنتُ على وشك ألا أذهب. فحين قدمتُ للدراسة لم يكن معى قرشٌ واحد لأدفع الرسوم، وكنتُ متزوجًا ولدينا ثلاثة أطفال ورهن عقاري للبيت، وذلك هو الموسم حيث يهجر معظم الرجال أحلامهم كليةً ويتراجعون عن القفز من أعلى أي شيء، إذ تبدو المخاطرة عظيمة جدًا. فوق كل ذلك، تلقيتُ مكالمة نحو ذلك الوقت من مؤسسة في «واشنطون» عارضين عليَّ وظيفة محترمة براتب لا يُصدق. كنتُ سأعمل في شركة ذات هيبة، وسأتحرك في بعض الدوائر القوية جدًا، وسأجني مالًا كثيرًا. كان الله يغلظ الخطة، مختبرًا تصميمي. فعلى طريقٍ كان هناك حلمي ورغبتي ولم يكن لديَّ أي طريقة لتسديد التكلفة وكان المستقبل غامضًا كليًا بعد ذلك، وعلى الطريق الآخر كانت هناك خطوة مريحة تعلو بي على سلم النجاح، خطوة تالية واضحة تمامًا في مساري الوظيفي مع الفقدان التام لنفسي.

ذهبتُ إلى الجبال لأقضي عطلة نهاية الأسبوع لأعيد ترتيب الأمور، حيث تكون الحياة أكثر منطقية بينما تقف بمفردك أمام بحيرة على ارتفاع شاهق مع صنارة صيد في يدك. بدت مخالب العالم وذاتي المزيفة وكأنهما يفسحان الطريق بينما كنتُ أتسلق نحو برية (Holy Cross Wilderness)، وفي اليوم الثاني بدأ اللهُ في التكلُّم، **يا جون، يمكنك أن تأخذ تلك الوظيفة أن أردتَ، فهي ليست خطية، لكنها ستقتلك وأنت تعرف ذلك.** إنه محقٌّ، فقد كان مكتوبًا على

كل مـا يختـص بتلـك الوظيفـة 'ذات مزيفـة' . **إن أردتَ أن تتبعني، فأنا متجهٌ إلى ذلك الطريق.** كنـتُ أعـرف بالضبـط مـا يعنيـه – «ذلـك الطريـق» يتَّجـه نحـو البريـة، الحـدود . فـي الأسـبوع التالـي جاءت ثـلاث مكالمـات هاتفيـة فـي تتابـع مذهـل، كانـت الأولـى مـن المؤسسـة فـي واشـنطون، وأخبرتُهـم أنـي لسـتُ الرجـل المناسـب لهـم وأن يتصلـوا بشـخص آخـر، وبمجـرد أن أغلقـتُ الهاتـف كانـت ذاتـي المزيفـة تصـرخ، **مـاذا تفعـل**؟! دقَّ جـرس الهاتـف ثانيـة فـي اليـوم التالـي، كانـت زوجتـي تخبرنـي أن الجامعـة قـد اتصلـت وهـم يريـدون معرفـة أيـن الدفعـة الأولـى مـن رسـوم الدراسـة . وفـي اليـوم الثالـث جـاءت مكالمـة مـن صديـق قديـم كان يصلـي مـن أجلـي ومـن أجـل قـراري، «نعتقـد أن عليـك أن تذهـب إلـى الدراسـة، ونريـد أن ندفـع التكلفـة».

تشعَّب طريقان في غابةٍ، أما أنا،
فقد أخذتُ الطريق الأقل استخدامًا،
وقد صنع ذلك كلَّ الفرق.

ماذا تنتظر؟

أيـن سـنكون اليـوم إن كان إبراهيـم قـد حسـب جيـدًا الإيجابيـات والسـلبيات لدعـوة اللـه وقـرَّر أن مـن الأفضـل لـه التمسُّـك بالمزايـا العلاجيـة وإجـازة الأسـابيع الثلاثـة مدفوعـة الأجـر وخطـة التقاعـد فـي أور؟ مـاذا كان سـيحدث لـو اسـتمع موسـى إلـى نصيحـة أمـه أن «لا تلعـب أبـدًا بأعـواد الثقـاب» وعـاش حيـاة حـذرة محترسـة مبتعـدًا عـن كل العليقـات المشـتعلة؟ مـا كنـا لنسـمع بالبشـارة إن كان بولـس قـد خلُـص إلـى أن الحيـاة كفريسـي، علـى الرغـم مـن أنهـا ليسـت كل مـا يحلـم بـه رجـلٌ، كانـت علـى الأقـل متوقَّعـة وبالتأكيـد أكثـر اسـتقرارًا مـن اتِّبـاع صـوتٍ سـمعه فـي طريـق دمشـق. فعلـى أي حـال يسـمع النـاسُ أصواتًـا طـوال الوقـت، ومَـن يعلـم حقًّـا إن كان الصـوت صـوت اللـه أو مجـرد تخيـلات مـن الشـخص نفسـه. أيـن سـنكون إن لـم يكـن يسـوع قويًّـا للغايـة ومخاطـرًا لأقصـى درجـة وعاطفيًـا حتـى النخـاع؟ فكِّـر فـي الأمـر. لمـا **كنـا** علـى الإطـلاق إن لـم يأخـذ اللـهُ تلـك المخاطـرة الهائلـة لِخَلْقنـا فـي المقـام الأول.

يصـرف معظـم الرجـال طاقـة حياتهـم محاوليـن إزالـة الخطـر أو تقليلـه ليكـون فـي حجـم يمكـن التحكـم فيـه، فيسـمع أطفالُهـم كلمـة «لا» أكثـر بكثيـر مـن سـماعهم لكلمـة

«نعم»، ويشعر موظّفوهم بأنهم مقيَّدون وتشعر زوجاتهم بأنهن مكتوفات الأيدي أيضًا. إن نجح الأمر، إن نجح الرجل في تأمين حياته ضد كل خطر، فسينتهي به الأمر في شرنقة من حماية الذات وسيتعجب طول الوقت لماذا يشعر بالاختناق. إن لم ينجح الأمر، يكون تعيسًا ويعيد من مضاعفة جهوده وضغط دمه أيضًا. حين تنظر إلى بنية الذات المزيفة التي يميل الرجال لخلقها، فستجد أنها دائمًا ما تدور حول فكرتين: الاستيلاء على جدارة ما، ورفْض أي شيء لا يمكن التحكم فيه. يقول «دافيد وايت»: «ثمن حيويتنا هو مجموع كل مخاوفنا.»

يعاقب اللهُ قايين بحياة من التجوُّل القلِق لأنه قتل أخاه. وبعد ذلك بخمس آيات يبني قايين مدينةً (تكوين ٤: ١٢، ١٧). ذلك النوع من الإصرار – رفْض الوثوق بالله والسعي نحو السيطرة – هو إصرار عميق في كل رجل. يتكلم «وايت» بشأن الفارق ما بين رغبة الذات المزيفة «أن تملك القدرة **على** الاختبار، للتحكم في كل الأحداث والتبعات، وأمنية النفس في امتلاك القدرة **عبْر** الاختبار، **أيًا كان ذلك**.» فأنت تضحي حرفيًا بنفسك وبقدرتك الحقيقية حين تصر على التحكم في الأشياء، مثل الرجل الذي تحدث عنه يسوع، الرجل الذي ظن أنه أخيرًا نجح نجاحًا هائلًا، فبنى لنفسه مخازن جميلة، ومات في نفس الليلة. «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مرقس ٨: ٣٦). من الممكن، بالمناسبة، أن تخسر نفسك من قبل أن تموت بفترة طويلة.

كان لدى عالم الأحياء الكندي «فارلي موات» حلم دراسة الذئاب في موطنها الأصلي، هناك في براري ألاسكا، وكتاب (Never Cry Wolf) مبني على تلك الرحلة البحثية الوحيدة. وفي نسخة الفيلم تظهر شخصية «موات» في صورة عاشق للكتب اسمه «تايلر» ولم يكن قد ذهب لمخيم في حياته أبدًا، فيؤجر طيارًا عجوزًا من ألاسكا اسمه «روزي ليتل» ليأخذه وكل معداته إلى وادي «بلاكستون» البعيد في منتصف الشتاء. وخلال طيرانهما في طيارة «ليتل» ذات المحرك الواحد فوق بعض من أجمل وأخطر وأقسى البراري في العالم، يتطفَّل «ليتل» على «تايلر» من أجل سر مهمته:

ليتل: أخبرني يا تايلر... ماذا في وادي
بلاكستون؟ ماذا؟ منجنيز؟ (صمت) هل من
الممكن أن يكون هناك نفط، أو ذهب؟

تايلر: الأمر يصعبُ الإخبار به إلى حد ما.

ليتل: أنت رجل ذكي يا تايلر... تحتفظ بخططك
لنفسك. كلنا باحثون هنا، أليس كذلك يا تايلر؟
نحفر من أجل ذلك... ذلك الشقِّ في الأرض...
وبعدها لن نحتاج إلى الحفر ثانية أبدًا.
(بعد صمت)
سأطلعك على سر صغير يا تايلر، الذهب ليس
في الأرض، الذهب ليس في أي مكان هنا،
الذهب الحقيقي جالسٌ في غرف المعيشة،
بمواجهة شاشة التلفاز، ومُضجرٌ بملل رهيب يا
تايلر.

فجأة يسعلُ محركُ الطائرة بضع مرات، ويطقطق ويلهث... ثم ببساطة يتوقف، والصوت الوحيد هو صوت الريح على الجناحين.

ليتل: (متأوِّهًا) يا للهول.

تايلر: (مذعورًا) ماذا يحدث؟

ليتل: خُذ عصا القيادة.

يسلِّم «ليتل» التحكم في الطائرة العاطبة إلى «تايلر» (الذي لم يقد طائرة في حياته من قبل) ويبدأ في تفتيش محموم في صندوق قديم للأدوات بين المقاعد، وإذ هو غير قادر على إيجاد ما كان يبحث عنه ينفجر «ليتل»، وبينما يصرخ، يفرِغ صندوق الأدوات في الطائرة كلها، ثم يتوقف بشكل مفاجئ، ويفرك وجهه بهدوء بيديه.

تايلر: (لا يزال مذعورًا ويحاول قيادة الطائرة)
ما المشكلة؟

ليتل: الملل يا تايلر، الملل... هذه هي المشكلة.
كيف تهزم الملل يا تايلر؟ المغامرة، المغامرة يا
تايلر!

بعد ذلك يركلُ «ليتل» باب الطائرة ليفتحه وتقريبًا يختفي في الخارج، ويضرب بعنف على شيء ما – ربما خط وقود متجمد، ويعود المحرك للعمل وهما على وشك الطيران نحو جانب من الجبل والاصطدام به. يجذبُ «ليتل» العصا ساحبًا إياهما نحو صعود حاد، بالكاد متفادين قمة الجبل ثم متحررين إلى وادٍ طويل مهيب تحتهما.

قد يكون «روزي ليتل» مجنونًا، لكنه أيضًا عبقريًا، فهو يعرف السر إلى قلب الرجل، دواء مرضه. الكثير جدًا من الرجال يهجرون أحلامهم لأنهم ليسوا مستعدين للمخاطرة أو يخشون أنهم ليسوا على القدر المطلوب للتحدي أو لأنهم لا يُخبَرون أبدًا أن تلك الرغبات العميقة في قلبهم هي رغبات **صالحة**. لكن نفس الرجل، التي هي الذهب الحقيقي الذي يشير إليه «ليتل»، ليست مصنوعة للتحكُّم في الأمور، بل مصنوعة من أجل المغامرة. فهناك أمر ما داخلنا يتذكر، مهما كان بشكل ضعيف، أن الله حين وضع الإنسان على الأرض أعطاه مهمة لا تُصدق – ميثاقًا ليستكشف ويبني ويقهر ويهتم بكل الخليقة. فقد كانت صفحة بيضاء في انتظار أن يُكتب عليها، لوحة فارغة في انتظار أن تُرسم. بالمناسبة يا سيدي، لم يسحب اللهُ ذلك الميثاق أبدًا، فهو لا يزال موجودًا، في انتظار أن يضع الرجلُ يده عليه.

إذا كان لديك الإذن لتعمل ما تريد حقًّا أن تعمله، فماذا تعمل؟ لا تسأل **كيف**، إذ سيصيب هذا رغبتك بالعجز. **كيف** ليس هو السؤال الصحيح أبدًا، فـ«**كيف**» سؤال خالٍ من الإيمان، إذ يعني «ما لم أستطع رؤية طريقي بوضوح فلن أصدق الأمر، ولن أتقدم إلى الأمام.» حين أخبر الملاكُ زكريا أن زوجته العجوز ستحبل منه بابن يُدعى يوحنا، سأل زكريا كيف وأصيب بالبكم بسببه. **كيف** هو دور الله، فهو يسألك **ماذا**، ماذا مكتوبٌ في قلبك؟ ما الذي يجعلك مفعمًا بالحياة؟ إن كان باستطاعتك عمل ما أردتَ دائمًا عمله، فماذا سيكون هذا؟ لاحظ أن دعوة الرجل مكتوبةٌ على قلبه الحقيقي، ويكتشفها حين يدخل تخوم رغباته العميقة. في إعادة لصياغة نصيحة «ثيرمان» «لجيل بيلي»، لا تسأل نفسك ماذا يحتاج إليه العالم، بل اسأل نفسك ما الذي يجعلك تُفعم بالحياة، لأن ما يحتاج إليه العالمُ هو **رجالٌ** مفعمون بالحياة.

ينبغي أن أقول إن الدعوة في المكتبة قد قُدمتْ إليَّ بعد مرور بعض السنوات

في حياتي المسيحية حين كان التحوُّل في شخصيتي عند نقطة ما بحيث كان بإمكاني سماع الدعوة دون أن أجري بعيدًا وأعمل شيئًا غبيًا. لقد التقيتُ رجالًا استخدموا نصائح مثل تلك كإذن لترْك زوجاتهم والهروب مع سكرتيراتهم. هم **مخدوعون** بشأن ما هم مصنوعون من أجله. فهناك تصميمٌ قد نسجه الله في نسيج هذا العالم، وإن انتهكناه فلن يمكننا أن نأمل في أن نجد الحياة. ولأن قلوبنا قد زاغت بعيدًا جدًا عن البيت أعطانا الله الشريعة كنوع من الدرابزين ليساعدنا على العودة من شفا الكارثة، لكن هدف التلمذة المسيحية هو القلب المتبدِّل، إذ ننتقل من صبي يحتاج إلى القانون إلى الرجل الذي يستطيع العيْش بروح القانون. «نصيحتي هي: عيشوا بحرية، متحركين ومدفوعين بروح الله، عندئذ لن تغذوا دوافع الأنانية... تعجز الشريعة عن تحقيق ذلك، إذ تعطل الأمر فقط.» (غلاطية ٥: ١٦، ٢٣ ترجمة عربية لترجمة الكتاب المقدس The Message).

تصبح حياة الرجل مغامرةً ويأخذ الموضوع كلُه هدفًا فائقًا حين يُطلق السيطرة في مقابل استرجاع الأحلام في قلبه. في بعض الأحيان تكون تلك الأحلام مدفونة في الأعماق ويتطلب الأمر بعض الحفْر للوصول إليها. نولي رغباتنا اهتمامًا، وفي بعض الأحيان تكون مفاتيح اللغز في ماضينا، في تلك اللحظات حين كنا نجد أنفسنا عاشقين لما نعمله. تتغير التفاصيل والظروف مع نمونا، لكن الأفكار الرئيسية تظل كما هي. كان «ديل» زعيم الثورة في منطقته السكنية حين كان صبيًا، وفي الجامعة كان كابتن فريق التنس، ما جعله مفعمًا بالحياة وهو يقود رجالًا. أما بالنسبة «لتشارلز» فكان الفن عشقه، إذ كان دائمًا يرسم وهو طفل، وفي المدرسة الثانوية كان أكثر شيء يحبه هو فصل صناعة الخزف، وقد تخلى عن فن الرسم بعد الجامعة وأخيرًا انتعش مجددًا حين عاد إليه في سن الحادي والخمسين.

ليستعيد رغبة قلبه، يحتاج الرجل إلى الذهاب بعيدًا عن الضوضاء وملاهي حياته اليومية ليقضي وقتًا مع نفسه. يحتاج إلى التوجُّه إلى البرية، إلى الصمت والعزلة. عن طريق كونه بمفرده، يسمح لأي شيء موجود أن يظهر على السطح. في بعض المرات يكون ذلك نوحًا بسبب الكثير جدًا من الوقت الضائع، وهناك، تحت النوح، رغبات قد هُجرت لوقت طويل. بعض المرات يبدأ الأمر حتى بالتجربة، حين يظن الرجل أن ما سيجعله مفعمًا بالحياة حقًا هو أمر غير

مقدس، وعند تلك النقطة عليه أن يسأل نفسه: «ما الرغبة **تحت** هذه الرغبة؟ ما الذي أريده وأظن أني سأجده هناك؟» أيًّا كانت الطريقة التي تظهر بها الرغبة إلى السطح، نلتقط ذلك الخيط حين نسمح لصرخة أن تعلو من أعماق نفسنا، صرخة، كما يقول «وايت»: «لنوع ما من الشجاعة المنسية، العصيَّة على السمع، ولا تطلب المزيد، بل حياة أخرى.»

تفحَّصتُ الرخام المنحوت من أجلي
مرات عديدة،
قاربًا بشراع ملفوف مستقرًا في الميناء.
لا يمثِّل في الحقيقة مكان الوصول
بل حياتي.
إذ قد قُدم إلى الحبُ، وانكمشتُ من خيبة أمله.
قرع الأسفُ بابي، لكني خفتُ:
دعاني الطموح، لكني رهبتُ الفُرص.
ومع كل ذلك كنتُ جائعًا من أجل بعض المعنى
في حياتي
والآن أعرف أن علينا أن نرفع الشراع
وأن نلحق برياح المصير
أيًّا كان المكان الذي ستقود إليه الرياحُ القارب.
وضْع المعنى في حياة الشخص قد ينتهي
بالجنون،
لكن الحياة من دون المعنى عذابٌ
من الأرق والرغبة المبهمة -
هي قارب يتوق إلى البحر لكنه خائف.
«إدجار لي ماسترز»

نحو المجهول

«لا يمكن أن تُصنع الحياة الروحية في ضواحي وسط المدينة المزدحمة»، قالها «هوارد ماسي» واستطرد: «هي دائمًا على الحدود ونحن من يعيشون فيها ينبغي أن نقبل، بل أيضًا نتهلل بأنها تظل جامحة وبرية.» إن أعظم عقبة في طريق

إدراك أحلامنا هي كراهية الذات المزيفة للغموض، وتلك مشكلة، لأنك ستلاحظ أن **الغموض ضروريٌ للمغامرة**. الأكثر من ذلك، الغموض هو قلب الكون والله الذي صنعه. أهم نواحي عالم أي رجل – علاقته مع إلهه ومع الناس في حياته، دعوته والمعارك الروحية التي سيواجهها – كل واحدة منها مشحونة بالغموض، لكن ذلك ليس بالأمر السيئ، بل هو جزء مبهج وثري من الحقيقة وهو ضروريٌ من أجل عطش نفوسنا إلى المغامرة. يقول «أوزوالد تشيمبرز»:

> بطبيعة الحال، نميل إلى أن نحسب الأمور ونكون حذرين لدرجة أننا ننظر إلى الغموض باعتباره أمرًا سيئًا... اليقين هو علامة الحياة المتسمة بالمنطق السليم، الشك المليء بالنعمة هو علامة الحياة الروحية. أن يكون يقيننا بالله يعني أننا غير متيقنين في كل طرقنا، فلا نعلم ما قد يجلبه يومٌ ما. يُقال هذا عامةً مع تنهُّدٍ من الحزن، مع أنه يجب أن يكون تعبيرًا عن التوقُّع الذي يحبس الأنفاس. (My Utmost for His Highest)

لا توجد وصفات مع الله، لا أكثر ولا أقل، لذا فلا توجد وصفات للرجل الذي يتبعه. الله شخصٌ، لا عقيدة. لا يعملُ الله مثل منظومة – ولا حتى منظومة لاهوتية – بل يعمل بكل الأصالة الخاصة بشخص حر وحي حقًا. «إن مملكة الله خطرة» يقول المطران «أنتوني بلوم» ويستطرد: «ينبغي لك أن تدخل إليها غير ساعٍ فقط للمعلومات عنها.» انظر إلى يشوع ومعركة أريحا. إن بني إسرائيل منتظِمون ليضربوا أول ضربة عسكرية لهم نحو أرض الميعاد، وهناك الكثير من الأمور العالقة في تلك اللحظة – الروح المعنوية للقوات، ثقتهم في يشوع، فضلًا عن سمعتهم التي ستسبقهم إلى كل عدو آخر ينتظرهم. هذا يومٌ حاسم لهم، وستنتشر الأنباء حولهم. كيف يُحضر اللهُ الأمر كله إلى بداية جيدة؟ يجعلهم يطوفون حول المدينة ضاربين أبواقهم لمدة أسبوع، وفي اليوم السابع يجعلهم يفعلون الأمر سبع مرات ثم يهتفون هتافًا عظيمًا. ينجح الأمر بشكل مدهش، بالطبع. ألا تلاحظ أيضًا أن هذا الأمر لا يحدث ثانيةً أبدًا؟ لا يستخدم بنو إسرائيل ذلك التكتيك ثانية.

وهناك جدعون وجيشه المختَزَل من اثنين وثلاثين ألفًا إلى ثلاثمئة. ما خطتهم للهجوم؟ مصابيح وجِرار، وينجح أيضًا الأمر بشكل رائع وأيضًا لا يحدث ثانيةً أبدًا. أتتذكرون شفاء يسوع للعميان – لا يفعل الأمر أبدًا بنفس الطريقة مرتين.

آملُ أن تكون الصورة واضحة الآن، لأن الكنيسة قد اقتيدت حقًّا من قِبل العالم في هذا الصدد. كَرِه العصرُ الحديث الغموضَ، فأردنا بشكل ماس وسيلة للتحكم في حياتنا، ويبدو أننا وجدنا ذروة برج بابل في الطريقة العلمية. لا تسئ فهمي – فقد أعطانا العلمُ الكثير من التقدُّم في التعقيم والطب ووسائل النقل، لكننا قد حاولنا استخدام تلك الطرق لترويض جموح التخوم الروحية، إذ نأخذ آخر طرق التسويق وأحدث طرق الهوس بإدارة الأعمال ونطبقها على الخدمة. مشكلة هوس المسيحية المعاصرة بالمبادئ هي-أنها تنزع أي محادثة حقيقية مع الله، اعمل على إيجاد المبدأ، طبِّق المبدأ – لماذا تحتاج إلى الله؟ لذا يحذرنا «أوزوالد تشيمبرز»: «لا تصنع أبدًا مبدأً من اختبارك أنت، بل دع الله ليكون أصيلًا مع أناس آخرين كما هو معك.»

الأصالة والإبداع ضروريان للشخصانية وللقوة الذكورية، إذ تبدأ المغامرة وتُطلَق قوتنا **الحقيقية** حين لا نعتمد بعد على الوصفات. الله هو شخصٌ مبدع للغاية ويريد لأبنائه أن يحيوا بتلك الطريقة أيضًا. هناك صورة عظيمة لذلك في (Raiders of the Lost Ark) من وسط كل الأماكن، وبالطبع إنديانا جونز هو بطل جريء يمكنه التعامل مع التاريخ العتيق والنساء الجميلات والمسدسات بسهولة، لكن الاختبار الحقيقي للرجل يأتي حين تكون كلُّ موارده قد أخفقت. لقد وجد أخيرًا الفُلك الشهير لكن الألمان قد سرقوه منه وحمَّلوه على شاحنة، وهم على وشك المغادرة بعيدًا مع أحلامه تحت حماية عسكرية نازية ثقيلة. جونز ورفيقاه يشاهدون بلا حول ولا قوة بينما ينساب النصرُ من بين أيديهم، لكن جونز لم ينته، لا أبدًا، فاللعبة قد بدأت. يقول لصديقيه:

جونز: عُودا إلى القاهرة، وأحضرا لنا وسيلة
نقل إلى إنكلترا... مركبًا، طائرة، أي شيء.
وقابلاني عند عُمر. استعدا لمجيئي، أنا ذاهبٌ
وراء تلك الشاحنة.

صلاح: كيف؟

جونز: لا أعلم... فأنا أفعل ذلك بينما تتوالى
الأحداث.

حين يتعلق الأمر بالحياة والحب، فالمطلوب هو استعدادٌ للقفز بكلتا قدميك وأن تكون مبدعًا بينما تتوالى الأحداث. ها هو واحد من الأمثلة الكثيرة: منذ بضع سنوات مضت عدتُ إلى المنزل من رحلة في فترة ما بعد الظهيرة يوم الأحد ووجدتُ الأولاد يلعبون في الخارج في الفناء الخارجي. كان يومًا باردًا من أيام نوفمبر، أبرد من أن يحتمل، لذا سألتهم ماذا يحدث. «ماما طردتنا». ولعلمي أنه يوجد في الغالب سبب وجيه حين تُبعدهم «ستاسي» فضغطتُ عليهم من أجل الاعتراف، لكنهم ظلوا على برائتهم، فتوجَّهتُ إلى الباب لأحصل على الجانب الآخر من القصة. «لو كنتُ مكانك لما دخلتُ إلى هناك يا بابا» كان هذا هو تحذير «سام» لي، «فهي في حالة مزاجية سيئة». كنتُ أعرف تمامًا ما كان يصفه، فقد كان باب البيتُ مغلقًا وفي الداخل كل شيء مظلمًا وهادئًا.

والآن، دعني أسأل الرجال الذين يقرأون هذا: ماذا كان كلُ ما في داخلي يخبرني أن أفعل؟ **اهرب، لا تفكر حتى في الدخول، ابقَ خارجًا**. أتعلم؟ كان من الممكن أن أبقى خارجًا وأن أبدو كأب عظيم، وأن ألعب مع أولادي، لكني مُضجر من كوني ذلك الرجل، فقد هربتُ لسنين طويلة، لقد لعبتُ دور الجبان مرات كثيرة جدًا حتى مللتُ من ذلك. فتحتُ الباب ودخلتُ وصعدت السلالم، وسرتُ إلى غرفة نومنا، وجلستُ على السرير، وسألتُ زوجتي السؤال الأكثر رعبًا الذي قد يسأله أي رجل لامرأته: «ماذا بكِ؟» بعد ذلك الأمر كله غامضٌ، فلا تريد المرأة أن «تُصلَح»، وبالتأكيد لا تريد أن تُعامَل باعتبارها مشكلة ينبغي حلُّها، لا تريد أن تُحَل، بل تريد أن **تُعرف**. الكاتب «مايك ماسون» محق للغاية حين يدعو الزواج «الجبهات البرية».

نفس الأمر صحيح فيما يتعلق بالمعارك الروحية التي نواجهها. بعد أن هبط الحلفاء في فرنسا صادفوا أمرًا لم يكن أحدٌ قد خطط له أو أعد الجنود للتعامل معه: السياجات، إذ كان يسيِّج حول كل حقل من البحر إلى «فيردون» حائطٌ من الأرض والشجيرات والأشجار. وكشفت الصور الجوية وجود السياجات لكن الحلفاء افترضوا أنها مثل تلك الموجودة عبّر إنكلترا، التي يبلغ ارتفاعها قدمين، أما السياجات النورماندية فكان يبلغ ارتفاعها عشرة أقدام وكانت منيعة، حصنًا حقيقيًا. إن استخدم الحلفاء المداخل الوحيدة إلى كل حقل لحصدتهم المدفعية الألمانية، وإن حاولوا قيادة دباباتهم فوقها لانكشفت بطون الدبابات في وجه الأسلحة المضادة للدبابات. كان عليهم أن يترجلوا. فابتدع الأمريكان

البسطاء كل أنواع البدع في مقدمات الدبابات ماركة «شيرمان»، الأمر الذي سمح لهم بإنشاء ثقوب للمتفجرات أو لاختراق السياجات مباشرةً. أعاد خبراء الميكانيكا من الولايات بناء الدبابات التالفة بين عشية وضحاها. قال نقيبٌ:

> بدأت أدرك أمرًا ما بشأن الجيش الأمريكي لم أكن قد ظننتُه ممكنًا من قبل. بالرغم من أنه صارمٌ وبيروقراطي تحت ظروف عسكرية، فحين يصل الجيش إلى الميدان، يتحرر وتتقدَّم المبادرة الفردية وتفعل ما يجب فعله وقتها. هذا النوع من المرونة كان واحدًا من نقاط القوة العظيمة للجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية. (Citizen Soldiers)

إن براعة الأمريكي هي التي فازت في الحرب. وها نحن هنا الآن – في وسط المعركة من دون التدريب الذي نحتاج إليه حقًا، وليس هناك الكثير من الرجال ليعلمونا كيف نتصرف، فسيكون لزامًا علينا أن نستكشف الكثير من ذلك بأنفسنا. نعرف كيف نحضر الكنيسة، ولقد تعلَّمنا ألا نسبَّ وألا نشرب الخمر وألا ندخن. عرفنا كيف نكون لطفاء، لكننا لم نعرف حقًا كيف نحارب، وسيكون لزامًا علينا أن نتعلم بينما تتوالى الأحداث. ذلك هو المكان الذي ستتبلور فيه قوتنا وتتعمَّق وتظهر. فلا يوجد موقف يكون فيه الرجل رجلًا أكثر من المواقف التي يتبنى فيها مغامرة تفوق تحكُّمه، أو حين يسير نحو معركة لا يثق من الفوز فيها. كتب «أنتونيو ماكادو»:

> يمتلك الرجال أربعة أشياء
> لا تفيد شيئًا في عرض البحر –
> الدفة، والمرساة، والمجداف،
> والخوف من الهبوط إلى أسفل.

من الوصفة إلى العلاقة

لا أقترحُ أن تكون الحياة المسيحية فوضوية أو أن الرجل الحقيقي هو شخص مستهترٌ بفظاعة، فالمتصنع الذي يبدد راتبه في مضمار السباق أو أجهزة القمار ليس رجلًا، بل مغفلًا. والكسول الذي يترك وظيفته ويجعل زوجته تذهب

إلى العمل لكي يبقى هو بلا عمل ليلعب الجولف، ظانًا أنه سيصل إلى جولة المحترفين هو «شرٌّ من غير المؤمن» (١تيموثاوس ٥ : ٨). ما **أقوله** هو أن ذاتنا المزيفة تتطلب وصفةً قبل أن يشترك، إذ يريد ضمانًا للنجاح، لكن يا سيدي، لن تحصل على أي ضمانٍ. لذا يأتي وقتٌ في حياة الرجل حين ينبغي له أن يهرب من كل ذلك ويتوجه نحو المجهول مع الله. هذا جزء حيوي من رحلتنا وإنْ ترددنا في قبول ذلك هنا، فستنتهي الرحلة.

قبل لحظة أعظم تجربة لآدم، لم يقدم الله أي خطة تفصيلية، ولم يعطِ أي وصفة للطريقة التي بها ينبغي له أن يتعامل مع الورطة بأكملها. لم يكن ذلك هجرًا، بل الطريقة التي **كرَّم** الله بها آدم. **أنت رجلٌ، لا تحتاج إليَّ لأمسك بيدك عبْر ذلك. لديك المطلوب.** لكن ما **قدمه** اللهُ بالفعل إلى آدم هو الصداقة، فلم يُترك وحده ليواجه الحياة، لكنه سار مع الله عند هبوب ريح النهار وهناك كانا يتكلمان بشأن الحب والزواج والإبداع. أي دروس تعلمها، والمغامرات التي كانت على وشك أن تحدث. هذا ما يقدمه اللهُ لنا أيضًا. يقول «تشيمبرز»:

> هنا تأتي دعوة الله المدهشة لحياتنا أيضًا. لا يمكن أن تُعلن دعوة الله أبدًا صراحةً، بل هي مفهومةٌ ضمنًا. تشبه دعوةُ الله دعوةَ البحر، فما من أحد يسمعها إلا مَن له طبيعة البحر داخله. لا يمكن أن يُعلن قطعًا ما تدعو إليه دعوةُ الله، **لأن دعوته هي أن نكون في صداقة معه** من أجل أهدافه الخاصة، والامتحان هو أن نصدق أن الله يعرف ما يريده.
> (My Utmost for His Highest)

الطريقة الوحيدة للعيْش في هذه المغامرة – بكل خطرها وعدم توقعها ومخاطرها الهائلة – هي في علاقة حميمة مستمرة مع الله. السيطرة التي نتوق إليها بشدة هي وهمٌ من الأفضل كثيرًا أن نتخلى عنه مقابل عرْض الله للرفقة، فننحي جانبًا الوصفات البالية لكي ندخل إلى صداقة بعيدة عن الرسميات. عرف إبراهيمُ هذا، وكذلك موسى أيضًا. اقرأ عبْر الأصحاحات الأولى من الخروج – فالسِفر مليء بالأخذ والعطاء ما بين موسى والله. «ثم قال الربُ لموسى»، «ثم قال موسى للرب» ويتصرف الاثنان باعتبار كلاهما يعرف الآخر، كأنهما حقًا حليفان حميمان. داود – رجل بحسب قلب الله – أيضًا سار وحارب وأحب طريقه على مدى حياة في علاقة حميمية في محادثاته مع الله.

> وسمع الفلسطينيون أنهم قد مسحوا داود ملكًا على إسرائيل، فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود. ولما سمع داود نزل إلى الحصن. وجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائيين. وسأل داود من الرب قائلًا: «أأصعد إلى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدي؟» فقال الرب لداود: «اصعد، لأني دفعًا أدفع الفلسطينيين ليدك». فجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك... ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا في وادي الرفائيين. فسأل داود من الرب، فقال: «لا تصعد، بل در من ورائهم، وهلم عليهم مقابل أشجار البكا، وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس أشجار البكا، حينئذ احترص، لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين.» ففعل داود كذلك كما أمره الرب، وضرب الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر.
> (صموئيل الثاني ٥: ١٧ — ٢٠، ٢٢ — ٢٥)

هنا مرة أخرى لا توجد وصفة جامدة لداود، إذ تتغيَّر بينما تتوالى الأحداث، اعتمادًا على مشورة الله. هذه هي الطريقة التي يحيا بها كل رفيق وكل صديق مقرب من الله. قال يسوع: «لا أعود أسميكم عبيدًا، لأن العبد لا يعلم ما يعملُ سيده، لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتُكم بكل ما سمعتُه من أبي.» (يوحنا ١٥: ١٥) يدعوك اللهُ حبيبَه، صديقه. يريد أن يتكلم إليك – شخصيًا، وكثيرًا. يكتب «دالاس ويلارد»: «الهدف الأعلى من الإرشاد الإلهي هو... علاقة تحادثية مع الله: ذلك النوع من العلاقة المناسب للأصدقاء ذوي الشخصيات الناضجة في مغامرة مشتركة.» ترتكز رحلتنا نحو الذكورة الأصيلة كلها حول تلك الأحاديث مع الله عند هبوب ريح النهار، حينها تُغيِّر أسئلةٌ بسيطة المتاعب إلى مغامرات، وتصبح أحداث حياتنا فرصًا للانضمام إلى عضوية فريق الرجال. «ماذا تعلمني هنا يا الله؟ ماذا تسألني أن أعمل... أو أن أترك؟ ما الذي تتحدث إليه في قلبي؟»

المزيد لأعلى والمزيد للداخل

أردتُ لسنين طويلة أن أتسلق واحدة من القمم العظيمة – «دينالي»، وربما بعد ذلك حتى «إيفرست». هناك شيء ما ينادي قلبي في كل مرة أرى صورة أو أقرأ تقريرًا عن محاولة أخرى. تطاردني جاذبية الأماكن البرية التي تركناها، لكن

هناك أيضًا الرغبة لتحدٍ يتطلب كل ما لديَّ. نعم، حتى الخطر، أو ربما خاصةً الخطر. يظن بعض الناس أني مجنونٌ، وأعرف أن ذلك الحلم قد لا يتحقق أبدًا في حياتي، لكن ذلك لا يحبطني، فهناك أمرٌ رمزيٌّ ما بشأن الرغبة ولا يمكنني التخلي عنه. هذا الأمر مصيريٌ جدًا لنا لنفهمه، فلدينا رغبات جوهرية في قلوبنا، لمن نحن ولما نحن، وهي تكاد تكون أسطورية في معناها، موقظةً فينا أمرًا يفوق حدودنا، أمرًا أبديًا، لكن من الممكن أن نكون مخطئين بشأن كيفية أن نعيش تلك الرغبات ونعبر عنها، فقد تختلف الطريقةُ التي يحقق اللهُ بها رغبةً أخرى عما أوقظ الرغبة فينا أولًا.

في السنة الماضية أو نحو ذلك اتخذتُ عددًا من القرارات غير المنطقية لولا أن كان هناك إلهٌ وأنني صديقه. تركتُ وظيفتي في الشركة وبدأت بمفردي، متعقبًا حلمًا كنتُ قد خشيته لفترة طويلة. لقد التقطتُ القطع المهشمة لرؤية فقدتُها حين مات أعز صديق وشريك لي «برينت» في حادثة تسلُّق. الأمر الذي يبدو الأكثر جنونًا على الإطلاق هو أني قد فتحتُ نفسي للصداقة مجددًا ولشركاء جدد، ونحن متوجهون إلى حيث توقفتُ أنا و«برينت». كانت المعركة شديدة، صعودًا شديد الميل آخذًا كل ما لديَّ. المخاطر التي ألعب بها الآن هائلة – ماليًا، بالتأكيد، لكن أكثر من ذلك روحيًا، وعلاقاتيًا. فالأمر يتطلب تركيزًا للجسد والنفس والروح لم أتحمله من قبل.

لعل الجزء الأصعب هو سوء التفاهم الذي أعيشه مع الآخرين يوميًا، مرات تعوي الرياح من حولي، ومرات أخرى أخشى أن أسقط. يومًا ما كنتُ أشعر أن لا طاقة لي على الإطلاق، وكأني أقطع طريقي عبّر الخطر المطلق، ومن قلبي بزغ سؤالٌ، **ما الذي نفعله يا الله؟**

قال، **نحن نتسلَّق إيفرست.**

الفصل الثاني عشر

كتابة الفصل التالي

لا فائدة من الحرية إن لم نمارسها باعتبارنا أشخاصًا نصنع اختياراتٍ... فهناك القليل جدًا من الأمور التي تضاهي في تشجيعها الإدراك أن الأمور من الممكن أن تكون مختلفة وأن لدينا دورًا في هذا الاختلاف.

—دانيال تايلور

أطِع الله في الأمر الذي يريه إياك، وسيتضح الأمر التالي فورًا. لن يكشف اللهُ أبدًا المزيد من الحق بشأن نفسه إلى أن تكون قد أطعت ما تعرفه بالفعل... يجلب هذا الفصلُ لذة الصداقة الحقيقية مع الله.

—أوزوالد تشيمبرز

فللوقت تركا الشِباك وتبعاه.

—متى ٤ : ٢٠

والآن أيها القارئ، حان دورُك لتكتب – لتبدأ بالمغامرة إلى الأمام مع الله. تذكَّر، لا تسأل نفسك ماذا يحتاج إليه العالمُ...

ما الحياة التي تريد أن تعيشها؟ ما الذي يدعوك إليه اللهُ عبْر رغبات قلبك العميقة وتحرُّك روحه فيك؟ هذا الفصل هو فصلُك أنت، وعليك أنت أن تكتبه.

خاتمة

ماذا بعد؟

لقد بدأتِ الرحلة.

وتم الانضمام إلى المعركة.

إليك بعض الكلمات قبل أن تجرفك المعركة. حكى يسوع قصة عن زارع وبذاره، وهي قصة حكيمة تمامًا. ها هو يقول إن واحدًا من بين كل أربعة ينجح في الأمر، أما الثلاثة الآخرون فيغلبهم العالم، أو جسدهم، أو الشرير. لكنك تعرف حقيقة ذلك. لقد سافرتُ لمسافات بعيدة مع رجال، ومعًا تعلمنا الكثير من الدروس الصعبة. نعم، رأيتُ الكثيرين يتداعون ويفشلون، لكني رأيتُ أيضًا الكثيرين ينهضون ويَغلبون. سأختصر بعض النصائح المهمة لكم يا من تريدون أن تكونوا شجعانًا، يا من تمثلون الرجل الواحد من بين كل أربعة:

أولًا، لا تتعجل الأمر التالي. الكنيسة مليئة بالبدع، والعالم يشبه سيركًا من الإلهاء، فأنت تعيش كأنك في فيلم (The Matrix)، تعيش في عالم في حالة حرب. لا تضع هذا الكتاب جانبًا بينما تقول في نفسك: «**كان كتابًا لطيفًا. ماذا سآكل في العشاء؟**» فرحلتك نحو الرجولة هي المهمة المركزية في حياتك، ويعتمد كلُّ أمر آخر على نجاحك فيها. لذا تمسك بهذا! فأسلوب الحياة الذي قد أرسيتُه هنا قد غيَّر حياة الآلاف من الرجال فعليًا، وسيخبرونك الآن أنه ما من شيء يضاهي الحرية والحياة اللتين يمكن الحصول عليهما. لكن ينبغي لك أن تختار الأمر، ينبغي أن تعقد نيتك على ذلك وإلا فسيلتهمك العالم وجسدك والشرير.

صلِّ الصلاة اليومية (في الملحق)، فستتجيك. لقد وجد رجالٌ أنه من المفيد تنزيل النسخة المسموعة المجانية من على موقعنا الإليكتروني (www.ransomedheart.com) ووضعها على مشغِّل ال(MP3) الخاص بهم أو الاستماع إليها في السيارة في طريقهم إلى العمل.

استخدم الدليل الميداني الذي كتبتُه لهذا الكتاب، وسيعطيك ذلك ما يوازي عامين من المشورة مقابل حوالي عشرة دولارات.

اقرأ أن يكون الله أبانا (Fathered by God) بعد هذا الكتاب، فقد كتبتُ ذلك الكتاب كتتمَّة للكتاب الذي تقرأه الآن، وهو يرسم المراحل الست للرحلة نحو الرجولة وكيف نجد الانضمام لفريق الله الذي نحتاج إليه جميعًا لكي نصبح رجالًا بالكامل، رجالًا أصحاء ومقدسين. رجولة قلب (Wild at Heart) هو سنة أولى رجولة، أما (Fathered by God) فيأخذك إلى مدى أبعد بكثير على الطريق.

جمِّع بعض الرجال معًا، إذ تحتاج إلى إخوة، وحلفاء، لا مجموعة من الرجال اللطفاء – بل فرقة من الرجال الخطرين جدًا. استخدموا سلسلة الفيديو (Wild at Heart: Band of Brothers) أو (Fathered by God) معًا – فستطلقكم نحو مستوى من الصداقة الحميمة لا يجده معظم الرجال أبدًا.

والآن، إذا كنت متزوجًا، فهناك أمران: أعطِ زوجتك (Captivating) لتقرأه (ذلك الكتاب هو النسخة الأنثوية من هذا الكتاب). فكلما استعادت كينونتها كامرأة، سيكون الأمر أفضل لكليكما. ثم يجب عليكما أن تقرآ (Love and War)، الذي كتبته بالاشتراك مع «ستاسي» عن الزواج من وجهة النظر هذه. كتابٌ جيد فعلًا.

انضم إلى الثورة، اسعَ نحو رجال آخرين، علِّم فصلًا دراسيًا، قُد مجموعة صغيرة، رتِّب مؤتمرًا. ها أنا أعطيك هذه الرسالة وأنت تستخدمها لإنقاذ آخرين، وسيكون ذلك واحدًا من أكثر الأمور التي يمكنك عملها إثارة على الإطلاق.

اسعَ إلى المزيد من الشفاء. تعلَّم كيف تحارب، طوِّر علاقة حميمية في محادثتك مع الله. تعالَ إلى (www.ransomedheart.com) وتعمَّق داخل المجتمع والموارد والمدونات الصوتية والأحداث الحية التي نقدمها. هذه هي البداية فقط، فهناك مملكة كاملة تنتظر عبْر هذا الباب.

مُلحق

الصلاة اليومية

أيها الرب يسوع، آتي إليك الآن لكي أُستردَّ فيك، لكي أقبل حياتك وحبك وكل النعمة والرحمة التي أحتاج إليها احتياجًا ماسًا هذا اليوم. أباركك فأنت صاحب السيادة عليَّ، وأخضِع كل بُعد من أبعاد روحي ونفسي وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي لك. أغطي نفسي بدمك – روحي ونفسي وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي. أسأل روحك القدوس أن يرد اتحادي بك، وأن يجددني فيك، وأن يقودني في هذا الوقت من الصلاة. في كل ذلك الذي أصليه الآن، أضم (زوجتي وأطفالي، بالاسم). باعتباري رأسهم، أحضرهم تحت سلطانك وغطائك، وآتي أنا تحت سلطانك وغطائك. أغطي (زوجتي وأطفالي، بالاسم) بدمك – روحهم ونفسهم وجسدهم، قلبهم وذهنهم وإرادتهم. أسأل روحك أن يستردهم فيك، وأن يجددهم فيك، وأن يطبِّق عليهم كل ما أصليه الآن بالنيابة عنهم، باعتباري رأسهم. في كل ما أصليه الآن، أقف في اتفاق تام مع روحك ومع متشفعيِّ وحلفائي، بروحك أنت وحدك.

يا الله، أيها الثالوث المقدس المنتصر، وحدك تستحق كل عبادتي وكل تكريس قلبي، وكل تسبيحي، وكل ثقتي، وكل المجد في حياتي. أحبك، أعبدك، أثق فيك. أسلِّم نفسي لك في بحث قلبي عن الحياة، فوحدك أنت الحياة، وقد أصبحتَ أنت حياتي. أنكِر كل الآلهة الأخرى وكل الأوثان، وأعطيك المكان الذي تستحقه حقًّا في قلبي وفي حياتي. كل الأمر يتعلق بك أنت يا الله، لا بي. أنت بطل هذه القصة، وأنا أنتمي إليك. سامحني على كل خطية لي. افحصني واعرفني واكشف لي أين تعمل وامنحني نعمة شفائك وتحريرك وامنحني توبة عميقة وحقيقية.

أيها الآب السماوي، أشكرك لمحبتك لي ولاختيارك لي من قبل أن خلقتَ العالم. أنت أبي الحقيقي – خالقي، فاديَّ، رزّاقي، وأنت الهدف الحقيقي لكل الأشياء، بما في ذلك حياتي. أحبك، أثق فيك، وأعبدك. أسلم نفسي لك لأكون ابنك الحقيقي، لأكون معك كما أن يسوع معك. أشكرك لإثباتك حبك لي بإرسالك يسوع. أقبله وأقبل كل حياته وكل عمله الذي رتبته لي. أشكرك لأنك ضمَّنتني في المسيح، غافرًا لي خطاياي، مانحًا لي بره، جاعلًا مني إنسانًا كاملًا فيه. أشكرك لأنك جعلتني حيًا مع المسيح، مقيمًا إياي معه، مجلسًا إياي معه عن يمينك، موطِّدًا إياي في سلطانه، وماسحًا إياي بروحك القدوس وبفضلك. أقبل الكل بالشكر وأعطيك كامل الاستحقاق على حياتي – روحي ونفسي وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي. أُحضر حياة يسوع المسيح وعمله على (زوجتي وأطفالي، بالاسم) وعلى بيتي وأهل بيتي وسياراتي ومالياتي وكل عالمي ومجالاتي.

يا يسوع، أشكرك لمجيئك لتفتديني بحياتك أنت. أُكرمك ربًا لي، أحبك، أعبدك، وأثق فيك. أسلِّم نفسي لك، لأكون واحدًا معك في كل شيء. أقبل بإخلاص كل العمل والنصرة لصليبك وموتك ودمك وذبيحتك من أجلي، حيث كُفِّر عن كل خطية لي، فأنا مفديٌّ ومتحوِّلٌ نحو ملكوتك، فطبيعة خطيتي مُنتَزَعة وقلبي مختونٌ حيث أنتمي إلى الله، وكل دعوى ضدي مُعطَّلة هذا اليوم. مع (زوجتي وأطفالي، بالاسم) آخذ الآن مكاني في صليبك وموتك، حيث قد متُّ معك عن الخطية، عن جسدي، عن العالم، وعن الشرير. آخذ الصليب وأصلب جسدي مع كل كبريائه وغروره وعدم إيمانه وعبادته للأوثان (وأي شيء آخر أصارع معه حاليًا). أخلع الإنسان العتيق. ضع عليَّ وعلى (زوجتي وأطفالي، بالاسم) ملء صليب يسوع المسيح وموته ودمه وذبيحته. أقبله بالشكر وأعطيه كامل الاستحقاق على روحي ونفسي وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي.

يا يسوع، أقبلك بكل إخلاص أيضًا باعتبارك حياتي وقداستي وتكريسي، وأقبل كل العمل والنصرة لقيامتك، حيث غلبتَ الخطية والموت والدينونة. لا يسود الموت عليك ولا أي فساد آخر. ولقد أُقمتُ معك إلى حياة جديدة، لأحيا حياتك – ميتًا عن الخطية وحيًا لله. مع (زوجتي وأطفالي، بالاسم) آخذ الآن مكاني في قيامتك وحياتك، حيث أخلُص بحياتك، وأملك في الحياة من خلال حياتك. أقبل حياتك اليوم – اتضاعك، حبك، غفرانك، نزاهتك، نقاءك، وحقك، حكمتك، براعتك، وتمييزك، قوتك وشجاعتك وبسالتك، واتحادك مع الآب، وفرحك.

ضع عليَّ وعلى (زوجتي وأطفالي، بالاسم) ملء حياتك وقيامتك. أقبلها بالشكر وأعطيك كل المجد في روحي ونفسي وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي.

يا يسوع، بكل إخلاص أقبلك أيضًا كسلطاني وسيطرتي وسيادتي، نصري الدائم على الشيطان ومملكته، وكسلطاني لجلب ملكوتك في كل الأوقات وبكل طريقة. أقبل كل العمل والانتصار في صعودك، حيث قد أدنتَ الشيطان وطرحته، فقد جردتَ مملكته، وقد أُعطِي كل سلطان في السماء وعلى الأرض إليك أنت. يا يسوع، أنت مستحقٌّ أن تأخذ كل المجد والكرامة، والقوة والسيادة، الآن وإلى الأبد. لقد أُعطيتُ أنا الملء فيك، في سلطانك وفي عرشك. مع (زوجتي وأطفالي، بالاسم) آخذ مكاني الآن في صعودك، وفي عرشك، حيث قد أُقمتُ معك إلى يمين الآب وتوطَّدتُ في سلطانك. أجلب الآن السلطان والسيطرة والسيادة للرب يسوع المسيح على حياتي اليوم، وعلى (زوجتي وأطفالي، بالاسم)، وعلى بيتي، وأهل بيتي، وأرضي، وسياراتي، ومالياتي، وعلى مكتبي، وعلى كل عالمي ومجالاتي.

أُحضِر الآن السلطان والسيطرة والسيادة للرب يسوع المسيح، وملء عمل المسيح، ضد الشيطان، ضد مملكته وضد كل روح نجس وفاسد. (عند هذه النقطة أُسمِّي كل الأرواح النجسة الفاسدة التي أعرف أنها تهاجمني). أُرسِل كل الأرواح النجسة والفاسدة مقيَّدةً إلى عرش يسوع المسيح. أُحضِر سلطان الرب يسوع المسيح، وملء عمل المسيح ضد كل قوة فاسدة وفن أسود وأكسر استحقاقهم ضدي بعمل المسيح. أُبقي العمل الكامل للمسيح بيني وبين كل الناس، وأحظر أن تتحول حروبهم إليَّ.

أيها الروح القدس، أشكرك لمجيئك. أحبك، أعبدك وأثق فيك. أقبلك بكل إخلاص، وأقبل كل العمل والانتصار في يوم الخمسين، حيث جئتَ وألبستني بقوة من الأعالي، وختمتني في المسيح. لقد أصبحتَ أنت اتحادي مع الآب والابن، لتصبح روح الحق فيَّ، حياة الله فيَّ، مشيري، معزيَّ، قوتي، ومرشدي. أباركك كمن له السيادة عليَّ، ومعًا مع (زوجتي وأطفالي، بالاسم) أسلِّم لك بالكامل كل جانب وبُعد من روحي ونفسي وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي، لك، ولك أنت وحدك مع الآب والابن، لأمتلأ بك، لأسير معك باتفاق في كل شيء. املأني من جديد، ورُدَّ اتحادي مع الآب والابن. قُدني نحو كل الحق، وامسحني من أجل كل حياتي ومسيري ودعوتي، وقُدني نحو عمق أكبر في يسوع. أقبلك بشكر

وأعطيك كامل الاستحقاق على حياتي.

أيها الآب السماوي، أشكرك لمنحك إياي كل بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع. أطالب بالغنى الموجود في المسيح يسوع على بيتي، وعلى (زوجتي وأطفالي، بالاسم)، وعلى كل مجالاتي. أُحضِر دم المسيح على روحي، ونفسي، وجسدي، قلبي وذهني وإرادتي، وعلى (زوجتي وأطفالي، بالاسم) وعلى روحهم ونفسهم وجسدهم، قلبهم وذهنهم وإرادتهم. سلِّحني بسلاحك، ألبَسُ منطقة الحق، ودرع البر، وحذاء الإنجيل، وخوذة الخلاص. آخذ ترس الإيمان وسيف الروح، وأختار أن أستخدم هذه الأسلحة في كل الأوقات بقوة الله. أختار أن أصلي في كل الأوقات في الروح.

أستدعي ملائكة الرب يسوع المسيح، وآمرهم ليدمروا كل ما يرتفع ضدي هذا اليوم، وأن يوطدوا ملكوتك عبر كل عالمي ومجالاتي، مقدمين لنا خدمتك، وأن يكونوا رفقاءنا في الطريق هذا اليوم.

أستدعي الآن ملكوت الرب يسوع المسيح هذا اليوم ليشمل كل بيتي وعائلتي وأهل بيتي وعالمي وفي سلطان الرب يسوع المسيح، وفي اسمه، وله كل المجد والكرامة والشكر.

صلاة من أجل التعافي الجنسي

تعافي حياتك الجنسية متاح، هذه حقيقة مشجعة! لكن عليك إدراك أن حياتك الجنسية عميقة جدًا وأساسية لطبيعتك كإنسان. ومن الممكن أن يكون الانكسار الجنسي واحدًا من أعمق أنواع الانكسار الذي يختبره الشخص، لذا عليك أن تأخذ تعافيك واستعادة حالتك مأخذ الجد. ستساعدك هذه الصلاةُ الموجَّهة بشكل هائل. قد تجد أنك تحتاج إلى أن تصليها عدة مرات لكي تختبر حرية دائمة.

إليك بعض الشرح لأسباب هذه الصلاة: أولًا، حين نسيء استخدام الجنس بالخطية، فإننا نعطي الشيطان بابًا مفتوحًا ليقهرنا في حياتنا الجنسية، فالرجل الذي يستخدم الإباحية سيجد نفسه في صراع عميق جدًا مع الشهوة، والمرأة التي كانت فاسقة جنسيًا قبل الزواج قد تجد نفسها تصارع مع الإغواء الجنسي لسنوات بعده. لذا فمن المهم أن نخضع حياتنا الجنسية تحت سيادة الرب يسوع المسيح (ومن ثَمَّ حمايته) طالبين التطهير من خطايانا الجنسية.

ثانيًا، الانكسار الجنسي – سواء كان عبْر الإساءة إلى حياتنا الجنسية بتصرفاتنا نحن أو بتصرفات آخرين – من الممكن أن يخلق صعوبات جنسية، ويفتح أيضًا الباب للعدو ليقهرنا. في الكثير من الأحيان يكون هناك احتياج إلى الغفران – أي الثقة أن الرب غفر لنا، وأيضًا الاختيار الذي نصنعه لنغفر لآخرين. وسيثبت هذا مدى تحريره بشكل هائل.

فلنبدأ بإخضاع حياتنا عامة وحياتنا الجنسية خاصة تحت سيادة يسوع المسيح:

أيها الرب يسوع المسيح، أعترف هنا والآن أنك أنت خالقي (يوحنا ١ : ٣)

وبالتالي خالق حياتي الجنسية. أعترف أنك أنت أيضًا فاديَّ، أنك افتديتني بدمك (اكورنثوس ١٥: ٣، متى ٢٠: ٢٨). قد اشتُريتُ بدم يسوع المسيح، لذا فحياتي وجسدي ينتميان لله (اكورنثوس ٦: ١٩ — ٢٠). يا يسوع، أقدم نفسي لك الآن لكي أكتمل وأُقدَّس في كل شيء، بما في ذلك في حياتي الجنسية. أنت تسألنا أن نقدم أجسادنا لك كذبائح حية (رومية ١٢: ١) وأعضاء أجسادنا كآلات للبر (رومية ٦: ١٣). وها أنا أفعل ذلك الآن، أقدم جسدي، حياتي الجنسية («كرجل» أو «كامرأة»)، وطبيعتي الجنسية لك.

بعد ذلك تحتاج إلى التخلي عن الطرق التي أسأتَ بها استخدام الجنس. كلما كنتَ محددًا كان ذلك مفيدًا أكثر. خلق اللهُ الجنس من أجل المتعة والفرح في إطار عهد الزواج، فمن الممكن للنشاط الجنسي خارج الزواج أن يكون مدمرًا للشخص وللعلاقات (اكورنثوس ٦: ١٨ — ٢٠). ما تريد عمله في هذا الجزء من الصلاة هو الاعتراف بكل الخطايا الجنسية والتخلي عنها – على سبيل المثال، العلاقات الجنسية خارج الزواج. ليس فقط الممارسة الجنسية، لكن أيضًا الأشكال الأخرى من الحميمية الجنسية مثل الاستمناء المتبادل أو الجنس الفموي. يفترض الكثيرُ من الناس أن هذه «لا تُحتسب خطية» إذ لم تؤدِّ إلى الممارسة الفعلية، لكن كان هناك حثٌّ جنسي وحميمية خارج الزواج. ضع في حسبانك أن هناك «روح القانون» و«حرف القانون». ما يهم هو أمور القلب والذهن بالإضافة إلى الجسد. الأمثلة الأخرى للخطايا التي يجب التخلي عنها هي العلاقات خارج نطاق الزواج، استخدام الإباحية، الأعمال الجنسية-المثلية، والخيالات الجنسية.

قد تعرف بالضبط ما تحتاج إلى الاعتراف به والتخلي عنه، وقد تحتاج إلى طلب مساعدة الله لتتذكر. خُذ وقتك هنا. وبينما تتوالى الذكريات والأحداث إلى ذهنك، اعترف بها وتخلَّ عنها. على سبيل المثال: «أيها الرب يسوع، أطلب غفرانك لخطاياي في الاستمناء واستخدام الإباحية. أتخلي عن تلك الخطايا في اسمك.» بعد أن تكون قد اعترفتَ بخطاياك – ولا تتعلق بمحاولة تذكُّر كل واحدة منها على حدة، فقط ثق في الله أن يذكرك – استمر في باقي الصلاة.

يا يسوع، أسأل روحك القدوس ليساعدني الآن أن أتذكر خطاياي الجنسية وأعترف بها وأتخلي عنها. (توقَّف، واستمع، وتذكَّر، واعترف، وتخلَّ.) أيها

> الرب يسوع، أطلب غفرانك لكلٍّ من الخطايا الجنسية. وعدتَ أننا إن اعترفنا بخطايانا أنك أمين وعادل حتى تغفر لنا خطايانا وتطهرنا من كل إثم (١يوحنا ١ : ٩). أطلب منك أن تطهرني من خطاياي الجنسية الآن، طهِّر جسدي ونفسي وروحي، طهِّر قلبي وذهني وإرادتي، طهِّر حياتي الجنسية. أشكرك من أجل غفرانك لي وتطهيرك إياي. أقبل غفرانك وتطهيرك. أنكر كل استحقاق قد أعطيتُه للشيطان على حياتي أو على حياتي الجنسية من خلال خطاياي الجنسية. تلك الاستحقاقات مكسورة الآن بالصليب وبدم يسوع المسيح (كولوسي ٢ : ١٣ — ١٥).

ثم تأتي مرحلة الغفران. من الضروري أن تغفر لنفسك ولمن أساؤوا إليك جنسيًا. استمع بإنصات: الغفران **اختيار**، في الكثير من المرات علينا أن نتخذ **قرارًا** أن نغفر قبل وقت طويل من **شعورنا** بأننا نريد أن نغفر. ندرك أن ذلك قد يكون صعبًا، لكن الحرية التي ستجدها تستحق! ليس الغفران هو أن تقول: «لم يجرحني الأمر»، ولا أن تقول: «لم يكن الأمر مهمًا»، لكن الغفران هو العمل الذي من خلاله نعفو عن الشخص، ونُطلِقُه من كل المرارة والدينونة، نقدمه لله ليتعامل معه.

> أيها الرب يسوع، أشكرك لأنك تقدم لي الغفران الكلي والكامل. أقبل هذا الغفران الآن، وأختار أن أغفر لنفسي كل آثامي الجنسية. وأختار أيضًا أن أغفر لمن أساؤوا إليَّ جنسيًا. (كن محددًا هنا، اذكر أسماء الناس واغفر لهم). أُطلِقهم إليك. أُطلِق كل غضبي ودينونتي من نحوهم. تعال، أيها الرب يسوع، إلى الألم الذي سببوه لي، واشفني بحبك.

تتضمن هذه الخطوة التالية كسْر الروابط العاطفية والروحية غير الصحية التي تكونت مع أناس آخرين عبّر الخطية الجنسية. واحدٌ من الأسباب التي تجعل الكتاب المقدس يأخذ الخطية الجنسية مأخذ الجد بهذا الشكل هو الدمار الذي تسببه. سببٌ آخر هو الروابط التي تكونها هذه الخطايا مع الناس، وهي روابط قُصد بها أن تتكون فقط بين الزوج والزوجة (انظر ١كورنثوس ٦ : ١٥ — ٢٠). واحدٌ من التأثيرات المدهشة لصليب ربنا يسوع المسيح أنه يكسر هذه الروابط غير الصحية. «فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم.» (غلاطية ٦ : ١٤).

أُحضر الآن صليب ربي يسوع المسيح بيني وبين كل شخص دخلت معه في علاقة جنسية. (اذكر أسماءهم بالتحديد كلما أمكن. أيضًا، اذكر أسماء من أساؤوا إليك جنسيًا). أكسرُ كل الروابط الجنسية والعاطفية والروحية مع (اذكر الاسم إن أمكن، أو فقط «تلك الفتاة في المدرسة الثانوية» إن لم تستطع تذكُّر اسمها). وها أنا أجعل صليب المسيح بيننا.

يختبر الكثير من الناس تبعاتٍ سلبية من خلال الإساءة في حياتهم الجنسية، وقد تكون تلك التبعات شعورًا بالذنب (حتى بعد الاعتراف) أو إغراءاتٍ جنسية متكررة. وقد تكون التبعات أيضًا عدم القدرة على الاستمتاع بالجنس مع شريك الحياة. سيكون مفيدًا إحضار عمل المسيح هنا أيضًا. ينتهي الأمر بالكثير من الناس بصنع «اتفاقيات» غير صحية بشأن الجنس أو بشأن أنفسهم، بشأن الرجال أو النساء أو الحميمية بسبب الدمار الذي يختبرونه من خلال الخطية الجنسية (خطيتهم أو خطية شخص ضدهم). ستريد أن تسأل المسيح عن تلك الاتفاقيات، وأن تسأله أن **يكسر هذه الاتفاقيات!**

أتخلى عن (اذكر اسم الصراع – «عدم القدرة على الوصول إلى رعشة الجماع» أو «هذا الخجل العالق» أو «كُره جسمي»). أستعين بصليب يسوع المسيح ودمه ضد كل هذا (الذنب أو الخجل، أو كل تبعات سلبية.) أيها الرب يسوع، أسألك أيضًا أن تكشف لي عن أي اتفاقيات قد أبرمتُها بشأن حياتي الجنسية أو هذا الصراع المحدد. (من الممكن أن يكون المثال «سأصارع دائمًا مع ذلك» أو «لا أستحق الاستمتاع بالجنس الآن» أو «حياتي الجنسية قذرة». توقَّف ودع يسوع يكشف لك تلك الاتفاقيات. ثم اكسرها.) أكسرُ هذه الاتفاقية (اذكر اسمها) في اسم ربي يسوع المسيح، وأنكر أي استحقاق قد أعطيتُه لها في حياتي.

في النهاية، سيكون مفيدًا أن تكرِّس حياتك ليسوع المسيح مرة أخرى.

أيها الرب يسوع، أكرس الآن حياتي الجنسية لك في كل شيء. أكرِّس حميميتي الجنسية مع شريكة حياتي لك. أسألك أن تطهِّر وتشفي حياتي الجنسية وحميميتنا الجنسية في كل شيء. أسأل نعمتك الشافية أن تأتي وتحررني من كل تبعات الخطية الجنسية. أسألك أن تملأ حياتي الجنسية

> بحبك وصلاحك الشافيين. ردَّ حياتي الجنسية بالكامل، ودعني أنا وشريكة حياتي نختبر كل الحميمية والمتعة اللتين قصدتَ أنت أن يتمتع بها الرجل والمرأة في الزواج. أصلي كل هذا في اسم يسوع المسيح ربي. آمين!

يمكنني أن أروي الكثير والكثير من قصص الافتداء المذهل الذي اختبره أفراد وأزواج يصلون هذا النوع من الصلاة. والآن تذكَّر – بعض المرات تأخذ الجروح والتبعات وقتًا لتُشفى. قد تحتاج إلى أن تزور هذه الصلاة عدة مرات إذا لم يحدث الشفاء الدائم. قد تتذكر أفعالًا تحتاج إلى اعتراف بعد مرور وقت طويل من انتهائك من هذا الكتاب، فلتعُد إلى هذه الصلاة، واعترف بتلك أيضًا. قد يستفيد بعضُكم أيضًا من رؤية مشير مسيحي جيد. تمسَّك جيدًا بهذه الحقائق:

أنت، وجسدك، وحياتك الجنسية تنتمون ليسوع المسيح.

لقد غَفَر لك بالكامل.

لقد خلق حياتك الجنسية لتكون كاملة ومقدسة.

لقد خلق حياتك الجنسية لتكون مصدرًا للحميمية والفرح.

أتى يسوع المسيح لكي يطلب ويخلص «ما قد هلك» (لوقا ١٩: ١٠)، بما في ذلك ما قد فُقد من البركات التي قصدها لنا من خلال حياتنا الجنسية!



مقتطفات من

أن يكون اللّه أبانا

بقلم «جون إلدريدج»

الرحلة الذكورية

قفوا على الطرق وانظروا،
واسألوا عن السبل القديمة:
أين الطريق الصالح؟ وسيروا فيه،
فتجدوا راحة لنفوسكم.

-إرميا ٦: ١٦

كل ما كنتُ أحاول عمله هو إصلاح رشاشات الري.

عملية سباكة بسيطة تمامًا. أخبرني الرجل الذي جاء لإفراغ نظام الري وإعداده للشتاء في الخريف الماضي أن هناك صدعًا في «الصمام الرئيسي»، وأن من الأفضل إبداله قبل فتح المياه ثانية عند حلول الصيف القادم. ولبضعة أيام مضت كان الجو حارًا - أكثر من ٣٠ درجة مئوية، ويُعتبر ذلك حارًا بالنسبة لكولورادو في شهر مايو - وكنت أعرف أن من الأفضل أن أُسرع بفتح المياه وإلا سيصبح الفناء صحراء. للأمانة، كنتُ متطلعًا إلى المشروع، وحقًا أستمتع بالأنشطة خارج المهام الروتينية بشكل كبير، وأستمتع بأن أكون قد انتصرتُ على محنة صغيرة، رادًا العافية إلى نطاقي. أفترض أن هذه آثار متبقية من آدم - سيطِر وأخضِع، كن مثمرًا، وكل ذلك.

فككتُ الصمام النحاسي الكبير من الجهاز على جانب المنزل، واتجهتُ إلى محل السباكة لأحضر واحدًا جديدًا. قلتُ للبائع: «أريد واحدًا مثل هذا»، فأجاب، «يُدعى صمام التنقيص»، قالها مع مسحة من الازدراء. حسنًا، لم أكن أعلم ذلك، أنا هاوٍ فقط. ومع ذلك، فأنا مستعدٌ وكل شيء جاهز. عدتُ إلى المنزل والصمام في يدي لأبدأ في المشروع. لاح أمامي تحدٍ جديد: لحام قطعة من أنبوبة نحاسية إلى تركيبة نحاسية تحمل الماء من المنزل إلى رشاشات الري، وتنقص في الضغط عن طريق صمام هو في حوزتي الآن. بل اتبعتُ حتى الإرشادات التي جاءت مع البوتاجاز الذي اشتريتُه. (اتباع الإرشادات أمرٌ أفعله عادةً مجرد أن يصبح المشروع مثل عدد كبير من العربات المتكدسة في سباق

ضخم، لكن هذا كان بمثابة أرض جديدة لي، فالصمام غالي الثمن، ولم أرد أن أفسد الأمر تمامًا.) بالتأكيد، لم أستطع، لم أستطع جعل سبيكة اللحام تنصهر إلى الوصلة بالشكل المطلوب لمنع أي تسريب.

فجأة، غضبتُ.

اعتدتُ أن أغضب على أقل سبب، في بعض الأحيان كنت أغضب بعنف وأنا في سن المراهقة، محدثًا ثقوبًا في حوائط غرفتي، ومخلفًا ثقوبًا في الأبواب. لكن كان للسنين تأثيرها الملين، وبنعمة الله كان هناك دائمًا التأثير المقدِّس للروح، لذا فاجأني غضبي، فقد بدا... غير متكافئ مع الأمر الحادث. لا أستطيع لحام الأنبوبة. **فماذا في هذا؟ لم أفعل هذا من قبل قط، فلآخذ الأمر ببساطة.** لكن لم يكن المنطق تمامًا هو من يحكم اللحظة، وفي غضبٍ اندفعتُ إلى المنزل لأحاول أن أجد بعض المساعدة.

مثل الكثير من الرجال في ثقافتنا – رجال في انعزال ليس لهم أبٌ موجود لسؤاله عن كيفية عمل هذا أو ذاك، وليس لهم رجالٌ موجودون على الإطلاق، أو لديهم كبرياء زائد يمنعهم من سؤال الرجال الموجودين – توجهتُ إلى الإنترنت، ووجدتُ واحدًا من تلك المواقع التي تشرح أشياء مثل كيف تتغلب على مشاكل السباكة المنزلية، وشاهدتُ فيديو رسوم متحركة قصير عن كيفية لحام أنبوبة نحاسية. بدا الأمر... غريبًا، فها أنا أحاول أن ألعب دور الرجل وأصلح رشاشات الري لديَّ لكني لا أستطيع، وما من رجل هنا ليريني كيف أفعل ذلك، وبالتالي فها أنا أشاهد فيديو قصيرًا لطيفًا موجَّهًا إلى من لديهم إعاقة ميكانيكية، وأشعر بأني في حوالي العاشرة من العمر. كاريكاتور لرجل هو حقًا ولدٌ. متسلحًا بالمعلومات وبالثقة المتذبذبة، أرجع ثانية، وأحاول مرة أخرى. إخفاقٌ آخر.

مع نهاية الجولة الأولى شعرتُ بكل بساطة بأني أحمق، والآن أشعر مثل أحمق محكوم عليه بالفشل، وأشعر بأني في حالة من الغليان. باعتباري مشيرًا وكاتبًا (بالإشارة إلى وظيفتي وأيضًا حدسي)، فتقريبًا دائمًا أشاهد حياتي الداخلية مع جزء مني غير متحيز. ياه، ذلك الجزء مني يقول، **انظر إلى هذا، لماذا تغتاظ هكذا؟**

سأخبرك لماذا أنا مغتاظ. هناك سببان، أولًا، أنا مغتاظ بسبب عدم وجود أي شخص هنا ليريني كيف أعمل ما أريد، فلماذا عليَّ دائمًا أن أكتشف هذه الأمور

بنفسي؟ أجزمُ أنه إن كان رجلٌ ما هنا يعرف ما يفعل لألقى نظرة واحدة على المشروع وأخبرني في الحال ما الخطأ الذي أفعله وأيضًا - الأهم من ذلك - كيف أعمل الأمر بطريقة صحيحة. معًا، كنا سنتعامل مع المشكلة في لمح البصر وكانت حديقتي ستُنقذ، وكان شيءٌ ما في نفسي سيشعر شعورًا أفضل.

أنا أيضًا مغتاظٌ لأني غير قادر على عمل الأمر بنفسي، وغاضبٌ لأني أحتاج إلى المساعدة. منذ وقت طويل قررتُ أن أعيش من دون الاحتياج إلى المساعدة، وتعهدتُ أن أكتشف الأمور بنفسي. إنه تعهدٌ رهيبٌ وشائع للرجال المتيتمين الذين وجدوا أنفسهم وحيدين كأولاد وقرروا أنه ما من أحد موجود حقًا، وأن الرجال بشكل خاص لا يُعتمد عليهم، لذا فلتعمل الأمر بنفسك. أنا أيضًا غاضبٌ من الله، إذ لماذا ينبغي أن يكون الأمر بهذه الصعوبة؟ أعلم أن هذا أكثر مما يمكن إيجاده في محاولة فاشلة لإصلاح رشاشات الري لديَّ، لكن كان من الممكن أن يكون الأمر في العشرات من المواقف الأخرى، حسابات ضرائبي، التحدُّث مع ابني البالغ من العمر ست عشرة سنة عن المواعدة، شراء سيارة، شراء بيت، القيام بتحرُّك في المسار الوظيفي، أي تجربة حيث أُدعى لألعب دور الرجل لكن أشعر على الفور ذلك الشعور المزعج، **لا أعرف كيف سيمر هذا الأمر، وأنا وحيدٌ هنا، والأمر متروكٌ لي لأستكشفه.**

والآن، أعرف هذا بالفعل - أعرف أني لستُ وحدي مَن أشعر بأني وحدي، فمعظم الرجال الذين قد التقيتُهم يشعرون بذلك في وقت ما.

لا تنتهي قصتي هنا، فقد كان عليَّ أن أتوقف عن المشروع وأن أذهب إلى العمل، تاركًا الموقد والأنبوبة والأدوات على الرواق بعيدًا عن الأمطار الرحيمة - رحيمة لأنها قد توفِّر لي أربعًا وعشرين ساعة لأستكشف هذا قبل موت حديقتي. كان عليَّ أن أقوم باتصال هاتفي هام في الساعة ٤:٠٠ مساءً، لذا ضبطتُ منبه ساعة يدي لكيلا يفوتني الموعد. قمتُ بالاتصال الهاتفي، لكن فاتني أن ألاحظ أن المنبه لم يرن، فقد رنَّ في الرابعة صباحًا، في الصباح التالي. (لم ألحظ ال «.a.m» الصغيرة بجوار ٤:٠٠ حين ضبطتُ المنبه). كنتُ قد ذهبتُ إلى النوم من دون أي قرار داخلي أو خلافه، لكن فجأةً - انخلعتُ من نوم عميق في الرابعة صباحًا لأواجهه، ولأُواجه كل شكوكي، وها فجأةً - اصطدمتُ بهذه الفكرة: **اعمل ما هو صحيح.**

ربما هذا هو العهد التعريفي أو القوة القاهرة لحياتي كبالغٍ: أنت بمفردك في هذا العالم، فمن الأفضل أن تكون حذرًا إذ لا توجد مساحة للخطأ على الإطلاق، لذا اعمل ما هو صحيح. أما المراقب غير المتحيز داخلي فيقول، **ياه – يا لضخامة هذا، فقد أصبتَ كبد الحقيقة، يا للهول – فقد قدم هذا تعريفًا لحياتك بأكملها ولم تكن قد صغتَ الأمر في كلمات، والآن ها هو الأمر كله، وأنت تعلم ما هو مربوط بهذا، أليس كذلك؟** مستلقيًا هناك في ظلام غرفتي، و«ستاسي» نائمة بعمق بجانبي، وجهاز رشاشات الري ملقى في بؤس على مسافة قريبة خارج النافذة بجوار رأسي، وها أنا أعلم الآن ما يتعلق به الأمر كله.

يتعلق الأمر بيُتم الأب.

رجالٌ غير مكتملين

لدى أي صبي الكثير ليتعلمه في رحلته ليصبح رجلًا، ويصبح رجلًا فقط عبْر التدخل الفعال لوالده وزمالة الرجال، ولا يمكن للأمر أن يحدث بأي طريقة أخرى. لكي يصبح رجلًا – وليعرف أنه قد أصبح رجلًا – ينبغي أن يكون للصبي مرشدٌ، أبٌ يريه كيف يصلح دراجة ويلقي بصنارة صيد ويتصل بفتاة ويحصل على وظيفة وكل الأمور الكثيرة التي سيواجهها الصبي في رحلته ليصبح رجلًا. علينا أن نفهم هذا: الرجولة **تُمنحُ**. يتعلم الصبي مَن هو ومما هو مصنوعٌ عن طريق رجلٍ (أو مجموعة من الرجال)، ولا يمكن تعلُّم هذا في أي مكان آخر، فلا يمكن تعلُّمه من أولاد آخرين، ولا يمكن تعلُّمه من عالم النساء. يقول «روبيرت بلاي»، «أنتجت الطريقة التقليدية لتربية الأبناء، التي استمرَّت لآلاف السنين، آباء وأبناء يعيشون في قُرب لصيق – بل لصيق لدرجة مهلكة، بينما كان الأب يعلم الابن صنعة: ربما الزراعة أو النجارة أو الحدادة أو الخياطة.»

حين كنتُ صغيرًا، كان أبي يأخذني للصيد باكرًا في صباح السبت، وكنا نقضي ساعاتٍ سويًا هناك، على بحيرة أو نهر، محاولين اصطياد السمك، لكن السمك لم يكن أبدًا هو القضية حقًّا، فما كنتُ أتوق إليه هو حضوره، انتباهه، وابتهاجه بي. كنتُ أتوق إلى تعليمه إياي كيفية فعل الأمور، أن يريني الطريق، تُلقي بالصنارة هنا، وتجهِّز الخطاف هكذا. إن استطعتَ جعْل مجموعة من الرجال يتكلمون عن آبائهم فستسمع هذا التوق الأساسي من قلب الرجل. «كان أبي

يأخذني دائمًا معه إلى الحقل»، «علَّمني والدي كيفية لعب الهوكي، في الشارع»، «تعلَّمتُ صنْع إطار لبيتٍ من أبي.» أيًّا كانت التفاصيل، فحين يتحدَّث رجلٌ عن أعظم هبة أعطاها له والدُه - إن كان والده قد أعطاه أي شيء على الإطلاق يستحق التذكر - تكون هذه الهبة دائمًا تمرير الرجولة.

هذا أساسيٌّ، إذ ستضعكم الحياة في اختبار، يا إخوتي، مِثل سفينة في البحر، **ستُختَبرون**، وستكشف الرياح الأماكن الضعيفة فيك كرجلٍ، بل قد فَعَلتِ الرياح ذلك بالفعل، إذ كيف تفسِّر الغضب الذي تشعر به، والخوف، والتعرُّض لتجارب معينة؟ لماذا لا تستطيع الزواج من الفتاة؟ وفي حالة أنك متزوج، لماذا لا تستطيع التعامل مع مشاعرها؟ لماذا لم تجد بعد إرسالية حياتك؟ لماذا تدفعك الكوارث المالية إلى الغضب أو الاكتئاب؟ أنت تعلم ما أتحدَّث عنه. لذا ينحصر منهاجنا الأساسي في هذا: نبقى في ما يمكننا التعامل معه، ونبتعد متجنبين أي شيء آخر، ننخرطُ حيث نشعر بقدرتنا على ذلك أو باضطرارنا - كما في حالة العمل - ونتراجع حين نشعر بتيقننا من الفشل، كما في حالة المياه العميقة للتواصل مع زوجاتنا أو أطفالنا، وفي روحانياتنا.

لاحظ أن ما لدينا الآن هو عالم من رجالٍ لم يصبحوا بعد رجالًا حقيقيين، رجالٍ جزئيين، صبية، عمومًا، يسيرون حولنا في أجسام رجال، ولديهم وظائف رجال وعائلات، وماليات، ومسؤوليات، إذ لم يكتمل تمرير الرجولة إليهم أبدًا، إن كان قد بدأ على الإطلاق. لم يؤخذ الصبيُّ أبدًا عبْر عملية الانضمام إلى عالم الرجولة، ولذلك فمعظمنا رجالٌ غير مصقولين، ومن ثمَّ غير قادرين أن نعيش حقًّا **باعتبارنا** رجالًا في أي شيء تلقي به الحياةُ إلينا، وغير قادرين أن نمرِّر إلى أبنائنا وبناتنا ما يحتاجون **هم** إليه ليصبحوا هم أنفسهم نساءً ورجالًا كاملين ومقدسين.

في نفس الوقت، هناك من حولنا هؤلاء الأولاد والشباب والرجال من نفس عمرنا وكلُّهم في احتياج شديد جدًّا - بل احتياج ماس - إلى شخص يريهم الطريق. ما معنى أن يكون رجلًا؟ **هل أنا** رجلٌ؟ ما الذي ينبغي أن أفعله في هذا الموقف أو ذاك؟ هؤلاء الأولاد ينمون ليصبحوا رجالًا مترددين إذ بقيت الأسئلة الأساسية لنفوسهم غير مجاب عنها، أو أجيب عنها بشكل سيئ. ينمون ليصبحوا رجالًا يعملون، لكن أعمالهم غير مؤصَّلة في لطف وحكمة وقوة أصيلة، فلا

يوجد أحدٌ ليريهم الطريق.

الانضمام إلى عالم الرجولة هو رحلة، **عملية**، بمثابة البحث، قصة تتجلى بمرور الوقت. من الممكن أن يكون حدثًا جميلًا وقويًا جدًا أن نختبر بركة أو طقسًا، أن نسمع كلمات تُنطق إلينا في مراسم من نوع أو آخر، ومن الممكن لتلك اللحظات أن تكون نقاط تحوُّل في حياتنا، لكنها فقط لحظات، واللحظات، كما تعلم جيدًا، تمر سريعًا وتُبتلع في نهر الوقت. نحتاج إلى أكثر من لحظة، أكثر من حدث، نحتاج إلى عملية، إلى رحلة، إلى قصة ملحمية لخبرات كثيرة منسوجة معًا، تُبنى إحداها على الأخرى في تعاقب. نحتاج إلى **انضمامٍ**، ونحتاج إلى مرشد.

وجدتُ أبًا على نهر «ساوث بلات»

انتقلتُ إلى كولورادو في أغسطس من عام ١٩٩١، وكانت هناك أسباب عديدة للانتقال من «لوس أنجلوس» – وظيفة، محاولة للالتحاق بالدراسات العليا، وهربًا مما بدا كقدْر غير متناهٍ من اختناق مراكز التجارة والأسفلت والضباب في «لوس أنجلوس» – لكن وراء هذه كلها كانت رغبة أقوى في الوصول إلى الجبال والمساحات المتسعة، وللوصول إلى مقربة من البرية. ولم أستطع التعبير عن ذلك حينها، لكن نفسي كانت تتوق إلى القيام برحلة الرجولة التي بدت وكأنها أُجهضتْ في السنين الأولى من مراهقتي. لذلك أردتُ أن أصبح صيادًا مستخدمًا تقنية صيد السمك بالحشرات.

كنتُ أنا وأبي نصطاد معًا حين كنتُ صغيرًا، وكانت تلك اللحظات من أفضل الذكريات العزيزة لديَّ عنه، فقد علَّمني أولًا الصيد باستخدام دودة توضع على فلينة الصيد، ثم علَّمني إلقاء الصنارة. لم يكن يستخدم تقنية الصيد بالحشرات، لكني أردتُ أن أصبح صيادًا باستخدام هذه التقنية. وفي حوالي سن الخامسة والعشرين، ابتعتُ صنارة وماكينة صيد وبدأتُ في محاولة تعليم نفسي – وهو النموذج الذي تعلمتُ به، مع الأسف، معظم ما قد تعلَّمته في حياتي. نتحدث كثيرًا عن رجلٍ فعل ذلك بنجاح باعتباره «عصاميًا»، وغالبًا ما يُذكر هذا اللقب مع إحساسٍ بالإعجاب، لكن في الحقيقة ينبغي أن يقال بنفس النغمة التي قد نستخدمها حين نتحدث عن رحيل عزيز، أو عن رجل فقد ذراعًا مؤخرًا – في أسفٍ وندم، إذ ما يعنيه هذا التعبير حقيقةً هو «رجلٌ متيتِّم اكتشف بمفرده

كيفية إجادة جزء من أجزاء حياته.»

فلنعدْ إلى الصيد بتقنية بالحشرات. حين وصلنا إلى كولورادو عرفتُ عن جزء من نهر «ساوث بلات» مشهور بوصفه حلم كل صيادٍ. كان «الميل المعجزة The Miracle Mile» قد اجتاز ذروة شبابه، لكنه لا يزال مكانًا يقصده أفضل الصيادين الذين يستخدمون تقنية الصيد بالحشرات، لذلك ذهبتُ إلى هناك. يا له من جزء جميل ممتد من النهر الذي يتدفق عبْر مزرعة مفتوحة بين بحيرتين للتخزين، وتتسم المصارف بانخفاضها واتساعها، مع وجود صفصاف متباعد من حين إلى آخر – فها هو مكانٌ غير قاسٍ على مبتدئ يتعلم الصيد. قضيتُ جزءًا كبيرًا من النهار في النهر، ورأيتُ سمك السلمون المرقط من حولي في كل مكان لكني لم أستطع حتى صيد واحدة، وكل مرة كنتُ أنظر فيها نحو بداية النهر كان هناك ذلك الرجل، بصنارته المنحنية إلى أقصى حد، يضحك شاهقًا بينما يحضر مرة أخرى سمكة ضخمة من أسماك قوس قزح إلى شبكته. في البداية حسدتُه، ثم بدأت أكرهه، وفي النهاية اخترتُ الاتضاع وأردتُ ببساطة أن أشاهده بعض الوقت، محاولًا أن أتعلَّم ما يفعل.

وقفتُ على مسافة مقبولة من المصرف، غير راغبٍ في الظهور، وكأني أتعدى على منطقته المفضلة، وجلستُ لأشاهد. كان واعيًا لوجودي، وبعد أن ألقى بصنارته ربما مرتين أو ثلاث واصطاد سمكة أخرى، تحوَّل إليَّ وقال: «هيا تعال إلى هنا.» لا أتذكر اسمه، لكنه أخبرني أنه مدرب محترف للصيد باستخدام تقنية الصيد بالحشرات، وأن هذا المكان هو أكثر مكان يفضل أن يصطاد فيه في أيام إجازته. سألني كيف تسير الأمور معي فقلتُ: «ليس على ما يرام». «أرني ما تستخدم.» أعطيتُه الصنارة. «أوه... حسنًا، أولًا، هذا الجزء المسمَّى المرشد ليس طويلًا بما يكفي.» وقبل أن أتمكن من الاعتذار لكوني أحمق فيما يتعلق بالصيد، كان قد أخذ مقصًّا ونزع 'المرشد' بالكامل، ثم ربط مرشدًا جديدًا بسرعة وراحة لدرجة أني كنت عاجزًا عن الكلام. «أي حشرات تستخدم؟»، «هذه» قلتُها في خجل، وأنا أعلم بالفعل أنها النوع الخطأ، إذ أدركتُ أن كل ما أفعله كان خاطئًا.

بلطفه لم يعلِّق على الحشرات التي كنتُ أستخدمها، بل فقط قال: «هكذا – في هذا الوقت من السنة تحتاج إلى استخدام هذه» ساحبًا بعض الحشرات الصغيرة

من سترته ومعطيًا إياي. ربط إحداها في طرف صنارتي، ثم بدأ يريني كيفية الصيد في منطقته المفضلة. «تعال إلى هنا، بجانبي.» إذا كان الصياد يستخدم يده اليُمنى، فعادةً ما يقف الموجِّه بالقرب من يده اليُسرى ليتفادى الإصابة في أذنه أو مؤخرة رأسه. «والآن – أغلب الناس يستخدمون مؤشرًا واحدًا حين يقومون بالصيد باستخدام الحشرة تحت السطح (شعرتُ شعورًا طيبًا لأني أخيرًا عرفت ذلك – فقد كنت قد قرأتُه في كتاب)، لكن لن يساعدك ذلك كثيرًا، إذ عليك أن تعرف أن لديك انجرافًا كانجراف الحشرات الميت.» يعتمدُ النجاح في الصيد باستخدام الحشرات على الكثير من الفروق الدقيقة، لكن أهمها هو قدرتك على تقديم الحشرة التي تستخدمها في شكل طبيعي للسمكة، ويعني ذلك أنها تنجرف مع التيار بنفس الطريقة مثل الطعام الحقيقي الذي يراه السمك كل يوم – دون أي حركة هزٍ أو سحبٍ بخلاف سرعة التيار واتجاهه. «والسر هو في استخدام اثنين، أو حتى ثلاث. هكذا.»

بعد حوالي عشر دقائق من التدريب، خطا خارج الماء ليشاهدني – تمامًا مثل أبٍ علَّم ابنه ضرب كرة البيسبول وخطا جانبًا ليشاهده، وليدع الولد يحاول بضع ضربات بنفسه. اصطدتُ سمكة من أسماك قوس قزح وأحضرتها. رجع إلى الماء ليريني كيفية فكِّها. «عادة أُقبِّل السمك الذي أصطاده على جبهته. معتقدٌ خرافيٌّ.» ألقى قُبلة على حاجب سمكة قوس قزح الكبيرة وأطلقها ثانيةً إلى الماء البارد. «وقتًا ممتعًا»، قالها، ودون النظر إلى الوراء ذهب بعيدًا نحو المنطقة التي كنتُ أصطاد فيها سابقًا وبدأ في اصطياد السمك هناك، واحدة تلو الأخرى. اصطدتُ أنا أيضًا، وبينما جعلني ذلك سعيدًا كان هناك رضا أعمق في نفسي إذ وقفتُ هناك في النهر، مبليًا بلاءً حسنًا في الصيد. فها هو احتياج أوليّ قد لُمس ولُمس جيدًا. في طريق عودتي إلى المنزل كنتُ أعرف أن العطية كانت من الله، وأنه قد قدم أبوَّته لي عبْر هذا الرجل.

الانضمام

لسنا مصمَّمين لنكتشف الحياة بمفردنا، فالله يريد أن يقدم أبوَّته لنا. والحقيقة هي أنه **بالفعل** قد قدم لنا أبوته لوقت طويل – فقط لم تكن لنا العيون لنراها. يريد اللهُ أن يقدم أبوته لنا بشكل أكثر حميمية، لكن ينبغي لنا أن نكون في حالة

تسمح باستقبالها. يتضمن هذا طريقة جديدة من النظر، إعادة جوهرية لتوجيه طريقة رؤيتنا للحياة وموقفنا فيها. أولًا، نسمح بفكرة كوننا رجالًا غير مكتملين، فعمومًا داخلنا أولاد، ونحتاج إلى الانضمام، في أشياء كثيرة جدًا. ثانيًا، نتحوَّل بعيدًا عن استقلالنا وعن كل الطرق التي بها إما نهاجم الحياة أو ننكمش منها، وقد تكون هذه واحدة من الطرق الأساسية والمهمة أكثر من غيرها التي بها يتوبُ الرجل. أقول «يتوب» لأن توجُّهنا من نحو الحياة يُبنى على قناعة أن الله، في أغلب الوقت، لا يظهر كثيرًا. أفهم من أين تأتي هذه القناعة، وأصارع معها أنا نفسي بصفة مستمرة، ومع ذلك فهذا عدم إيمان، أليس كذلك؟ علينا أن نكون على استعداد أن نأخذ مخاطرة ضخمة، ونفتح قلوبنا لإمكانية أن الله بالفعل يضمُّنا كرجال – ربما حتى في ذات الأمور التي كنا نظنه قد هجرنا فيها. نفتح أنفسنا لنستقبل الأبوَّة.

سأعترف أن الأمر لا يأتي بسهولة، فهناك نوع من فقدان الثقة الجوهري الذي نتعلمه عبّر مسار أيامنا، ويُبنى هذا على فقدان الثقة في الله، ذلك الذي ورثناه من آدم. سيبدو التحوُّل غريبًا، وكما يقول «جيرالد ماي» أنه كلما أصبحنا معتادين على السعي إلى الحياة بعيدًا عن الله، يبدو الأمر أكثر «غرابة وضغطًا أن نبحث عن الله بطريقة مباشرةً.» **خصوصًا** كأب، مقدمًا أبوته لنا. لكن الأمر يستحق المحاولة، **بالفعل الأمر يستحق المحاولة**. يستحق الأمر السماح لأنفسنا أن نستقبل الأبوة، قابلين أن هذه الطريقة الجديدة من الحياة ستحتاج إلى بعض التعود، آخذين الوضع الذي سنفعل أي أمر لازم لنعتاد عليه.

ما أقترحه هنا هو أن نعيد صياغة الطريقة التي ننظر بها إلى حياتنا كرجال، والطريقة التي ننظر بها إلى علاقتنا مع الله. أريد أيضًا أن أساعدك لتعيد صياغة الطريقة التي تتصل بها مع رجال آخرين، خاصةً أنتم أيها الآباء يا مَن تتساءلون عن كيفية تربية الأولاد. تبدأ إعادة الصياغة حين نرى أن حياة الرجل عملية من الانضمام إلى عالم الرجولة الحقيقية. هي سلسلة من المراحل التي نتشبَّع بها ونتقدَّم من خلالها. وفيما يتعلق بالله، أومن أن ما ينويه **أولًا** في حياة الصبي أو الرجل هو أن يضمَّه. الكثير مما نسيء فهمه ونعتبره متاعب أو تجارب أو إخفاقات من جانبنا هو في الحقيقة تقديم الله لأبوته لنا، آخذًا إيانا عبّر أمور من أجل تقويتنا أو شفائنا أو تحريرنا مما هو غير مقدس فينا. بكلمات أخرى، ليضمَّنا – نحو مغامرة رجولية لا ريب فيها.

المراحل

إن كنتُ سأرسم لك الرحلة الرجولية في خطوط عريضة، أعتقد أنها ستظهر بالشكل التالي، أو بالأحرى، كان **مقصودًا لها** أن تظهر بالشكل التالي: مِن الصِبا إلى راعي البقر إلى المحارب إلى العاشق إلى الملك إلى الحكيم. كل ذلك في مسار حوالي ثمانين عامًا، يزيد أو ينقص عقدًا أو اثنين.

والآن، دعني أضيف سريعًا أنه من غير الممكن أن نحدد سنًا دقيقًا لكل مرحلة، إذ هناك تداخل، وهناك نواحٍ من كل مرحلة موجودة في المراحل الأخرى. فلتشاهد صبيًا لفترة قصيرة (فكرة جيدة جدًا. إن كان قد مرَّ وقتٌ طويل منذ أن كنتَ أنت صبيًا)، فسترى المحارب، راعي البقر، الملك. ومع ذلك فهو صبي، **وكصبي** ينبغي أن يعيش خلال تلك السنين. يحدث ضررٌ كبيرٌ إن سألنا صبيًا أن يُصبح ملكًا أسرع من اللازم، كما هو الحال حين يهجر الأب أسرته، خارجًا من الباب مع كلمات الفراق، «أنت الآن رجل البيت.» يا له من أمر قاسٍ أن تفعل ذلك، بل أمر أكثر قسوة أن تقوله، إذ لم يصبح الصبي رجلًا بعد، ولم يتعلَّم بعد دروس الصبا والشباب، فلم يكن محاربًا ولا عاشقًا بعد، وهو غير مستعد بأي حال من الأحوال لأن يصبح ملكًا.

حين نطلب منه ذلك، يكون ذلك بمثابة الجرح المساوي للعنة، إذ للحظة يُسلب منه صباه، ويُطلب منه أن يقفز فوق مراحل النضج الرجولي، الأمر الذي لا يستطيع أي رجل عمله. لا، فهناك دربٌ ينبغي أن يقطع، هناك طريقٌ، لا وصفة. لكل مرحلة دروسها التي ينبغي تعلُّمها، ومن الممكن لكل مرحلة أن تُجرح، أن تُقطع، تاركةً الرجل النامي بنفسٍ لم تبلغ. ثمَّ نتساءل لماذا يُغلق على نفسه فجأة حين يكون في الخامسة والأربعين، مثل شجرة نجدها ساقطة في الفناء بعد ليلةٍ من الرياح العتيَّة، نذهب لنلقي نظرة ونجد أن جذورها لم تغص بعمق في الأرض، أو ربما أنها كانت قد تعفَّنت من الداخل، ووهنت من المرض أو الجفاف. تلك هي الحالة في داخل الرجال غير المكتملين.

فلنبدأ بالصبا، وهو وقتٌ للتساؤل والاستكشاف، وقتٌ للقِلاع المصنوعة على الشجر، وللكتب المصورة، والضفادع الصغيرة والمصاصات. الحيات والقواقع وذيول الكلاب الصغيرة كما تقول أغنية الأطفال القديمة. وفوق كل شيء آخر، هو وقتٌ لأن تكون الابن المحبوب، قُرة عين أبيك، وقتٌ للتوكيد الإيجابي، فبرغم

من أني لا أزال أعتقد في الافتراض الأساسي المطروح في (Wild at Heart) – أن كل رجل يشترك في نفس السؤال الجوهري، وهذا السؤال هو «هل لديَّ المطلوب؟» – إلا إني أعتقد أن ذلك السؤال هو أكثر إلحاحًا لمرحلة راعي البقر وما بعدها. فقبل هذا السؤال ووراءه وفي بحث الرجل عن تأييده باعتباره شرعيًا يكمنُ احتياج أعمق – لأن يعرف أنه ذو قيمة، ومصدر ابتهاج، وأنه الابن المحبوب. احتياجنا لحب الأب.

تتبع ذلك مرحلةُ راعي البقر، حول فترة المراهقة (ويبدو سن الثالثة عشر كعام التحوُّل)، وتستمر إلى سنوات المراهقة اللاحقة إلى بداية العشرينيات. وهو وقتٌ لتعلُّم دروس الحقل، ووقتٌ للمغامرات العظيمة والتجارب، كما أنه وقتٌ للعمل الجاد. يتعلَّم الشاب الصيد أو قذف كرة بانحناء أو كسْر الحصان، ويحصل على سيارته الأولى ومعها على أفق مفتوح، إذ ينطلق نحو الغابات بمفرده أو مع بعض الرفاق، ويسافر إلى أوروبا، ويصبح جوالًا أو رجل إطفاء باستخدام الباراشوت. هو وقتٌ من الجسارة والخطر، وقتٌ ليتعلَّم أنه بالفعل لديه المطلوب.

في وقت ما في السنوات الأخيرة من مراهقته يظهر المحارب الصغير، ويستمر هذا الطورُ إلى ثلاثينياته. مرة أخرى أقول، هناك تداخل ما بين هذه المراحل، وهناك جانبٌ منها في كل طور من أطوار حياة الرجل. فسواء كان في السادسة أو الستين من عمره فسيظل الرجل محاربًا دائمًا إذ يحمل صورة الله المحارب (انظر خروج ١٥ : ٣)، لكن هناك أيضًا وقتًا في حياة الرجل حين تبرز واحدةٌ من هذه المراحل، إذ يجد المحارب قضيةً، ومع حسن الحظ ملكًا. ينطلق لدراسة القانون أو لحقل الخدمة، ويواجه الشر وجهًا لوجه ويتعلم أن يغلبه. يتعلم المحارب الصغير صرامة الانضباط – خاصةً ذلك الانضباط الداخلي والتصميم الذي تراه في يسوع الذي جعل وجهه «كالصوان» (إشعياء ٥٠ : ٧) ولم يكن ليُثنى عن إرساليته. قد ينضم إلى البحرية أو قد يصبح معلمًا للرياضيات في المدينة، محاربًا من أجل قلوب الصغار. من الضروري جدًا أن يحصل على إرسالية، والأكثر ضرورية أن يتعلَّم أن يحارب ملكوت الظلمة. السلبية والرجولة في خصومة متبادلة، إذ هما بشكل أساسي على خلاف معًا، فلكي يكون رجلًا عليه أن يتعلم أن يعيش بشجاعة، وأن يتصرف، وأن يذهب إلى المعركة.

هذا عادة هو الوقت الذي يصبح فيه عاشقًا، مع أنه من الأفضل له ولها إن

عاش كمحارب لفترة من الوقت أولًا. كما وصفتُ أيضًا في (Wild at Heart)، الكثير من الشباب لا يحصلون على إجابة لسؤالهم وهم في مرحلة راعي البقر الصغير. وكمحارب متردد ليست لهم إرسالية لحياتهم، فينتهي بهم الأمر آخذين كل ذلك إلى المرأة، آملين أن يجدوا فيها توكيدًا على شرعيتهم وسببًا ليحيوا من أجله (وهو بحثٌ يائس لا يجني ثمرًا كما يفهم العديد من الرجال الآن). يأتي العاشق **ليقدم** قوته إلى المرأة، لا ليحصل عليها منها. لكن وقتَ العاشق لا يتعلق في المقام الأول بالمرأة، فهو الوقت حيث يكتشف الشاب سبيل القلب – أن الشِعر والعاطفة هما أقرب بكثير من الحق أكثر من المنطق المجرد. ينتبه حينها إلى الجمال، والحياة، يكتشف الموسيقى والأدب، ومِثل داود الصغير يصبح رومانسيًا، وينقل ذلك حياته الروحية إلى مستوى جديد تمامًا. تفقد حينها الخدمة **لله** نورها في ظل النور الأقوى للحميمية **مع الله**.

حينها، وفقط حينها، يكون مستعدًا لكي يصبح ملكًا، مستعدًا ليحكم مملكة. إن أزمة القيادة في كنائسنا وأعمالنا وحكوماتنا تأتي بشكل كبير بسبب هذه الورطة الواحدة: قد أُعطي الرجال القوة، لكنهم غير مُجهَّزين للتعامل معها. وقت الحُكم هو اختبار هائل للشخصية، إذ سيُختبر الملك على نحو خطير ليستخدم تأثيره في اتضاع من أجل فائدة الآخرين. ما نسميها أزمة منتصف العُمر هي في الغالب رجلٌ لديه بعض المال والتأثير، ويستخدمهما ليذهب ثانية لاستعادة ما قد فقده كابن محبوبٍ (فيشتري لنفسه لعبًا) أو كراعي بقر (ينطلق نحو المغامرات)، فهو رجلٌ لم يتطور ولم ينضم إلى الرجولة.

يأتي الملك الحقيقي إلى السلطة وهو يعلم أن هذا الامتياز **ليس** الهدف منه أن يعمل من أجل راحته. فقد يجعلونه رئيسًا لشركة أو مديرًا لقسم ما، وقد يصبح قسًّا أو مدربًا لكرة السلة في المدرسة الثانوية. هذا هو وقت حُكم المملكة، ويكون من الأفضل لو جمع من حوله مجموعة من المحاربين الصغار، إذ هو الآن أبٌ لرجال أصغر.

وأخيرًا، هناك الحكيم، الأب ذو الشعر الرمادي الذي لديه غِنى من المعرفة والخبرة، وإرساليته الآن هي أن يشير على الآخرين. قد تتقلص مملكته – فقد ترك الأولاد البيت، ولذا قد ينتقل إلى بيت أصغر. يتنحى عن دوره كرئيس، وقد يتحوَّل دخلُه إلى المدخرات والاستثمارات التي صنعها حين كان ملكًا. لكن ينبغي

أن يزيد تأثيره، فهذا ليس الوقت الذي يجمع فيه حقائبه ليذهب إلى بيوت المسنين – فالمملكة تحتاج إليه الآن كشيخ جالس عند البوابات. قد يكون في الواقع شيخًا في كنيسته، أو قد يقدم خدماته في مجلس تعليمي. يصرف وقته في تعليم الرجال الأصغر، خاصة الملوك، مثلما علَّم «مرلين» «آرثر»، ومثلما علم بولس تيموثاوس. في وقت ما في الحياة حين يشعر معظم الرجال بأن زمنهم قد مرَّ، من الممكن أن يكون هذا الوقت هو فترة الإسهام الأعظم لهم.

والآن، دعوني أقول ثانيةً إن هذه المراحل كلها موجودة لدرجة ما في أي فترة من حياة الرجل، وتأتي هذه المراحل كلها معًا لتصنع رجلًا كاملًا مقدَّسًا. فالصبي بشكل كبير هو ملكٌ على مملكته الصغيرة – غرفته، بيت الشجرة، الحصن الذي بناه سرًّا في البدروم أو الغابة. والرجل، على الرغم من أنه الآن ملك بمفهوم أكبر وأخطر، لا ينبغي له أن يفقد روعة التعجب التي للصبي، وهي تلك الحالة التي نسميها «صبا القلب»، إذ لا نعني بالنضج التيبُّس أو تكلُّس القلب. يقول «جورج ماكدونالد»، «يجب على الصبي أن يسيِّج ويحافظ على الطفل الذي في قلبه، باعتباره حياته، وعليه ألا يتخلى عنه أبدًا... فلم يخلق الطفل ليموت، بل ليكون دائمًا مولودًا من جديد.» تحدَّث يسوع إلى نفس الاتجاه حين قال أن علينا أن نصبح مثل الأطفال إن كنا سنعيش في ملكوته (متَّى ١٨ : ٣).

مع ذلك، يبدو لي أن كل مرحلة من هذه المراحل – أو من الممكن تسميتها النماذج – لها موسم تظهر فيه، حين يبدو وكأنها تسود، ولذلك أسبابه، لذا فسأتحدث عن المراحل في ضوء هذين الاتجاهين.

صور المراحل

قد يكون داود هو التعبير الكتابي الواضح لرحلة الرجولة، فحياته كرجل تستحق على ما يبدو أن تنال الاهتمام، حيث يخصص اللهُ أكثر من ستين أصحاحًا من كتابه لحياة داود، في حين أن الآخرين يسعدهم الحظ أن يحصلوا على فقرة أو اثنتين. حين نلتقي بداود نراه في مرحلة راعي البقر، مراهق يعيش في الخارج في الحقول، يرعى قطيع الأسرة. فكَّرتُ في تسمية هذه المرحلة مرحلة الراعي، لكن كلمة الراعي قد سُلبت واستخدمت في التشبيهات الدينية لدرجة أنها الآن تنقل عكس معناها الحقيقي. الصور التي لدينا عن الرُعاة صيغت بوقت

الكريسماس، عبر التماثيل الجذابة الصغيرة التي نجدها في عروض المغارة على المنضدة، أو الأقرب إلى نقطتي أطفال الحي الذين يرتدون الأرواب ويضعون مناشف على رؤوسهم، لاعبين دورًا في العرض المحلي لاحتفالات الكريسماس. يتسم كلٌّ منهم باللُّطف والرقة. الرعاة الحقيقيون يتميزون **بالخشونة**.

في ليلة عبوره من راعي البقر إلى المحارب يقف داود في معسكر جيش إسرائيل، أمام ملكه، الذي يحاول نُصح المراهق بالعدول عن القتال من دون مساعدة ضد أحد المرتزقة المشهور بسوء السمعة (جليات). يقول داود: «كان عبدك يرعى لأبيه غنمًا، فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع، فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه، ولما قام علي أمسكتُه من ذقنه وضربتُه فقتلتُه» (صموئيل الأول ١٧: ٣٤ – ٣٥). أتت تلك الخبرات خلال مرحلة راعي البقر، ونرى هنا مدى الخشونة والخطورة اللتين من المفترض أن تكون عليها تلك المرحلة. نرى أيضًا أنه تعلَّم دروسه بشكل جيد. هل كان داود الابن المحبوب في أي وقت؟ من الصعب أن نعرف، إذ ليس لدينا سجل بوقت صباه بالضبط، لكن لدينا معلومتين من الممكن أن يغطيا تلك الفجوة إلى درجة ما. كان داود الأصغر وسط ثمانية أولاد، ومن الممكن أن يكون ذلك جيدًا أو سيئًا، فعادةً الأصغر يكون المفضل لدى والده – كما كانا يوسف وبنيامين. وحين تقرأ المزامير لا يمكن أن يكون هناك شكٌّ أن داود كان يعلم أنه ابن محبوب لدى الله، إذ تمتلئ قصائده بنوع التأكيدات القلبية لحب الله والفضل الذي يستطيع التعبير عنه فقط الابن المحبوب.

فيما يخص المحارب، هل من شك أن وضع داود المقياس لهذه المرحلة بنفسه؟ أعلنتْ نساء إسرائيل أنه «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته» (صموئيل الأول ١٨: ٧). كان عاشقًا، بالطبع – ولو أن أفكارنا في الغالب تقفز عند تلك النقطة إلى العلاقة مع بتشبع. لكن من داود نتعلم أن مرحلة العاشق **ليست** أولًا بشأن النساء على الإطلاق – بل بشأن حياة القلب، حياة الجمال والعاطفة والرومانسية العميقة مع الله، وكلها أمور يمكننا رؤيتها في شِعره. وطبعًا كان داود ملكًا بالفعل.

ترى المراحل أيضًا في حياة يسوع. بالتأكيد هو الابن المحبوب، من قِبل أبويه ومن قِبل الله أيضًا. ما لدينا من سجلٍ مختصر عن طفولته يحتوي القصة حين اختفى يسوع من القافلة التي كانت عائلته تسافر معها، إذ غادروا احتفال الفصح

في أورشليم. من الجدير بالملاحظة أن الأمر استغرق يومين لكي تلاحظ مريم ويوسف أن الصبي مفقود – مما يشير إلى إما إهمال جسيم من قِبلهما كوالدين (وهي نظرية لا يدعمها باقي ما نعرفه عن الأسرة) أو يشير إلى أمن وطمان ملحوظين من نحو الصبي. وبالطبع، ما يؤيد نقطة رحلتنا هنا في هذا الكتاب بشكل أكبر هو ما لدينا من إعلانٍ من الله الآب عن يسوع حين خرج من مياه الأردن: «هذا هو ابني الحبيب» (متّى ٣: ١٧). إن الثقة التي كانت ليسوع من نحو حب الله الآب أبيه، وحميميتهما الجريئة والأكيدة، هي السمة المميزة لحياته، وهي تفسير كل شيء. فهذا الرجل يعرف أن أباه يحبه حبًا جمًا.

سأضع سنين راعي البقر من حياة يسوع في داخل ورشة النجار، ساعة تلو الأخرى بجانب يوسف، متعلمًا حرفة الخشب من أبيه وكل الدروس التي من الممكن أن تعلمها الأخشاب والأدوات اليدوية لشاب صغير. يا لها من طريقة رائعة بالنسبة لمراهق لقضاء تلك السنين. يبدو أنه مستريح في البرية أيضًا، إذ يذهب هناك كثيرًا خلال سنين خدمته ليُسترد، ليكون مع الله الآب.

يدخل مرحلة المحارب حين يدخل خدمته، في ثلاث سنين تتسم بالحرب الشديدة، تصل ذروتها حين يقهر الشرير، ويؤمِّن فداءنا من حصون الظلمة، ويصارع مع مفاتيح الهاوية والموت ضد عدوه. وعلى مدار تلك السنوات نرى أيضًا عاشقًا شغوفًا يخطب ودَّ عروسه ويفوز بقلبها. (وقد يكون من الجيد تذكُّر أن سفر نشيد الأنشاد كُتب بروح الله، وهو من دون شك أعظم مُحب في كل الزمان.) وبالطبع، هو ملكٌ، ربٌ الآن للسماء والأرض، ملكٌ محاربٌ عائدٌ ليجلب النصر الأخير لشعبه وليعلن الحقبة الذهبية لمملكته. لقد انتهت حياته الأرضية، لكن مع ذلك لا نزال نرى الحكيم في العُمق والتبصر لتعليمه البارع. وهو بالطبع مشيرنا العجيب الآن.

ستجد المراحل في كل مكان

الآن وقد أصبح لديك ملخصٌ لمراحل رحلة الرجولة، فستجدها عبْر كل القصص العظيمة.

أمير مصر (The Prince of Egypt)، قصة مأخوذة عن قصة حياة موسى، أول

مثال لدينا. حين تبدأ القصة نجده ابنًا محبوبًا – مدللًا من دون شك، وفي احتياج عظيم إلى العبور نحو مرحلة راعي البقر – لكنه مع ذلك ابنٌ محبوب. رأى أبواه أمرًا خاصًا في الطفل، وخاطرا بحياتهما لينقذا حياته هو. يُتبنَّى موسى إلى بيت فرعون، ويتربى هناك في حياة من الامتيازات. يُدفع به إلى مرحلة راعي البقر هناك في البرية، كراعٍ (وهي، كما قلتُ، حياة خشنة كثيرة المطالب مليئة بالخطر والمغامرة). ثمَّ يدعوه الله لكي يحرر شعبه، فيصبح محاربًا، ثم ملكًا، ثم حكيم الإسرائيليين بينما يواصلون رحلتهم نحو أرض الميعاد.

انظر أيضًا إلى ثلاثية ج. ر. ر. تولكين، سيد الخواتم (The Lord of the Rings)، فكل واحد من الشخصيات الرئيسية هو صورة لمرحلة أو لعدة مراحل. فالهوبيت – خاصة فرودو – هم صورة للابن المحبوب، و«سترايدر» هو راعي البقر الأهم («جوال» كما يسمونه، وهو لقب من الممكن أن تستبدله بسهولة لكلمة «راعي البقر» حيثما أتكلم عن هذه المرحلة). ثم يصبح المحارب العظيم «أراغورن»، الذي يصبح ملكًا. «غاندالف» هو حكيمهم. وبالنظر بدقة، يمكنك أيضًا أن ترى رحلة الصبي نحو الرجولة عبّر حياة الهوبيت، التي هي قصة رحلتهم. حين نلتقي بالهوبيت نجدهم يعيشون في مرحلة الابن المحبوب – الشَعر المجعد والقلب الطيب، والشقاوة – فعالمهم مكان آمن يتمتعون بالحرية لاستكشافه. حين ينطلقون إلى الطريق يدخلون مرحلة راعي البقر. نعم، لديهم إرسالية، لكنهم لا يُقدِّرون ثِقلها تقديرًا كاملًا. في البداية الأمر مُفرحٌ أن يكونوا على الطريق، ليخيموا هناك، ويروا مشاهد جديدة، ويختبروا حياة أبعد من حياة الوسادة المصنوعة من الريش. يأخذهم «أراغورن» «إلى البرية» حيث يصبحون أكثر خشونة، وينامون على الأرض، متحملين الجو والخطر والسير لفترات طويلة. يستمرون ليصبحوا محاربين، ويتعلمون القتال، ويذهبون إلى الحرب.

كما تشكِّل المراحلُ الخطَّ القصصي لفيلم الأسد الملك (The Lion King) أيضًا. يعلن المشهد الافتتاحي عن وصول الشبل «سيمبا»، وهو الابن المحبوب للأسد الملك «موفاسا»، وبكل وضوح هو قرة عين أبيه. لكن شبابه يُقتطع بفقدان مفاجئ للبراءة – كما يحدث مع الكثير جدًا من الأولاد – ويُدفع به نحو مرحلة راعي البقر، متجهًا نحو الطريق. مع ذلك، فليس له «أراغورن» ليرشده، ويفسد وقْتَه في هذه المرحلة ببقائه فيها لوقت أكثر من اللازم وبعَيْشه فقط من أجل اليوم. يحدث هذا للكثير من الشباب الذين فقدوا الأب، الذين يعيشون

في المغامرة من أجل المغامرة، في التزلج على الجليد، وركوب الأمواج، رافضين النمو. يدخل «سيمبا» مرحلة العاشق حين تجده «نالا» في الغابة، ويستمتعان بمشهد يشبه جنة عدن. لكنه عاشقٌ بلا غاية، كما هو الحال مع الكثير جدًا من الشباب الذين لم يعبروا أولًا عبْر مرحلة المحارب، وتفقد «نالا» صبرها معه، كما هو الحال مع الكثير من الشابات اللاتي يفقدن صبرهن مع الشباب الذين يحبونهم لكنهم لا يظهرون أي علامات من علامات استمرارهم في الحياة.

لحسن حظ «سيمبا» والمملكة، يجده حكيمٌ عند تلك النقطة – القرد «رافيكي» – الذي يعود به إلى الأب، ومع هذه العودة تأتي هويته ودعوته. فقد استُردَّ إلى عالم مركزه الأب – وهو نفس الاسترداد الذي نحتاج إليه. حان الوقت لكي يُكمل «سيمبا» رحلته نحو الرجولة، كمحارب وملك. يرجع ليواجه عدوه، وينتصر على الشرير، ويتولى العرش، جالبًا عصرًا ذهبيًا للمملكة.

بداية المهمة

هذه رحلتنا للانضمام لعالم الرجولة. والآن، لا نعرف الكثير عن مراحل التطور في ثقافتنا اللحظية، فهناك شخص يصنع لنا القهوة، ولم نعد نحتاج إلى الانتظار لتحميض صورنا – ولا حتى لمدة ساعة واحدة – إذ لدينا الآن كاميرات رقمية تنقل إلينا الصورة، لحظيًا. لسنا مضطرين للتواصل مع شخص ما – إذ يمكننا إرسال الإيميل له، أو مكالمته على تليفون محمول، أو إرسال رسالة فورية له في التو واللحظة. لسنا في حاجة إلى انتظار معاطفنا الجلدية أو البنطال الجينز أو القبعات لتصبح قديمة ليكون لها ذلك المظهر الخشن – إذ يمكن الحصول عليها بهذا الشكل الآن، باهتة وممزقة. شخصية يمكن شراؤها وارتداؤها مباشرة.

لكن الله هو إله **العملية**، فإن أردتَ شجرة بلوط، فسيجعلك تبدأ بجوزة البلوط، وإن أردتَ كتابًا مقدسًا، فسينقل ذلك على مدار أكثر من ألف سنة. إن أردتَ رجلًا ينبغي أن تبدأ بالصبي. وصف اللهُ مراحل التطور الرجولي، وهي متضمنة في نسيج كياننا، تمامًا مثلما تتضمن قوانين الطبيعة في نسيج الأرض. في الحقيقة، الذين عاشوا أقرب إلى الأرض كانوا يحترمون ويحتضنون المراحل لقرون وقرون من الزمان. قد نظنها دروبًا عتيقة، ومؤخرًا فقط فقدنا التواصل معهم، في مقابل اللاتيه «تريبل-فينتي» بطعم الفانيليا بلبن منزوع الدسم خالٍ

من السكر. ونتيجة أننا هجرنا عملية الانضمام لعالم الرجولة فقد وصلنا إلى عالم من الرجال غير المكتملين.

لكن ليس من الضروري أن يكون الأمر على هذا النحو، ولا نحتاج للهيام في الضباب، وليس من الضروري أن نحيا بمفردنا، في عناء واستياء والتباس وغضب. ليس من الضروري أن نستكشف الحياة بأنفسنا، فهناك سبيلٌ آخر. فأينما كنا في الرحلة، من الممكن لانضمامنا أن يبدأ جديًا. من الأفضل بما لا يقاس، لنا – ولمن يضطرون للعيش معنا، الذين ينظرون إلينا – أن نعيد اكتشاف المراحل وأن نجلَّها، وأن نحيا من خلالها، وأن نربي أبناءنا عبّرها. هذا الأمر يحضرنا ثانية إلى ورطتنا: من سيفعل ذلك لنا؟

عن المؤلف

«جون إلدريدج» مشير ومعلِّم ومؤلِّف للعديد من الكتب التي حققت أعلى مبيعات، بما في ذلك (Epic)، (Walking with God) و(Beautiful Outlaw). هو أيضًا مدير (Ransomed Heart) وهي خدمة لاستعادة الرجولة للملايين من الرجال على مستوى العالم. يُحب «جون» صيد السمك باستخدام تقنية الصيد بالحشرات، ويحب أيضًا الصيد باستخدام القوس، والكتب العظيمة. ويعيش في كولورادو مع زوجته «ستاسي».

كلُّ رجل كان ولدًا، ولكلِّ ولد صغير أحلامٌ، أحلامٌ كبيرة: إذ يحلم أن يكون بطلًا، أن يهزم الأشرار، أن يُنجز مفاخر جسورة، مُنقِذًا الأميرة من محنتها، ولكلِّ فتاة صغيرة أحلام أيضًا: أحلام بأن يُنقذها أميرُها، آسرًا إيَّاها نحو مغامرة عظيمة، عالمةً أنَّها الأميرة.

لكن ماذا يحدث لتلك الأحلام حين نكبر؟ اذهبْ إلى معظم الكنائس وانظر حولَك، واسأل نفسك هذا السؤال: من هو الرجل المسيحيُّ؟ لا تستمعْ إلى ما يُقال، لكن انظر إلى ما تجده هناك، وستجد أنَّ أغلب الرجال المسيحيِّين هم رجال ... مصابون بالضجر.

«جون إلدريدج» يراجِع ويحدِّثُ كتابَه المسيحيَّ الكلاسيكيَّ الشهير «رجولة قلب»، وفيه يدعو الرجالَ إلى استرداد قلبِهم الذكوريِّ، الظاهر في صورة الله الإله الشغوف، كما يدعو النساء إلى اكتشاف سرِّ قلب الرجل والتلذُّذ بالبأس والجموح الذين خُلِق الرجالُ ليقدِّموهما.

«جون إلدريدج» هو مدير خدمات (Ransomed Heart) في «كولورادو سبرينغز»، وهي خدمة مُكرَّسة للمساعدة لاكتشاف قلب الله، وهو أيضًا مؤلِّف للعديد من الكتب، بما في ذلك (Walking with God) و(Fathered by God) و(Waking the Dead) و(Desire) وأيضًا (Love & War) (الذي كتبه مع زوجته «ستاسي»)



مكتبة الكتب المسيحية

أحدث الكتب



روحية

كتاب لاهوت المرضى – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الارثوذكسية – تحميل pdf

مارس 24, 2018



العهد الجديد

كتاب شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – إعداد الدكتور القس منيس عبد النور – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018



روحية

كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018



مقالات

لا تموت قبل أن تقرأ هذه الكتب – ترشيحات الفيلسوف بيتر كريفت Peter Kreeft

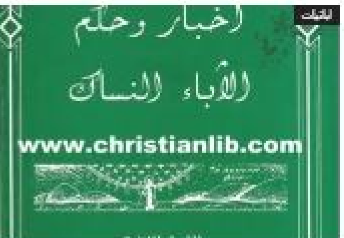
مارس 21, 2018

كتب روحية



روحية

كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور نوسترداميس – د ق لبيب مشرقي pdf



ابائيات

كتاب من اخبار و حكم الآباء النساك – نقله عن اليونانية الاب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf



انسانيات

كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنيه – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf

روحية

كتاب لاهوت المرضى – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الارثوذكسية – تحميل pdf



روحية

كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf



روحية

كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الآب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على اناجيل القداسات pdf